2013

2010

2008

2001

يتجلى العطف الملكي السامي

في الزيارات العديدة التي قام بها

جلالة الملك محمد السادس حفظه الله، لمدينة جرادة

« لقد أردنا أن نبين ونؤكد ما هو معروف عن المغاربة،
من مجد وتفان في العمل وقد أثبتوا فعلا قدرتهم على العطاء
والإبداع، كلما توفرت لهم الوسائل اللازمة، والظروف الملائمة،
للقيام بأي عمل كيفما كان نوعه، صغيرا أو كبيرا،
فكريا أو يدويا، وذلك رغم آفة البطالة.

ويظل العنصر البشري هو الثروة الحقيقية للمغرب،
وأحد المكونات الأساسية للرأسمال غير المادي،
الذي دعونا، في خطاب العرش
لقياسه وتثمينه نظرا لمكانته في النهوض بكل الأوراش
والإصلاحات، والانخراط في اقتصاد المعرفة.

وإن ما حققه المغرب من تقدم، ليس وليد الصدفة،
بل هو نتاج رؤية واضحة، واستراتيجيات مضبوطة،
وجهود وتضحيات جميع المغاربة. »

مقتطف من الخطاب السامي الذي وجهه صاحب الجلالة الملك محمد السادس نصره الله،
إلى الأمة بمناسبة الذكرى ال 61 لثورة الملك والشعب
يوم الأربعاء 20 غشت 2014

جرادة

لصاقة جديدة بجهة الشرق

IQ.٨٠

ⵜⴰⵎⴰⵣⵉⵖⵜ ⵜⴰⵎⴰⵙⵙⵜ ⴷ ⵜⵎⵓⴰⵜ ⵏ ⵜⵎⵣⵡⵔⵓ

تنسيق برنامـج DéLIO
لحسن بوعالي

إدارة فـنيـة
حكيمـة مبصـر

الايداع القانوني : 2021MO4603 • **ردمك :** 978-9920-34-485-2

منشورات وكالة جهة الشرق
/ © وكالة جهة الشرق

إدارة النشـر
محمد امباركي
مدير عام وكالة جهة الشرق

إدارة التحريـر
فيليب ميشيل - الكبير حنـو

صور فوتوغرافيـة
يونس فزازي

وثائـق وخـرائـط
أرشيف وإشارات

تصميم
Agence Topic Groupe MpCom

منتزه المتحف المنجمي
رشيد تهمي الوزاني

الـــفـــهـــرس

13 تقديم: جرادة وليدة الصدفة والضرورة

21 **جرادة، مدينة بلا حدود متعددة الإشعاع**
22 أكثر من مدينة، مجال بمورفولوجيا قوية
جرادة، غير مرتبطة بمجالها الترابي...
26 جرادة، القلب الطاقي
30 توفير فرص الشغل، جعل جرادة بلا حدود
32 المغرب يحتضن شركة كبيرة مندمجة ذات أنشطة بفروع
35 جرادة في قلب نظامها البيئي الترابي
48 إشعاع مفاهم جرادة بالتواصل

51 **جرادة : نشأة ونمو مدينة منجمية**
52 حي الرواد
مدن عديدة نشأت بفضل الصناعة، خاصة المناجم
57 جرادة قبل 1950، بوادر التحضر الجديد
قضية السكن
60 جرادة بعد الخمسينيات
65 الحي العمالي آهل بالمنجميين
الحي الأوروبي ومنطقة المهندسين
69 جرادة بعد الشروع في استغلال حاسي بلال
72 وأخيرا، سكن لائق في السبعينيات
76 نهاية «الحي الأوروبي»
الأنشطة التجارية والخدمات
78 مركز الصناعة التقليدية
المدارس والتكوين المهني
84 الخدمات الجماعية
الخدمة الاجتماعية

87 **المنجـم، المـساهـمون والمـنجـميـون**
88 الحضور البارز للمساهمين التاريخيين
90 منشآت المنجم
101 أدوات المنجمي والتجهيزات
104 الإكراهات، السلامة وأشكال التضامن
110 بروز الحركة النقابية
117 دجنبر *2017*، من الاستياء إلى الاحتجاج

121 **عولمة أسواق الطاقة، الحكم على المنجم**
122 ابتداءً من *1962*، الأزمة الأولى
المحطة الحرارية في مواجهة الإنتاج المفرط
126 سنوات الثمانينيات
إخفاقات العصرنة
توالي الإخفاقات
130 محاولة الإصلاح
133 رؤية ترابية جديدة :
إحداث إقليم جرادة
136 الرجات الأخيرة
138 منظومة جديدة

141 **جلالة الملك محمد السادس يؤكد العطف المولوي السامي ويرسّخ قيم التضامن الوطني**
143 زيارات المغفور له جلالة الملك محمد الخامس
144 زيارة جلالة الملك الحسن الثاني، رحمه الله
146 الزيارات الميمونة لجلالة الملك محمد السادس

151 **حوالي قرن من الحياة الاجتماعية بأنماط متعددة**

152 التجهيزات الجماعية والخدمة الاجتماعية للمنجم

153 الصحة العمومية، أولوية منذ الأربعينيات

156 خدمات صحية من مستوى رفيع

162 مغامرة المركز الثقافي

164 المركز الثقافي بعد المنجم

167 الحفلات، الرياضة والأنشطة الترفيهية

174 المغامرة المفرحة للفنون التشكيلية

179 تلاقح ثقافي

181 **جرادة بعد المنجم، من الركود إلى النهوض**

182 البحث عن وجهة أخرى بالنسبة للكثير... بوادر الأمل، رغم صعوبة الحاضر

186 من العمل النقابي إلى النضال الجمعوي

188 الوضع السوسيو-اقتصادي لسنوات *2000*

197 **تكوين المدينة مع من يقطنها**

198 من الحي المنجمي إلى التحضر العصري استراتيجية مندمجة

202 دعم خلق الأنشطة منطقة الأنشطة الاقتصادية بجرادة

206 المنطقة الصناعية لكُنفودة
إستراتيجية الموارد الطبيعية
إقلاع مكتسبات القرن العشرين
211 تنمية اجتماعية مندمجة
215 تنمية حضرية ملموسة
219 سياحة قائمة على التراث

221 **منتزه المتحف المنجمي،**
نحو اقتصاد الثقافة
وترسيخ ذاكرة جرادة
222 جولة بالمتحف المنجمي
225 احتفاء عالمي بالتراث الصناعي
226 9-9مكرر، المتحف المنجمي لأوينيس
228 التجهيزات الأولى لإعادة تأهيل البنايات الصناعية المهجورة
231 معهد التعريف بتراث المنجم
232 المتحف المحاكي، فضاء مفتوح لجولة تثقيفية
234 الفندق-المدرسة دار جرادة، ابتكار رائد
237 المركز الثقافي، لاستعادة حيوية إبداع جرادة
238 الركام الكبير للنفايات المعدنية (الرامبلي)
مقر البئر 2
241 مركب التنشيط الثقافي والمكتبة الوسائطية
242 كل عناصر التسويق الترابي الطموح
تدبير مبتكر

244 **كلمة شكر**

السرخس الأحفوري نيوبتريس،
من سمات العصر الجيولوجي الويستفالي،
حيث تبلور الفحم الحجري لمدينة جرادة.
كان اكتشافه مؤشرا على وجود حقل منجمي.

جرادة،
وليدة الصدفة والضرورة

حفريات نباتية...

شكل اكتشاف حفريات نباتية بملتقى طرق جرادة، بداية قصة مُشوقة ساهمت في تعزيز الأخبار الرائجة آنذاك، التي كانت تتحدث عن وفرة المعادن بجهة الشرق.

ففي سنة 1908، تطرق الجيولوجي لويس جانتي في مداخلته بالأكاديمية الفرنسية للعلوم، لوجود مواقع كربونية بالحدود الشرقية للمملكة، إلا أن الخبراء قللوا من أهمية ذلك. وسيكون الحظ حليف الجيولوجي البلجيكي الشاب، أندري بريشان، الذي ساقه العثور صدفة عن حفريات نباتية إلى اكتشاف فحم جرادة، الذي سيشكل فيما بعد أهم منجم بشمال إفريقيا. وبذلك، بدأت مرحلة جديدة ناتجة عن الرغبة في استغلال مناجم الفحم الحجري.

هكذا بدأت القصة، قصة مدينة جرادة كمغامرة متعددة الأبعاد : بعد تاريخي يهم استغلال الموارد الطبيعية، بعد اقتصادي يخص تطوير نشاط منجمي، ستقضي عليه العولمة سبعون سنة فيما بعد، بعد صناعي واجتماعي شكل بزوغ العمل النقابي بالمغرب، وبعد حضري وثقافي يتمثل في بناء هوية جديدة قوية بفضل تنوع السكان الوافدين على المنطقة.

فقد بدأت هذه الحقبة المهمة من تاريخ المملكة بمرحلة التنقيب والغزو الاستعماري الطامع في الثروات المغربية المتعددة، سيما بجهة الشرق التي تزخر بالفحم الحجري والرصاص والزنك والمنغنيز، أو ما أضحى يعرف "بالحوض المنجمي لشمال شرق المغرب" الذي يضم جرادة، سيدي بوبكر وتويسيت. تلتها بعد ذلك، مرحلة العيش المزرية لعمال المناجم بالمخيمات. فقد كانوا يشتغلون في ظروف عمل قاسية، مهددين بالموت في كل لحظة لقلة خبرتهم وانعدام وسائل الوقاية... "جرمينال" افريقي، دون التعليق عن إميل زولا. ستترك هذه الأحداث آثاراً عميقة في هوية جرادة الناشئة. ثم ظهرت فيما بعد البوادر الأولى لتطوير الأوضاع الاجتماعية في ميادين السكن والصحة والتعليم والأنشطة الثقافية والترفيهية. وقد تجلت ضرورة تحسين هذه الظروف لضمان وفاء العمال، وتعزيز شعورهم بالانتماء للحياة المنجمية والرفع من الأداء. وقد شكلت هذه الوضعية والنضال الفريد من نوعه، منبعا للعمل النقابي، سيما وأن الصناعة المنجمية كانت أولى الأنشطة الصناعية ببلادنا، وسببا في ترسيخ روح الوطنية. بعد الاستقلال، حافظ المنجم على العلاقات مع الشركاء الأوروبيين، وحرس على تطويرها بفضل النضج السياسي الذي صقله الوعي النقابي. فالفحم الحجري لجرادة، الذي شكل مصدرا رئيسيا للطاقة الكهربائية، ساهم في تطوير الصناعة والخدمات العمومية، ومكن أسرا مغربية من استخدام آلات منزلية عصرية. إن التذكير بهذه الحكاية ومثيلاتها في هذا الكتاب، هو استيعاب كيفية تشكيل وعي خاص وتكوين هوية متشبعة بقيم التضامن والوطنية والإبداع الفني. فبالنسبة لساكنة قادمة من مناطق متعددة ومهاجرين من بلدان أخرى، كانت النتائج إيجابية.

مستقبل واعد لبعث الأمل في جرادة

بعد إغلاق المنجم، تراجعت مؤشرات التنمية وفقدت جرادة ثلث سكانها. أمام هذه الوضعية، اضطرت الدولة إلى إعادة النظر في مستقبل المدينة وتوفير أنشطة بديلة لإعطاء الانطلاقة لحياة جديدة. فانخرطت بدورها الهيئات المنتخبة والمجتمع المدني في المبادرات الرامية لإيجاد حلول لهذه الأزمة. وازداد الاهتمام بالقضايا الاجتماعية المستعجلة مثل الصحة، حيث أعطيت عناية كبيرة لمرضى السحار السيليسي، وللتعليم والشغل والأنشطة الثقافية باعتبارها موروثة عن الماضي المنجمي.

ويعود الفضل لبعض عمال المنجم في التفكير في إنشاء متحف منجمي للحفاظ على ذاكرة المدينة والمنجم، كما توثق لذلك إحدى الشهادات في هذا الكتاب، التي تبين كيف تمكن بعض العمال من إنقاذ أدوات كثيرة من الضياع والاحتفاظ بها، مما سيغني المتحف الجديد. إن هذه المبادرة تعزز روح الثقافة العمالية التي ميزت الحياة المنجمية على الصعيد العالمي. ومن أجل حماية المواقع المنجمية لجرادة وتحسيس المجتمع المدني بأهميتها، أنجزت وكالة جهة الشرق سنة 2012، دراسة مكنت من جرد التراث المادي واللامادي للمنجم، أوصت بضرورة إنجاز متحف منجمي.

غير أنه رغم الطموح الكبير للخلاصات التي تم الترحيب بها، لم تجد هذه الدراسة في البداية السبل الملائمة لتفعيلها. فحتمية إيجاد حلول للمشاكل الاجتماعية الآنية تساهم في اتخاذ قرارات عاجلة على حساب المشاريع الاستراتيجية البعيدة المدى، وهذا ما حدث في البداية لكل المبادرات الرامية

لحماية التراث المنجمي ببلدان عديدة. ولتجاوز هذه الوضعية، يتحتم العمل والسعي للإقناع بأهمية هذا المشروع الواعد ووقعه الاقتصادي والاجتماعي. إن الأمر يتطلب اليوم خلق أنشطة جديدة مبدعة قادرة على توفير فرص الشغل والمساهمة في بعث الحياة من جديد في المدينة من أجل تطوير الاقتصاد المحلي والاسهام في إشعاع إقليم جرادة. فتصور مدينة الغد، يعني الاستفادة من تاريخها وتوظيف مؤهلاتها وتثمين تراثها المتعدد. لأنه ارتكازا على أمجاد الماضي وإنجازات الحاضر، يتم بناء المستقبل.

رعاية ملكية سامية خاصة

حظيت مدينة جرادة منذ نشأتها بعناية خاصة من لدن الملوك العلويين. فقد زار المغفور له جلالة الملك محمد الخامس، طيب الله ثراه جرادة سنة 1936. عاين المنشآت، تفقد أحوال العمال الذين كانوا يشتغلون في المناجم، وأكد على مصلحة الوطن. كما عاد بعد حصول البلاد على الاستقلال، ونوه بالانخراط الفعال لساكنة جرادة في الحركة الوطنية والمقاومة.

وحل صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني قدس الله روحه، بجرادة سنة 1962. ويعود الفضل لمبادراته السامية في إنقاذ المنجم مرات عديدة، إلى أن حتمت الظرفية إغلاقه، فسهر رحمه الله، على اعتماد مخطط اجتماعي حيوي.

وبعد تربعه على عرش أسلافه المنعمين، زار جلالة الملك محمد السادس نصره الله، جرادة في مناسبات عديدة، حيث أعطى الانطلاقة لبرامج مندمجة قادرة على مواجهة الإكراهات التي عرفتها المدينة بسبب إغلاق المنجم،

وضع الحجر الأساس، ودشن مشاريع مهمة تخص البنيات التحتية والصحة والتربية والصناعة وغيرها، من أجل تحسين ظروف عيش السكان وإنعاش التنمية الاقتصادية والاجتماعية للمدينة وللإقليم بصفة عامة. إن هذا الكتاب الذي أنجزته الوكالة في إطار مجموعة الكتب الجميلة التي أصدرتها عن جهة الشرق، استثنائي، لأن الموضوع الذي عالجه استثنائي.

سنستحضر من خلاله بكل إجلال وإكبار، الأرواح الطاهرة لجلالة الملك محمد الخامس وجلالة الملك الحسن الثاني أكرم الله مثواهما، والمشمولين بعطفهما ورضاهما، شهداء الوطن الأبرار أبناء جرادة وضحايا المناجم. كما أنه عمل إنمائي سيقوي روح الانتماء لهذا الفضاء الذي شارك بشكل كبير في إشعاع التاريخ المعاصر للمملكة، والتعريف بذاكرة المنجم ومكانة المجال الترابي لجرادة في الاقتصاد الجهوي والوطني. من خلال النصوص والصور، سيُبحر القارئ في أحداث قرن من التاريخ الحافل بمراحل مجيدة وأخرى صعبة.

أتمنى أن يوفر المتعة لقرائه، ويبرز الطموحات الجديدة والمستقبل الواعد لجرادة الذي أعاد للساكنة الثقة في المستقبل والعزيمة للمساهمة في بناء النموذج الجديد للتنمية، بفضل التوجيهات النيرة والعطف الخاص الذي يوليه لهذه المدينة الغالية، صاحب الجلالة الملك محمد السادس نصره الله.

محمد امباركي

المدير العام لوكالة جهة الشرق

جرادة،
مدينة بلا حدود
متعددة
الإشعاع

إن كلمة مجال تتلاءم مع هذا الفضاء الخاص لسلسلة الهورست التي تفصل المناظر الخلابة والقليلة الوعورة لضواحي وجدة عن فضاء فريد من نوعه للنجود العليا لبني ڭيل.
فالأمر لا يتعلق هنا بفضاء بسيط للعبور، أو امتداد طبيعي لجبال الأطلس.
ذلك أن الإطار الطبيعي يبدو خارجا عن المألوف ويتمتع بطابع لا مثيل له، بحيث يعدُّ الفضاء مورفولوجيا بحد ذاته.

أكثر من مدينة، مجال بمورفولوجيا قوية

يظهر الفرق جليا بين طبيعة كثيرة السخاء ومناظر صقلها الإنسان في الشمال مع النطاقات البعيدة المنتشرة جنوبا، حيث يصطدم العنصر الحي بالواقع المعدني.

فبين النجود العليا القاسية والسهول المتموجة يوجد مجال ذو ثنايا، تشقه تصدعات، تزينه غابات وتتخلله أغصان تشير لتواجد مسارات رعوية تتغذى مما تهبه الطبيعة، والمزروعات القليلة المسقية أحيانا. فمن بعيد، التجمعات صغيرة ومتوسطة تتمركز حول الوديان وملتقيات الطرق أو بالمناطق التي تتميز بوفرة الموارد الطبيعية.

تظهر المدينة عند آخر المسار، وسط مشهد تبدو عليه مظاهر الخلود، إذ لا يقوى على تغيير واخضرار الموقع غير التساقطات العشوائية عندما تمتلئ مجاري الوديان التي عادة ما تكون جافة.

يمتد هذا الموقع من واحة كْفايت باتجاه سيدي بوبكر ويغطي جرادة وتويسيت على حد السواء في جيومرفولوجيا وطبيعة مشتركتين، على الطبقة الكوارتزية التي تشرح التدفقات المتعددة والجداول المائية الكبيرة المنخفضة العمق. بحيث يمكن للناظر اكتشاف هذه الموارد المائية المختبئة من خلال الغطاء النباتي وطبقات المياه الجوفية في الغابات والأغصان المتناثرة في شكل مروج خضراء... مناظر مختلفة ذات زخارف متعددة، تتشكل من عناصر مشتركة إلا أنها مختلفة التركيبات لكي لا تشعر بالضجر.

وتوجد على مد البصر وحدة لمجال قروي في الأصل، تناغم تكسره بالكاد المنشآت الصناعية التي تشكلت على امتداد قرن من التنمية حول مناجم الفحم والطاقة إلى حد كبير، والتي أضحت معالم أساسية جديدة في الأفق.

جرادة، غير مرتبطة بمجالها الترابي...

مضت قرون من النشاط الشبه الرعوي وبعض الزراعات المعاشية، لم تنتج إلى حدود الثلاثينيات سوى تجمعات بشرية بالإضافة إلى قرى كبيرة وشبكة متباعدة ستضطرب لاحقا بالمنشآت المتعلقة باستخراج وتحويل بعض الموارد المنجمية كرصاص مناجم زليجة بسيدي بوبكر ومسبك تويسيت.

لم تزعج الطبيعة الصناعية لهذه الأنشطة بشكل أساسي الجغرافيا البشرية للإقليم بالرغم من مساهمتها في الحد من الترحال لصالح الاستقرار المستمر والضروري والاعتيادي للأجير، وذلك من خلال إنشاء وتطوير تجمعات صغيرة وحديثة بواسطة المعدات الاجتماعية والمرافق التي تم تقديمها.

كان لاكتشاف واستغلال الفحم بالمنطقة المسماة جرادة دور في بروز تمدن جديد ومباني وبالتالي تجلي مدينة ذات مساحة هامة على أرض الواقع والتي ستتوسع وتتطور حسب احتياجات المنجم.

لقد أصبح اليوم الانفصال المرئي واضحا بين الأرض التاريخية التي تغلب عليها السمة الطبيعية وبعض المباني المخصّصة للأنشطة الفلاحية في المجمل والفضاءات المجهّزة بالمعدّات الهائلة للاستغلال الذي توقّف...

المحطة القديمة لسيدي بوبكر

حكاية الجيولوجيا مع هذا المجال الترابي الشاسع

س اهمت النباتات الأحفورية التي عثر عليها العالم الجيولوجي هورني، خاصة نبات السرخس (الفوجير)، من انتساب الصخور الزيتية السوداء لجرادة خلال الفترة المعروفة بـ ويستفاليان، ويطبع هذه الفترة الجيولوجية تشكيل فحم ويستفالي (نسبة للمجال الذي يوجد غرب ألمانيا والذي يشير إلى اسمه) لما يزيد عن 300 مليون سنة.

يقع الحوض الكاربوني لجرادة على ارتفاع 1100 متر ويشكل منطقة طويلة ومقعّرة تتجه من الشرق إلى الغرب على امتداد 25 كيلومتر طولا و8 كلم عرضا. ويتدلى الويستفاليان بشكل متواصل على الواجهة ويختفي باتجاه الغرب. يضم هذا الحوض سلسلة من مناجم الفحم تأثرت بطيات الشرق والغرب التي تتوزع بشكل ضئيل في الشمال. ويعود هذا الأخير إلى أحد نطاقات سلسلة الهورست.

من المرجح أن يعود تشكل الفحم الحجري بجرادة إلى الفترة الكربونية على الأغلب، أي النصف الثاني من العصر البدائي بشكل منتظم وعلى امتداد 30 مليون سنة.

سادت خلال هذه الفترة الطويلة ظواهر بركانية وتكتونية جراء الارتفاع أو الانخفاض لمستوى المياه وكانت تؤدي أحيانا إلى إغراق كميات هائلة من المواد العضوية المترسبة في الطبقات التي كان يغطيها الطين والرمال لحمايتها من التحلل. وقد نمت على هذه الرواسب نباتات جديدة بمجرد انسحاب المياه قبل أن ينشأ الطمر الجديد عن طبقة جديدة للفحم على المدى البعيد.

آثار الأنشطة البركانية بموقع جرادة

كانت المرحلة الأولى لنمو سليلوز الأشجار تعرف بالخث يتبعها اليغنيت ثم الفحم الحجري في المرحلة النهائية والذي يحتوي على مستوى عال من الكربون : أي 95% مع نسبة 5% من مادة متطايرة. ويشمل حوض جرادة من القاع إلى الأعلى ما يلي :

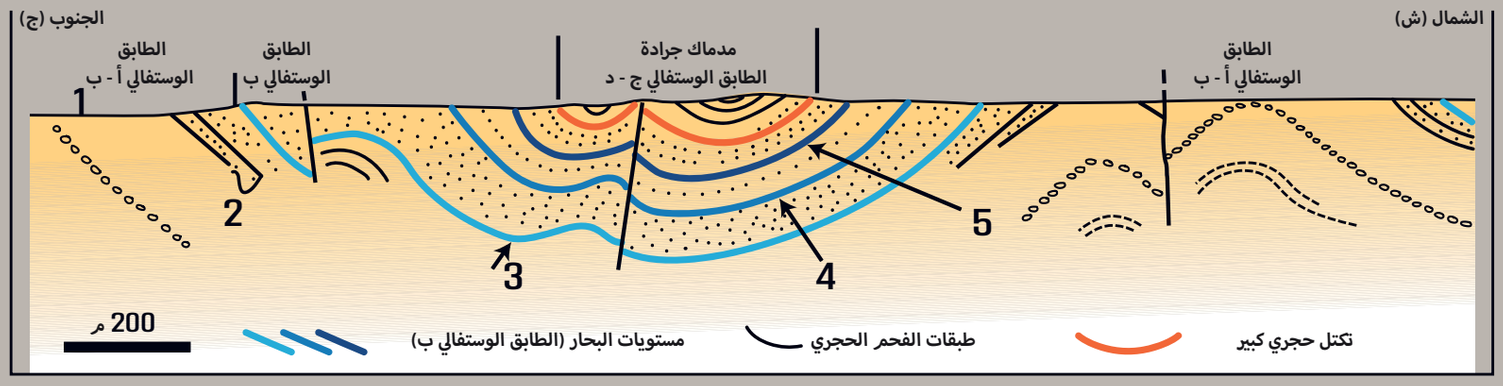

مقطع عرضي للحقبة البدائية بجرادة (حسب رواية هورون وأودينكو عام 1952) : ويستفاليان
1 : الحجر الرملي والصخور الطينية، 2 : طبقات الفحم، مستوى السراخس، 3، 4، 5 : حجر الكلس

- الويستفاليان أ، تصل سماكته حوالي 250 م ؛
- الويستفاليان ب، بسماكة 600 م على الأكثر، مع تناوب للصخر الزيتي والحجر الرملي مع طبقات الفحم ؛
- الويستفاليان س، بسماكة 500 م بتناوب الحجر الرملي وتكتلات الحجر الرمادي وحجر السيلتيت ؛
- الويستفاليان د، وهو يشبه الويستفاليان س.

وتظهر فقط العوارض العليا للويستفاليان س غرب طريق وجدة-بوعرفة، تمتاز بقيمة اقتصادية، وتم القيام بثمان مراحل لترسيب الكربون غير أنه لا يمكن استغلال سوى 5 طبقات فقط يتراوح متوسط سمكها بين 44 و76 سم.

ويفصل بينهما طبقات من الحجر الرملي بمتوسط سمك يتراوح من 28 إلى 135 م. وقد قام العالم الجيولوجي بوريس أودينكو بتقسيم المجموعات إلى :

- الحوض الشمالي الذي يعتبر الأقل عمقا وتجانسا إلا أنه متصدع للغاية، إذ يبلغ متوسط انحداره 68 درجة باتجاه الشمال، وتصل صفائحه إلى 20 درجة جنوبا ؛
- ويعد الحوض الجنوبي (الأكثر اتساعا مع أكبر مستودع) حيث توجد جميع الطبقات المتقاطعة مع الصدوع الكثيرة.

تبدو الجوانب الشمالية للخطوط المتزامنة مائلة قليلا وأيضا الطبقات، في حين تبدو الجوانب الجنوبية أكثر انحدارا. وعادة ما تكون راسية مع طبقات متصاعدة لأن التضاريس مثنية بقوة في الجنوب. ويتأثر الحوض بالتموجات العديدة التي يمكن رؤيتها على السطح بسبب الصخور المترسبة.

أحد الكتب المحفوظة من قبل قسم الجيولوجيا

اكتشاف الحقل المنجمي

تم الإبلاغ عن اكتشفات كربونية سنة 1908 من قبل لويس جونتي في بلاغ إلى الأكاديمية الفرنسية للعلوم، بيد أن العلماء خلال تلك الحقبة اعتبروا المواقع الفحمية لشمال إفريقيا عقيمة. ولم يتم تحديد حقل الاستغلال الذي يقع بالجهة الجنوبية لجبل جرادة إلا سنة 1928.

قام العلماء الجيولوجيون برواية القصة بأنفسهم في أكتوبر 1928 : «إذ أبلغ ج. هاروي في يناير *1927* إلى وجود الشيست والحجر الرملي. وفي دجنبر عثر ج. هارويوج ولافرونلييف على آثار نباتات أكدّت الاحتمالات الأولى. واكتشف أندري بريشان بصمة لنبات السرخس. ونظرا لأهمية هذه الاكتشافات سيتقرّر إجراء دراسة جيولوجية للمنطقة. لقد تمكنا من الوصول إلى أن الأمر يتعلق بحوض حقيقي للفحم، يضم سلسلة من الطبقات الفحمية الكبيرة بالقدر الكافي للتنبؤ بالمستقبل الصناعي لهذا الحوض».

من خلال روايته، قدِم العالم الجيولوجي الشاب البلجيكي أندري بريشان من أوروبا لقضاء حفلات نهاية رأس السنة بجانب والده الذي كان يعمل حارسا للغابة بالعوينات آنذاك. وفي طريقه اتجاه وجدة على ظهر الحصان، رأى أرنبا أسود مسخم، فطارده إلى جحره وهناك اكتشف نبتة السرخس الشهيرة.

قام بأخذ عينات من النبتة وعمل على تحليلها لدى عودته إلى بلجيكا. وبعد النتائج الهائلة التي توصل إليها، قام مهندسو الشركة البلجيكية أورغيماريهاي بزيارة للموقع في مارس 1928 ونجحوا في الوصول إلى طبقات الفحم الغير معدلة.

دفتر عالم الجيولوجيا (1945)

يمكننا إضافة التلال العديدة، الشامخ بعضها، والمعدات الصناعية... أو الخطوط العالية الضغط المعبأة أكثر من أي وقت مضى والبنيات التحتية للنقل التي تجوب المشهد الطبيعي...

كان للمنجم دورا كبيرا في ميلاد تجمعات بشرية من نوع جديد بالنسبة للإقليم، قلعة صناعية مكتملة الوظائف الحضرية، مجموعة لازالت وظيفتها تدفعها إلى إنتاج ونقل الطاقة. لقد تمكنت جرادة بفضل المنجم من النمو بشكل أسرع، تجاوز الحدود المتضاربة في فضائها مع الإبقاء على طبيعتها العقلانية في مجال الاقتصاد.

جرادة، القلب الطاقي

ولدت جرادة منفتحة وعاشت على إيقاع الأسواق العالمية للطاقة، حيث استقبلت جنسيات مختلفة لتلبية احتياجاتها من الموارد البشرية. وكانت مضطرة للرفع من أسهمها أو تجاوز الأزمات التي كانت تدفع ضحاياها إلى الهجرة منذ قرون.

حرّكت الأشغال الأولى للمهندسين والتقنيين البلجيكيين إلى جانب اليد العاملة المغربية والمحلية المنحدرة من قبائل شبه رحل للمجالات الترابية القريبة. مغاربة قدموا من مناطق مكتظة بالسكان من ربوع المملكة، جزائريون وأوروبيون فروا من أوضاع مضطربة... لتصبح جرادة ومناجمها بعد عشر سنوات من الوجود معروفين على نطاق أوسع خارج الحدود المغربية.

تصدير الفحم الحجري وإشعاع جرادة

تعددت وجهات تصدير الفحم الحجري لجرادة خلال الفترة ما بعد الحرب إلى الستينيات. وانطلاقا من الغزوات (المعروفة بنمور إلى حدود سنة 1962) التي توجد بالقرب من وهران، كان يتم تصدير المادة الأساس إلى أوروبا، أطنان هامة سنويا : فرنسا (من 60 000 إلى 80 000 طن)، يوغسلافيا (ما يناهز 30 000 طن)، إيطاليا (من 4 000 إلى 10 000 طن)، بلجيكا (بالنسبة للأحجام الكبرى)، البرتغال واليونان ورومانيا... وبالنسبة لإفريقيا فقد هم الأمر الجزائر وتونس وأيضا بلدان بعيدة كالكونغو. وبالنسبة للموانئ المستقبلة للفحم، نجد بفرنسا، دييب وبايون على المحيط الأطلسي ؛ بالنسبة لإيطاليا مينائي تشيفيطافيكيا وسافون، البرتغال، لشبونة. هكذا جاب الفحم المغربي ولفترة طويلة الفضاء الاقتصادي لآلاف الكيلومترات حول جرادة.

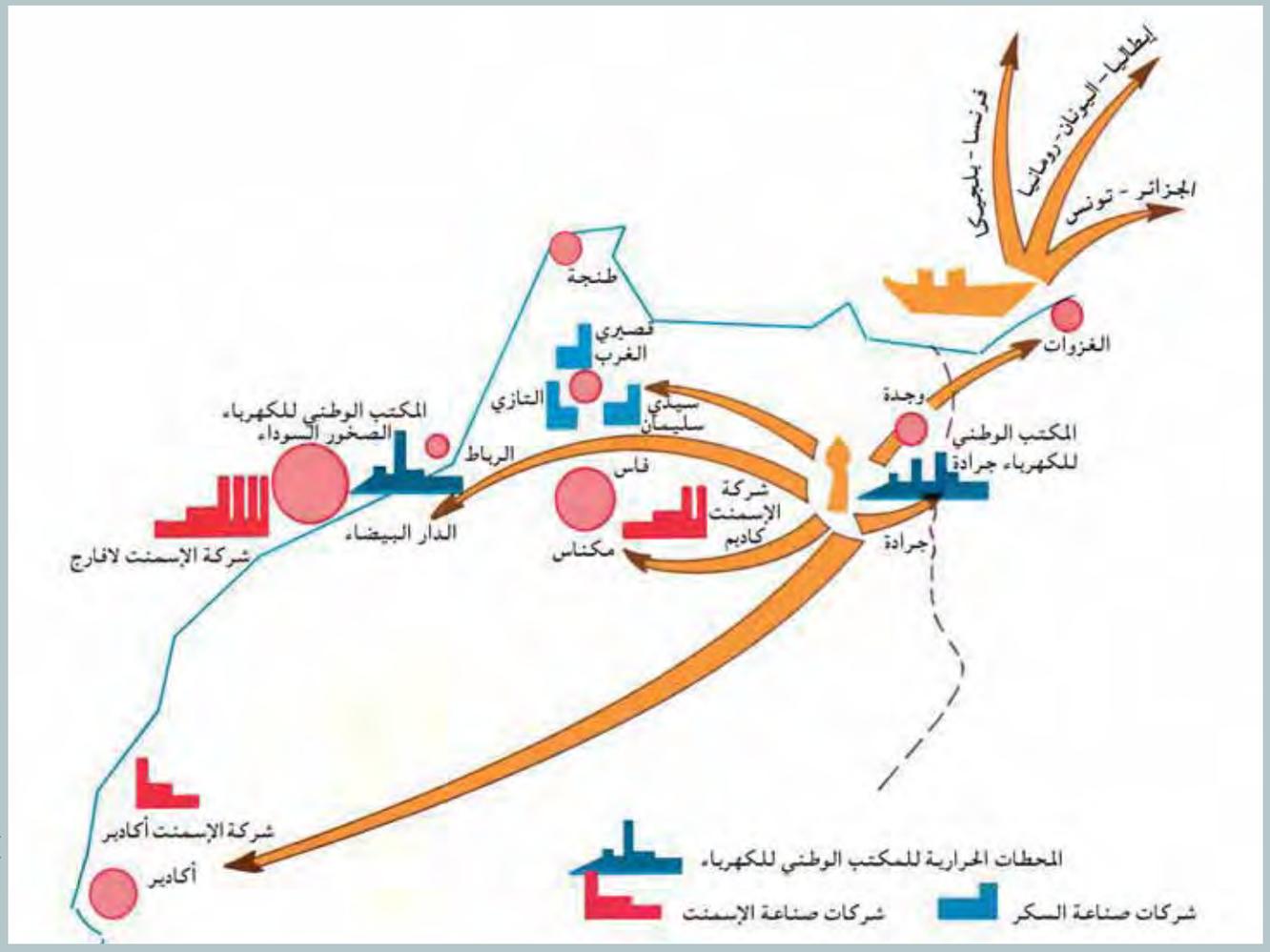

خريطة تيارات التوريد، نشرت في كتيب عام 1972 "مفاحم شمال إفريقيا"

الأراضي حول جرادة والخطوط الكهربائية العالية الضغط التي تؤكد دورها الكبير في مجال الطاقة

لقد كانت جرادة معروفة بفحم الأنتراسيت الذي يعد الأول من نوعه بالقارة، وسرعان ما سيتم تصدير جزء منه إلى وجهات أوروبية إذ أصبح لجرادة إسم داع صيته. وسيحصل أن يتم خلال نهاية الستينيات أن استوعبت السوق المحلية كل الإنتاج وتوقف خط التصدير مع الخارج. وسيسهم الحفاظ وإعادة انطلاق الحياة الثقافية في المرحلة الأولى، بانفتاح جرادة من جديد على الخارج ووضع الأسس لإشعاع جديد سيكون له دور مهم في جذب انتباه مستثمرين جدد قدموا من وجهات أخرى.

توفير فرص الشغل، جعل جرادة بلا حدود

شرع مسيرو المناجم في الثلاثينيات في البحث عن اليد العاملة خارج القبائل المحلية إذ كان غياب العمال يؤثر على الاستغلال المنجمي، لارتباطهم بشكل وثيق بأنشطتهم الفلاحية والرعوية. لقد كان العمال يغيبون عن العمل من أجل الرعي إن لزم الأمر ذلك. خاصة خلال المواسم. إلا أن هذه المشاكل لم تكن مسجلة لذا العمال المنحدرين من المناطق البعيدة. فقد كان يتم إرسال مشغلين إلى مناطق مختلفة من المملكة. خاصة سوس حيث يعرف أبناؤها ببنيتهم وقامتهم التي تتوافق وهذا النوع من العمل بالأنفاق الضيقة للمنجم.

يرتكز هذا السعي إلى التشغيل، الذي تصاحبه علاوة عند التوقيع، على امتيازات وظروف العيش التي سيوفرها المنجم، حيث عمل على التعريف بجرادة في جميع أنحاء المملكة. ونظرا لمغادرة العديد من العمال للمنجم بعد جمع ذخيرة مالية أو بعد الطرد أو بسبب مرض البعض منهم، فستمر رحلة التشغيل بالشكل الذي سمح لجرادة بأن تعرف بالمغرب وأن تستمر إلى غاية إغلاق المنجم. كما سيتم أيضا تشغيل أوروبيين يعيشون في المغرب وخاصة في وجدة.

بدأت شهرة جرادة تنتشر في الخارج، حيث امتدت إلى الجارة الجزائر. خاصة مدينة وهران القريبة بل أيضا أوروبا من خلال شبكة المهنيين، والتي قدمت منها يد عاملة مؤهلة وأطر مختصة في المناجم، الشيء الذي ألمع الصورة الخارجية لجرادة لما يزيد عن سبعين سنة.

ROYAUME DU MAROC

MINISTERE DU TRAVAIL
ET DES AFFAIRES SOCIALES

CONTRAT DE TRAVAIL D'ÉTRANGER (1)

(A ETABLIR EN QUATRE EXEMPLAIRES)

Après avoir été rempli au recto et au verso par l'employeur, le présent contrat est adressé au Ministère du Travail et des Affaires Sociales à Rabat.

Le présent contrat n'est valable que pour une seule personne.

Il est rappelé que les articles 309 et suivants du Code Pénal punissent de peines d'emprisonnement et d'amende l'établissement et l'usage de faux contrats.

EMPLOYEUR :

Nom, adresse, profession (ou dénomination et nature de l'entreprise) : CHARBONNAGES DU NORD AFRICAIN - JERADA

Numéro de téléphone : 103 - 104

Numéro d'inscription de l'entreprise au registre du commerce : 76 65

Numéro d'affiliation à la C.N.S.S. : 92.206

SALARIE :

Nom (en lettres majuscules) : CHERKIT Prénoms : Raymond

Né le 6 Janvier 1945 à Kalaylf (Tunisie)

Nationalité : française Profession habituelle :

Domicilié à : JERADA

Adresse au moment de l'établissement du contrat : JERADA

Arrivé au Maroc le 27 Décembre 1962 par OUJDA - Marion

Muni du passeport n° 628 délivré le 13 Décembre 1962 à CASTIGLIONE

(pour les étrangers résidants) numéro, date et lieu de délivrance du certificat d'immatriculation délivré par la Sûreté Nationale : Folio 247 - Reg. 6/63 - du 11 Décembre 1963 à JERADA

Profession indiquée sur ce certificat : Destinateur

Dernière résidence (pays, ville, rue, n°) avant l'arrivée au Maroc : CARPENTRAS (Vaucluse)

Le salarié est engagé en qualité de : employé de 3e Classe (Affecté - Minier)

ou pour une durée indéterminée, la durée du préavis ou délai-congé à observer étant de : 12 jours

Lieu d'emploi au Maroc : JERADA

Montant du salaire : 11,38 dirhams par [redacted]

Le salarié sera [redacted] logé par l'employeur. En fin de contrat de base

Le paiement des salaires sera effectué [redacted] quinze jours [redacted] et en espèces.

Il ne sera pas effectué de retenues sur les salaires en dehors de celles qui sont prévues par la loi ou qui pourraient faire l'objet d'une notification judiciaire.

Le présent contrat produira effet à compter du 21 Janvier 1963 date de son [illegible] aux [illegible]

L'employeur est tenu d'aviser sans délai les services locaux du police et par lettre le Ministère du Travail et des Affaires Sociales à Rabat de la réalisation du présent engagement, que la réalisation soit le fait de l'employeur ou le fait du salarié. Il devra renvoyer le présent avis si l'engagement n'était pas renouvelé à la fin de chaque période.

Vu du Ministère du Travail et des Affaires Sociales

Fait à JERADA, le 30 Novembre 1963

Le Salarié, L'Employeur

تم تشغيل أجانب حتى بعد الاستقلال

جرادة، نشأت وترعرعت في التنوع والانفتاح والتعايش...

ما أن اقتنعت بأن الحقل مهيأ للاستغلال الصناعي، حتى قامت شركة أورغي-ماريهاي بنقل عشرة عمال مناجم بلجيكيين إلى الموقع لتدريب العمال المغاربة وتأطيرهم في عملهم المبتدئ على تقنيات الاستغلال والتي تعتمد أساسا على حفر منحدرات أقل عمقا.

وابتداء من 1934 سيُشرع في حفر البئر الأول الذي سيشتغل عام 1936. وسيبدأ في تحويل الاستغلال المنجمي إلى مرحلة صناعية بشكل تدريجي. وسيصل تقنيون أجانب جدد. وستتسع رقعة التشغيل بجهات أخرى بالمملكة بوتيرة أسرع.

سينمو حجم القوى العاملة مع تطور التجهيزات، وسيستقر في أوائل الخمسينيات إلى حدود الثمانينيات في حوالي 5 000 أجير. فخلال ثلاثين سنة، ورغم اختلاف أصولهم، سيتأقلم العمال بسهولة مع الحياة المنجمية. وابتداء من 1948، سيقل عدد العمال المنحدرين من جهة الشرق عن السوسيين أي (2 300 عامل من أصل 5 700 سنة 1949، و1 700 من 4 765 سنة 1950). وقد كان للجهات الأخرى أيضا نصيب في توفير اليد العاملة، بحيث سنة 1952، ومن أصل 5 638 عامل، نجد 218 من مدينة مراكش و200 من الريف و104 من فاس...

وقد عرفت التغييرات الديموغرافية منحى سريعا بسبب قلة معدل بقاء العمال الذي لا يتجاوز سنتين بالمناجم إذ كانوا يعودون بمدخراتهم للاستقرار بالجهة التي ينحدرون منها. ففي 1954 على سبيل المثال استلزم الأمر للحفاظ على اليد العاملة توظيف 2 082 شخص، 100 شخص منهم قدموا من فرنسا والجزائر. كما بلغ عدد الأجانب في الخمسينيات 600 شخص من جنسيات فرنسية واسبانية وجزائرية وكانت كل جنسية تمثل ثلثا صغيرا، بالإضافة إلى بعض الألمان والبلجيكيين.

وكان جميع المهندسين والأطر الذين يعملون في القاع آنذاك ينحدرون من فرنسا. إلا أنه سيتم تنظيم المنجم وستأتي بشكل تدريجي أطر مغربية مدرّبة بمناجم الفحم الفرنسية، كما سيدفع تعدد الخدمات الاجتماعية. خاصة بعد إنجاز القلاع العمالية الأولية في بدايات السبعينيات إلى إحضار زوجاتهم وأطفالهم وسيكوّن عدد من العزاب أسرا وستتجه الأغلبية نحو الاستقرار الدائم.

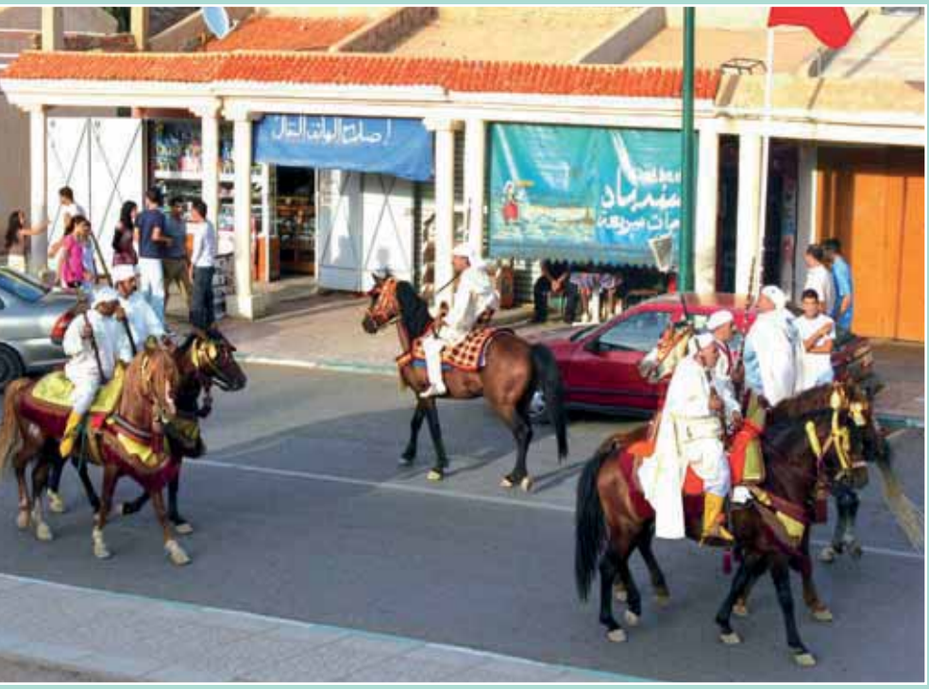

استأنفت فعاليات الاستعراضات بالمدينة سنة 2010، أغنية بألوانها وزيها الذي يمثل جميع الجهات التي ينحدر منها عمال المناجم

تشكل ساكنة جرادة فسيفساء، كما تشهد على ذلك الحفلات التي يعرض فيها عمال المناجم المنحدرين من جهات مختلفة، تقاليدهم وأغانيهم وموسيقاهم ورقصاتهم بالزي المحلي... إنها منافسة ثقافية حقيقية تتم في جو مليء بالفرح وروح الدعابة الجميلة.

المغرب يحتضن شركة كبيرة مندمجة ذات أنشطة بفروع

لم يكن إشعاع جرادة بربوع المملكة بفضل عملية التشغيل فحسب. فمع الشروع في استغلال المنجم سنة 1931، كانت احتياجات البلد من الفحم الحجري تصل إلى حوالي 150 000 طن. لم يتناسب الفحم الحجري مع جميع المعدات ولم يكن بالإمكان تحويل البعض منها، وجاءت فكرة إنتاج هذه الكمية واستغلال نصفها بالمغرب وتصدير البقية خارج البلاد. استمرت هذه الفكرة : واكبت نمو الإنتاج ووثيرة التصنيع بالبلاد. حيث أصبحت أكبر مصانع الإسمنت الوطنية في العديد من المدن سنة 1970 تتزود بفحم جرادة (كالدار البيضاء وأكادير ومكناس)، وأيضا مصانع السكر بالغرب ومحطات توليد الطاقة الحرارية للمكتب الوطني للكهرباء ومعامل صهر الرصاص وتكليس المنغنيز، الذي تستعمله بعض المدفآت للتسخين المركزي (خاصة في الأماكن العامة كالإدارات والفنادق) بالمنازل والحمامات والقطارات...
تم إنشاء الشركة الفرعية للفحم سوكوشاربو سنة 1945 للإنتاج بعلامة سوكومار. وتوزيع العلامة الفرنسية كُودان، خاصة المدفآت التي تستعمل فحم جرادة. وستوسع سوكوشاربو أنشطتها لتشمل توزيع منتجات محلية (كأجهزة التلفاز والتبريد تحت إسم العلامة المغربية سيبيرا) ليكون عمال المناجم المغاربة أول المستفيدين منها آنذاك.
ونظرا لعدم توفر مناجم جرادة على جميع مكونات الجودة الضرورية للفحم بالمغرب، ونظرا للإنتاج المحدود لهذه المادة، ستصبح الشركة أيضا مستوردا رئيسيا وخاصة أمام احتياجات محطات توليد الطاقة الحرارية للمكتب الوطني للكهرباء. بحيث ستقوم سنة 1980 باستيراد أزيد من مليون طن، وستمثل 70% سنة 1982 من الاستيرادات المغربية لمادة الفحم، ويعود نصف رقم معاملاتها إلى المكتب الوطني للكهرباء. تم اختبار نفس فكرة الإدماج بالنسبة لمعدات البناء التي تعتبر جرادة أكبر مستهلك لها قصد بناء منشآتها وخاصة إقامات الأجراء.
وحصل أيضا شراء وقود وقرميد شمال إفريقيا سنة 1943 وتم تطويرها من قبل المفاحم الذي لا يعد زبونها الوحيد.
وفي نفس السياق، تم الانتهاء من «التليفريك» عام 1934 التي أنشئت لنقل المعدن الخام من جرادة تجاه كُنفودة، وتم بناء مصنع يطلق عليه مصنع التجميع لتأهيل الرقائق الناتجة عن الاستخراج والفرز ومعالجة الفحم. فهي وفيرة وتشكل الإنتاج الرئيسي بالطن الواحد، لكنها غير مثمنة ويعمل المصنع على تحويلها إلى :

- قوالب لتشغيل قاطرات السكك الحديدية بالمغرب والجزائر ؛
- كرات للتدفئة المنزلية.

غير أنه سرعان ما ستصبح الشركة الفرعية بدون جدوى مع ظهور البنزين واستعماله لتشغيل القاطرات، وتشغيل محطات الطاقة الحرارية التي تعتمد على نسبة ضئيلة من الوقود، وسيبدأ الاختفاء التدريجي للمسخنات المنزلية التي تعتمد على الفحم.
يظهر من خلال هذه الأمثلة أن الخطأ الذي ارتكبه المسيرون يتجلى في عدم إنشاء منظومة اقتصادية وصناعية وتجارية حول المناجم للأنشطة المتعددة والمختلفة والمنتشرة بربوع المملكة.

CHARBONNAGES NORD AFRICAINS
SERVICE DU PERSONNEL
(Prêts mobilier)

JERADA, le 06 Octobre 1977

BON N° 53 / Ouvriers

4730

BON DE COMMANDE

SOCOCHARBO / JERADA

CLIENT	APPAREIL
- NOM	- TYPE .....
- PRENOM	- MARQUE .....
- MATRICULE	- MODELE .....
OBSERVATIONS	- PRIX / .....
.....	- LIVRE LE : .....
.....	
.....	
.....	
Acceptation du client :	

APPROBATION

Le Chef de Bureau,

Visa Agent
SOCOCHARBO

Le Chef de Service,

طلب لسوكوشاربو
من قبل السيد يحيى عمامو
بخصوص تلفاز من نوع سيبرا

نموذج الاشهار
لسوكوشاربو
من أجل تعزيز
علامتها التجارية
للسخانات بالفحم
الحجري : صوكومار

نموذج تمثيلي لمدفأة الفحم كُودان
الموزعة من قبل سوكوشاربو

آجور وقرميد شمال إفريقيا

من أجل ضمان الانتاجية والتحكم في سعر التكلفة ودمج هامش الربح قبل تشييد المباني، استحوذت شركة المفاحم على وقود عين السراق عام 1943. ومع إنشاء مفاحم شمال إفريقيا عام 1948، تم تأسيس شركة مختصة تحمل إسم آجور وقرميد شمال إفريقيا، تمتلك مفاحم شمال إفريقيا نسبة 62% منها إلى جانب المستثمرين الخواص الأربعة. كان الغرض من تأسيس آجور وقرميد شمال إفريقيا، صناعة وبيع جميع معدات البناء وجميع أنواع مواد السيراميك وأي نشاط من شأنه تطوير تجارته. كما أنها تعمل على تسويق الفحم ومعدات التكييف وتقديم الخدمات.

تحتل شركة آجور وقرميد شمال إفريقيا الواقعة على بعد كيلومترات من جنوب وجدة، حوالي 20 هكتار مع مقلع من 5.6 هكتار على بعد 500 متر من المنشآت. ويصل سمك الطبقات الطينية إلى 50 متر بينما تعد 0.50 متر كافية لإنتاج سنة. تُوظف شركة آجور وقرميد شمال إفريقيا 20 عامل بما في ذلك ثلاث أطر ملحقين بالمفاحم، سيعملون على تطوير الشركة بشكل كبير ويتم تجهيزها لتحتوي على كسار للعبوات وجهاز للقياس، وأربع كسارات مختلفة الأنواع وقالب وناقلات بأشرطة وفرنان يكملان المنشأة، وقد أنشئ الفرن الأول في 1950 وتم توسيعه عام 1993، بينما أنشئ الثاني عام 1987.

يُخلط الطين بنفايات التعدين وطمي من حبيبات الفحم الحجري التي تنتج عن غسل الفحم والذي يسمح بالطهي الذاتي للقوالب، وهي عملية غير مسبوقة في المغرب. يقوم المصنع بتصنيع البلاطات وأنواع من الآجور يصل إلى 3 و6 و8 أو 12 ثقب بالإضافة إلى قوالب ممتلئة. وعملت آجور وقرميد شمال المغرب على تسويق هذه المنتجات، خاصة الآجور، واستحوذت على ربع السوق المحلي خلال التسعينيات. وبالرغم من ذلك أنذرت هذه الدروة بتراجع محتمل، بحيث تجاوزت المعدات 25 سنة. وبعد إغلاق المناجم سنة 2001، قام المكتب الوطني للكهرباء بتسيير الشركة قبل تصفيتها في إطار قانون المالية لسنة 2003.

لم يتبقى إلى يومه أي أثر لشركة الآجور التابعة للمفاحم، والتي تم هدمها سنة بعد إغلاق المنجم

جرادة في قلب نظامها البيئي الترابي

طبيعيا جرادي، فالمنجم كان ينتعش أيضا بشكل واسع بمحيطه الذي لم يكن يوفر له مناطق تحويلية فقط، وإنما أيضا موارد ضرورية كالماء والمعدات الأساسية التي لولاها لاستحال استغلاله.

تعد جرادة نفسها مدينة مجزأة، تعتبر فضاء صغيرا أكثر منها مدينة، ويبدو ذلك جليا من خلال تركيبتها والأحواض المنشأة التي تم حولها تشييد المباني. فقد أثرت المنشآت الصناعية على مواقع تنمية العمران في الفضاءات التي تُركت خالية ومنعزلة في الفضاء عن المواقع الأساسية أو المحتمل تعبئتها للأنشطة.

وبالرغم من ذلك، فقد بات معروفا منذ الثلاثينيات توفر جرادة على حقلين مميزين، يطلق عليهما حوض الشمال بالنسبة للأول الذي أصبح قيد التشغيل والحوض الجنوبي. تم في المرحلة الأولى تجهيز الحوض الشمالي ببعض المنازل وبئر استخراج. غير أن جرادة كانت تعاني من ندرة المياه وصعوبة التنقل في هذا الموقع الجبلي.

وستواجه المقاربة الترابية هذه الصعوبات : وسيشمل المنجم ومعداته العديد من المواقع البعيدة أحيانا مثل كْنفودة وعين بني مطهر.

يفسر هذا الأمر إلى حد كبير توزع المنشآت العقارية والمواقع السكنية المتعددة أو بنايات الاستغلال وتعد القيود الطبيعية المحلية وتاريخ تطوير المنجم مفاتيح لفهم ذلك.

وقد عبأت الشركة الملكية للفحم لجرادة الماء والطرق والسكك الحديدية في كْنفودة مما ساهم في سد احتياجات الحوض بما يكفي، حوضا صناعيا يتوافق مع الإنتاج، يتسع لمصنع للتجميع ومن هناك يمكن شحن المنتوجات النهائية بسهولة. اختارت الشركة الملكية للفحم حلا جريئا يعتمد على استثمار مهم : يهم بناء تيليفريك بامتداد 22 كلم، يعد الثاني الأطول من نوعه في العالم، لقدرته على نقل 80 طن من الفحم في الساعة من جرادة إلى كْنفودة .

وكانت الحرب سببا في الحد من إمكانية تمويل شركة الفحم وقطع أهم العلاقات التجارية. فقامت الدولة في مواجهة هذه الفترة الصعبة بتدبير الاستغلال المنجمي من خلال اتفاقية تم توقيعها مع الشركة الملكية للفحم. وتمت الزيادة في الإنتاج بنسبة 50% تم رفعها إلى 222 000 غير أن نهاية الحرب سنة 1946 ستوقف مهام تدبير المنجم من قبل الدولة، تاركة وراءها ثلاث مشاكل :

- أجهزة بالية وغير صالحة ؛
- نفاذ سريع للحوض الشمالي ؛
- سعر التكلفة أقل تنافسية.

ولمواجهة هذه الأزمة، تطلب الأمر تدخل شركة ذات رؤوس أموال قوية، ليتم تأسيس شركة مفاحم شمال إفريقيا التي كان رأس مالها يبلغ أضعاف رأس مال الشركة الملكية للفحم، التي تدمجها بالإضافة إلى جهود الدولتين المغربية والفرنسية ومستثمرين خواص. من جهتها عملت الدولة المغربية على تحقيق مشروعين أساسيين، ويتعلق الأمر :

- بالسكة الحديدية جرادة-كْنفودة كي يتم استبدال التيليفريك الذي لا يكفي لإجلاء 600 000 طن خلال السنة من بينها السلال الممتدة على طول 1 804 متر والمتصلة بخط وجدة-بوعرفة ؛
- إمداد المنطقة بالماء من بئر بالقرب من عين بني مطهر.

لم يمكن بالإمكان اعتبار الاستغلال المنجمي بجرادة سوى منظومة اقتصادية إقليمية.

المنتوجان الإثنان لمصنع تجميع المنجم :
الآجور حوالي 10 كلغ (على اليمين)
والكرات (على اليسار)
خصّصت الأولى للقطارات على وجه التحديد
والثانية للتسخين المنزلي

يجمع هذا القطار الكهربائي إنتاج المنحدرات (1948) (أرشيف)

تحمل الشاحنة من نوع بيرليي جميع المعدات الكبرى للمنجم
وعادة ما يرافق سائقها مساعد (1945) (أرشيف)

التيليفريك في البداية بجرادة (1948) (أرشيف)

يربط هذا التيليفريك جرادة بمغسل كْنفودة على امتداد 22 كلم (أرشيف)

منشأة استقبال مركبات التيليفريك بكْنفودة حيث يتم شحن القاطرات.
بين السكتين أكياس الفحم الحجري من حجم كبير، جاهزة لنقلها للمشترين (أرشيف)

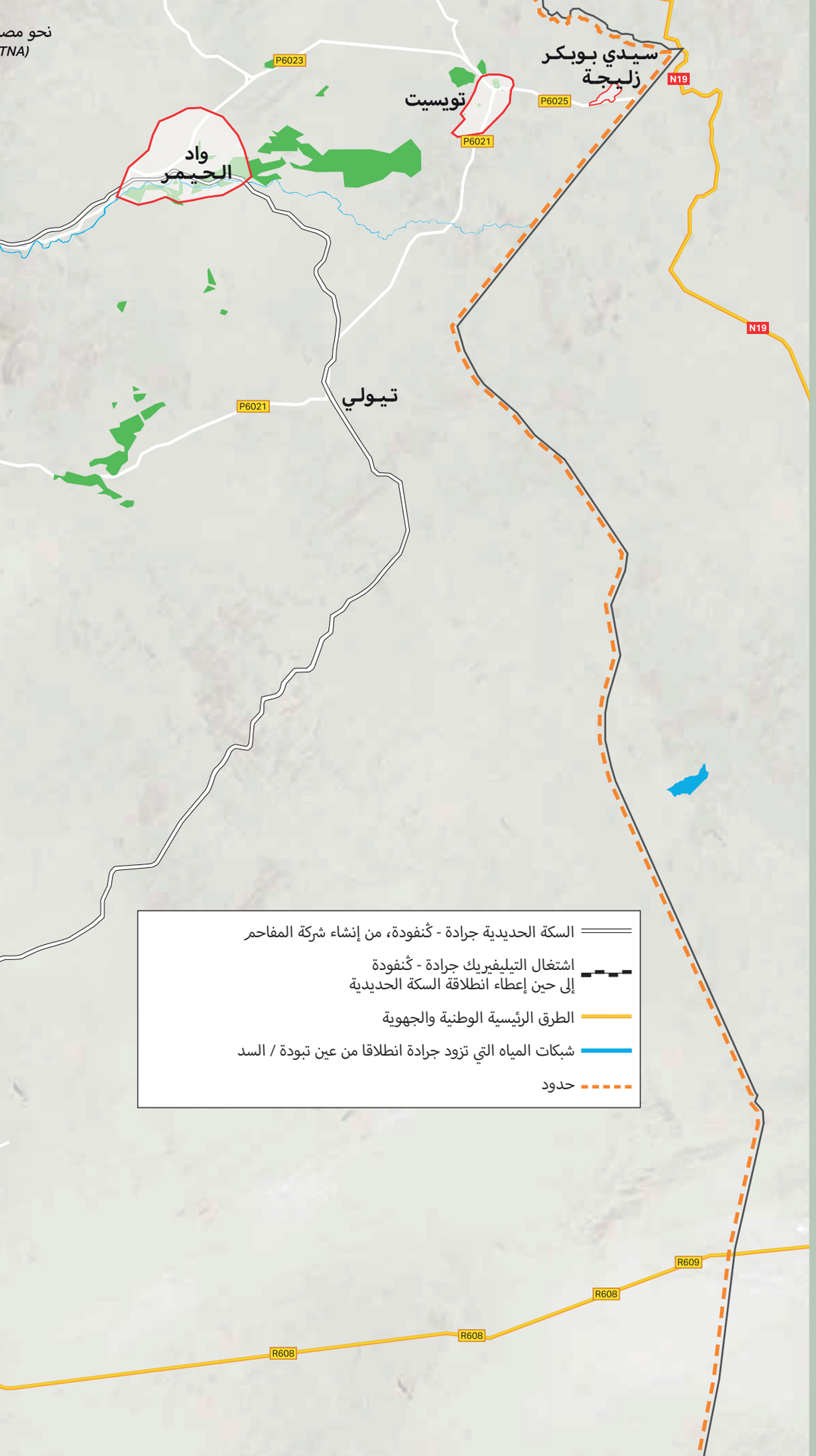

تعبئة كافة الموارد الترابية

لقد كان التزويد بالمياه في البداية يتم من منبع عين خنديف من بئر يؤمن صبيب لترين في الثانية، بالكاد يكفي للتنظيف ولغسل مئات الأطنان خلال السنة. سيتم لاحقا اكتشاف مخازن كبيرة للمياه بكُنفودة بالقرب من واد إيسلي : وسيتم بناء محطة للفرز والغسيل قادرة على معالجة ما يناهز 200 000 طن سنويا.

وقد كانت في البداية الجمال تقوم بنقل الفحم الخام إلى كُنفودة مرورا بمسار صعب، لتقوم الشاحنات بتعويض ذلك بمجرد تحسن الوضع، إلا أن الحل الذي تم نهجه للرفع من الإنتاجية تجلى في التليفريك الشهير الذي بدأت أشغاله سنة 1931 وانتهت سنة 1934.

ذلك أن المقطورات 566 المعلقة بسلك على شكل حلقة بدون نهاية، تصل سعته إجلائها 80 طن في الساعة، وصلت 100 طن عام 1946 بعد إضافة مقطورات جديدة.

شكّلت كُنفودة الواقعة على الطريق والسكك الحديدية لبوعرفة-وجدة محطة شحن مثالية، حيث كان الفحم جاهزا للاستعمال، مرتبا بعناية ومعبأ في أكياس تزن 50 أو 100 كلغ.

كان الفحم يُشحن في مرحلة أولية في شاحنات يتم نقلها بالسكك الحديدية فور انطلاقها والتي كانت تربط وجدة بميناء غزاوت، النمور، في 6 مارس 1936 ليرتفع الإنتاج إلى 460 000 طن سنة 1952. وبلغت هذه السعة الحد الأقصى بالموازاة مع المعدات المتوفرة وبمساهمة منحدرات حاسي بلال التي افتتحت عام 1947.

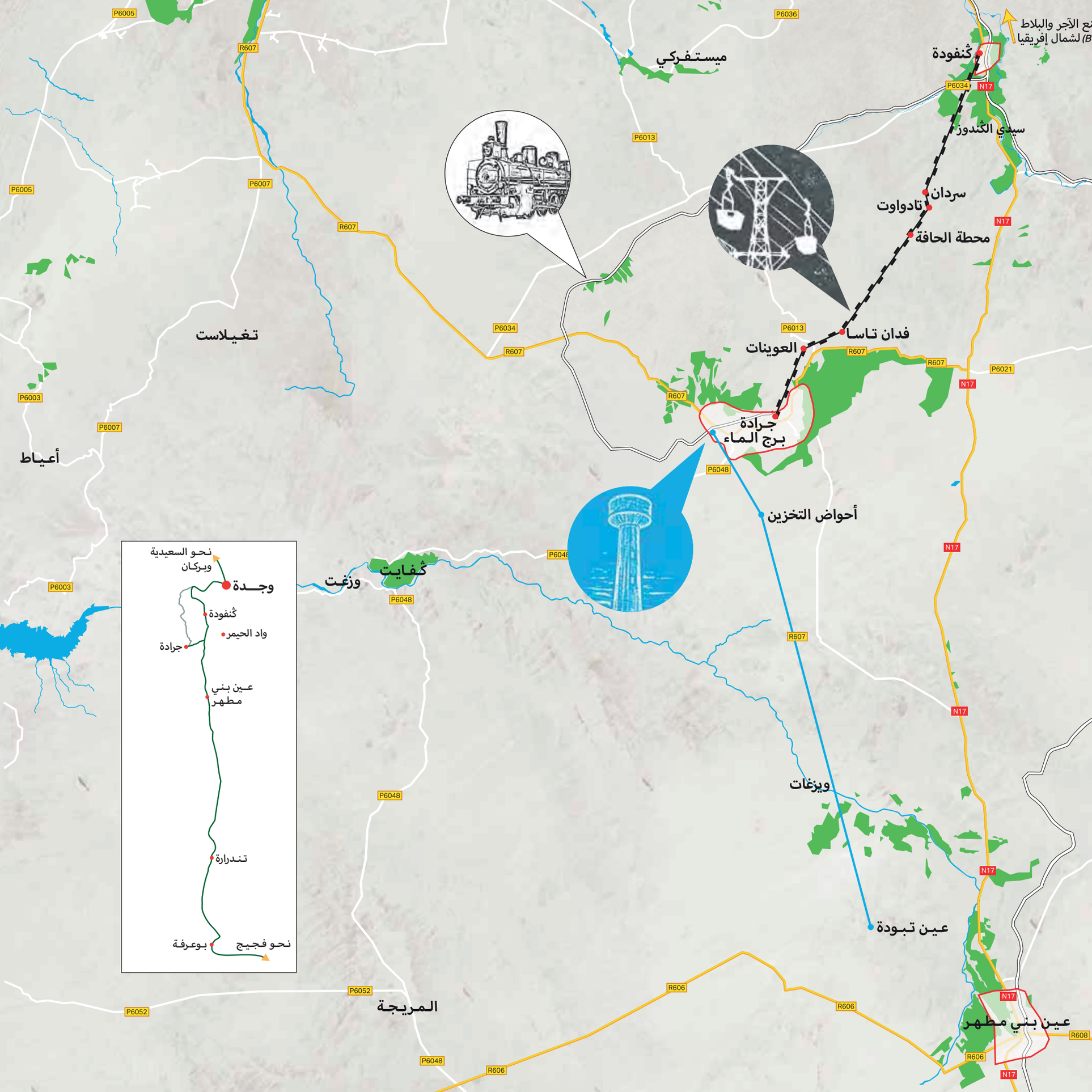
مصنع الآجر والبلاط
(Briqueterie) لشمال إفريقيا
كنفودة
ميستفركي
سيدي الكندوز
سردان
تادواوت
محطة الحافة
فدان تاسا
العوينات
جرادة
برج الماء
أحواض التخزين
تغيلاست
أعياط
وزغت
كفايت
ويزغات
عين تبودة
المريجة
عين بني مطهر
نحو السعيدية وبركان
وجدة
كنفودة
واد الحيمر
جرادة
عين بني مطهر
تندرارة
بوعرفة
نحو فجيج
P6005
P6036
R607
P6034
N17
P6013
P6007
P6003
P6021
P6048
P6052
R606
R608

مجال منجمي

يحدد نسيج المنشآت التي جرى إنجازها بجرادة من أجل اشتغال منجم الفحم، مجال تتواجد به استغلاليات صناعية أخرى تعتمد على الموارد المنجمية.

تم إنشاء أحياء صغيرة كتويست وسيدي بوبكر-زليجا في المنطقة الشرقية، تشبه نماذج مصغرة لمدينة جرادة، مكونات صناعية محدودة ونواة حضرية تفتقر للمعدات، لكن، تتوفر على رؤية منجمية تظهر جلية من خلال تمدن فريد، وعبر أحياء منجمية وأكوام ركامية وبنيات معدنية متغلغلة ومنشآت تقنية أخرى...

جرت بواد الحيمر معالجة الرصاص المستخرج من منجم تويسيت وآخر مستورد يصل إلى 21% عام 1998، !ذ تمت معالجة وتأهيل ما يناهز 92 666 طن سنة 1998.

وابتدأ النشاط عام 1945 لإنتاج المادتين المعدنيتين : الرصاص والفضة. وارتفعت سعة المعالجة تدريجيا لتصل إلى 100 000 طن. وخلال عام 2013 أغلقت المناجم أبوابها حيث أوقف منجم الرصاص نشاطه مع بداية السبعينيات ليستمر الاستغلال الغير مهيكل فقط.

MINES DE ZELLIDJA
FONDEE en PAR J AN WALTER

كيفية إيصال الماء لجرادة

كان الموقع في بادئ الأمر يفتقر إلى الموارد المائية لمد الساكنة التي استقرت بجرادة منذ عام 1931 ومغسل الفحم المستخرج. وسيجري عام 1937 ربط شبكة لنقل المياه من عين تاداوت إلى العوينات حيث أنشئ المقر الرئيسي لمفاحم شمال إفريقيا : أربع لترات في الثانية ارتفعت إلى ستة لترات فيما بعد. وخلال عام 1948، ستشتغل المضخة في واد الهي ببامات القايد وسيتدفق أنبوب من 150 مم مباشرة في صهريج المياه، المجروب. وبسبب النمو السكاني واحتياجات المنشآت من الماء، ستعمل الشركة عام 1952 على إنجاز شبكة متكاملة بـ :

- بئرين بعين تابودا قرب عين بني مطهر ؛
- مجرى حديدي بطول 11 كلم وقطر 400 مم (استبدل في بداية الثمانينات بقناتين من 300 و350 مم ؛
- ثلاث مجموعات للمضخات تعتمد على محركات بمعدل تدفق 60 لتر في الثانية ؛
- حوض استرجاع بطاقة استيعابية لـ 200 متر مكعب
- برج المياه بسعة 10 000 متر مكعب.

وفيما يتعلق بمغسل حاسي بلال، فقد تم إنجاز قناة بطول 28 كلم، تنطلق من عين تابودا وبالضبط من مضخة محطة الصخر نسبة إلى مالك الأرض، يحتلها ويمتلئ الشريط بصهاريج ضخمة بالموقع تعرف ببوشخورت نسبة لعامل الفحم الذي يديرها. وتؤمّن المنشأة صبيبا يصل لمئة لتر في الثانية وتمد مغسل حاسي بلال والأحياء السكنية لجرادة. وتم تثبيت أنبوب ثاني في نفس الاتجاه من قبل المكتب الوطني للكهرباء بين عامي 1969 و1970 لتزويد المحطة الكهربائية الجديدة. وخلال سنة كشف حفر منحدر عن تدفقات مائية هامة، إذ اعتبرها المكتب الوطني للماء بعد القيام بتحليلها على أنها صالحة للشرب، وتحصل منها الشركة على 8 إلى 9 لترات في الثانية.

صهريج المياه، محور الشبكة الهيدروليكية لجرادة

المناظر الطبيعية حول واحة كُفايت

إشعاع مفاحم جرادة بالتواصل

أنجزت صناعة الفحم خلال الستينيات وصلات إشهارية ومطبوعات، بحيث قام السيد جاك لامي، المدير العام لمناجم الفحم آنذاك، بعد سنتين من تعيينه، بإصدار مجلة «الوجوه السوداء لجرادة تخاطبكم».
وكان هذا الإصدار ينجز بالوسائل الخاصة للمؤسسة، على ورق عادي وعلى شاكلة الوثائق المنسوخة عادة.
صُممت كأداة تواصلية داخلية وأيضا للاستعمال الخارجي.

يشرح المدير العام في العدد الأول الدافع وراء هذه الوسيلة : «لكم الحق في معرفة وضع جرادة بالضبط سواء تعلق الأمر بمشاكل تقنية وتجارية أو اجتماعية، سنخبركم عن وضعيتنا وما قمنا بتحقيقه وما يجب القيام به».
عملت مفاحم شمال إفريقيا سنة 1972 على نشر الكتيب التقديمي الأول في نفس السياق.

المحاولة الأولى للمجلة الداخلية للمنجم

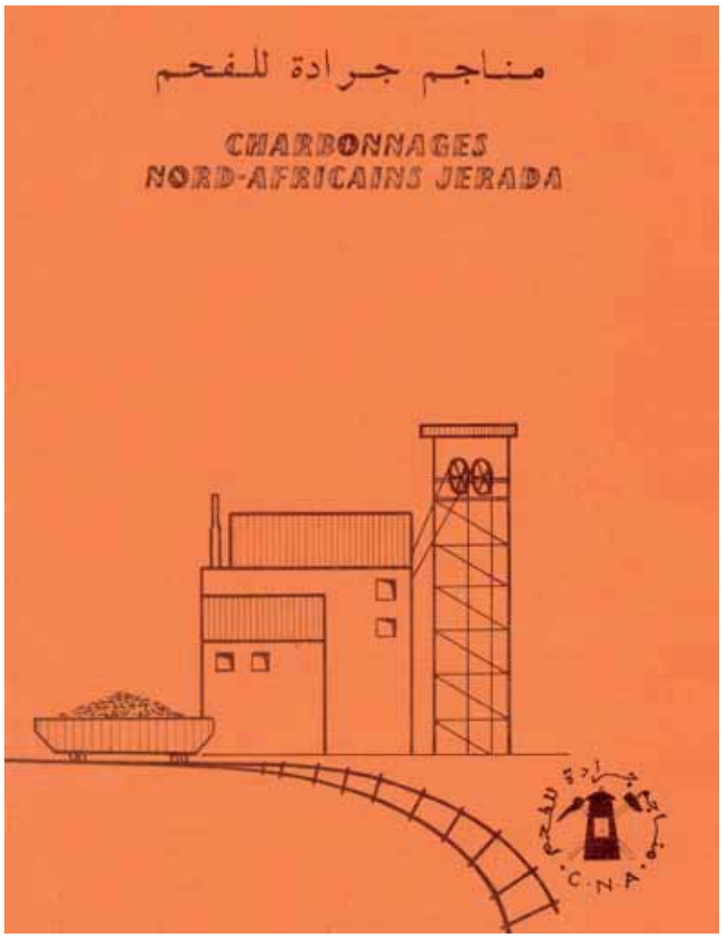

الكتيب الأول للترويج لمفاحم جرادة (1972)

مجلة الحاسي للإخبار والتعبئة

أطلقت الشركة سنة 1992، مجلة تحت إسم مفاحم المغرب «الحاسي» تصدر باللغتين العربية والفرنسية، وقد ظهر إلى حدود سنة 1995 حوالي إثنى عشر عددا.

ستشكل هذه الدعامة وسيلة للإخبار والتعبئة.

ففي العدد الأول، ختم المدير العام للشركة افتتاحيته تحت عنوان «شفافية، عدالة، انضباط»، كما يلي : «المنجم في وضعية حرجة. لنتحد جميعا بإرادة ثابتة ولنبعث فيه الحياة مجددا.»

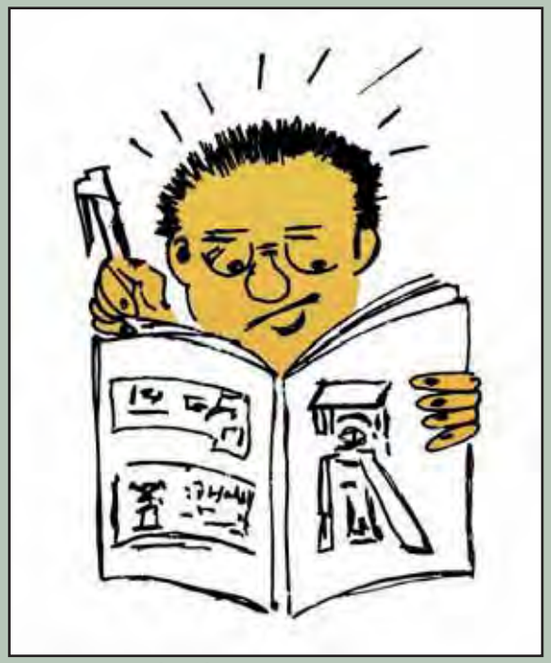

رسم كاريكاتوري لقارئ لمجلة الحاسي، أنجزه أحد موظفي المنجم وتم نشره في العدد 5 من المجلة

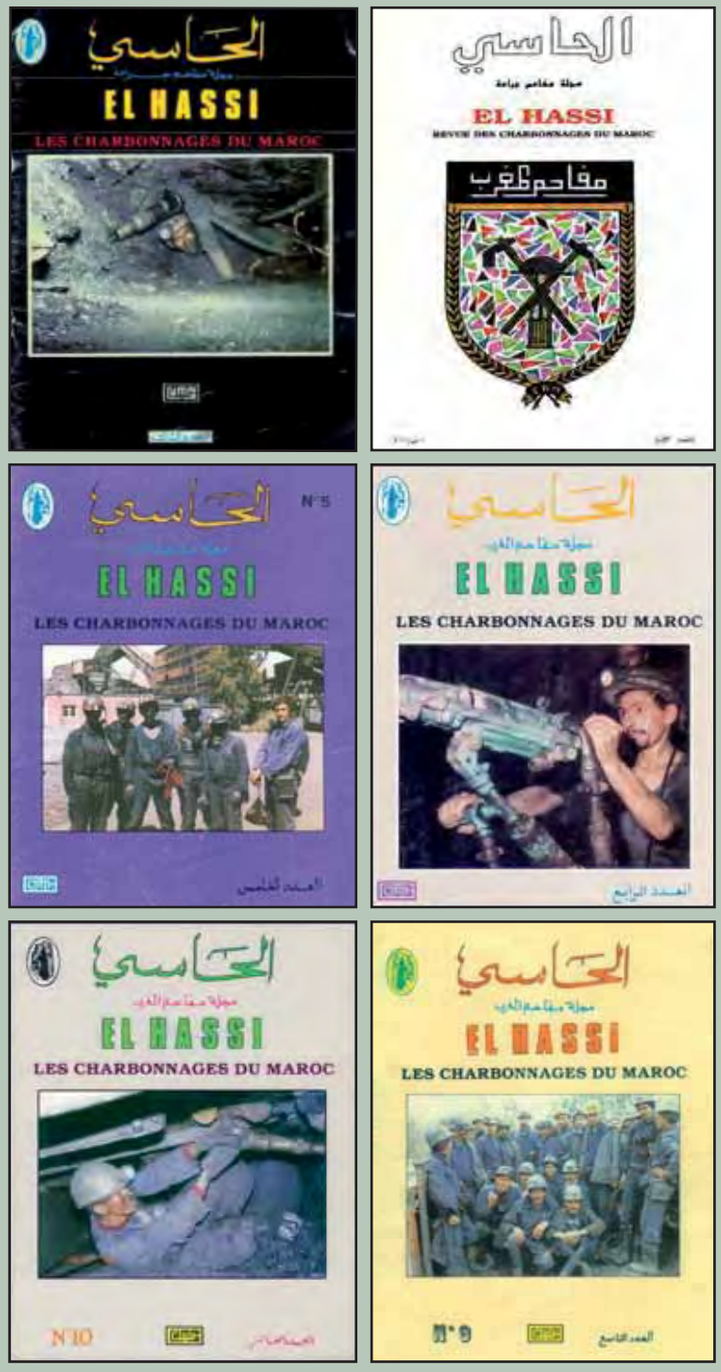

جرادة، نشأة ونمو مدينة منجمية

يجب قراءة جرادة كمدينة جديدة، مدينة الرواد، إبداع أصلي نابع من رغبات إبداعية لرجال من جنسيات مختلفة، مستعدون جميعا للتضحية وبذل الجهود من أجل حياة جديدة، ومغامرة فريدة، واعدة بمستقبل أفضل.
هذا هو الرابط الأقوى الذي جمعهم، والحافز الأكبر لجهودهم الجبارة. تنعكس حكايتهم في مرآة تطور ظروفهم المعيشية ووضعية سكناهم، إذ تترجم هذه الظروف تصورهم المجتمعي والاجتماعي، والصناعي كذلك.

حي الرواد

ابتداء من سنة 1930، قطن بضعُ عشراتٍ من الأشخاص بالمكان، أوروبيون (أغلبهم من بلجيكا) في ثكنات مؤقتة، في حين اكتفى المغاربة بالخيام التي جلبوها معهم. وفي الوقت الذي تزايد فيه عدد العمال، لم يكونوا إلا بعض المئات سنة 1936، السنة التي بين فيها الإحصاء وجود 853 شخصا من مجوع العمال والذين لم يتغير نمط سكناهم. ظروف النظافة الشخصية سيئة، يغتسل العمال في برك مائية، وعندما تتجمد هذه الأخيرة في فصل الشتاء، لا يستطيعون حتى غسل وجوههم ويعودون إلى العمل وعليهم بقع الفحم الذي جمعوه في اليوم السابق. ملابس العمل وأحذيته غير متوفرة، كما أنهم غير محميين.

سيشتغل عمال المنجم الأوائل لسنوات عديدة بأحذية مصنوعة يدويا من ألياف الحلفاء على هذا الشكل

تعددت الحوادث والوفيات الراجعة إلى الجروح المتعفنة أو التي لم تُعالَج. في غياب محاسبة لهذه الوقائع، كانت عائلات الضحايا تتكفل بنفسها بنفقاتهم، وكذا لما انتشرت الأوبئة التي كانت لها آثار مدمرة، نذكر خاصة منها داء السل. شهد المنجم، منذ عقده الأول، إصابات بداء السحار السيليسي الذي لم يكن معترفا به كمرض مهني آنذاك ولم يكن له علاج فعال.

وقد كانت نسبة وفيات الرضع والأطفال مرتفعة، خاصة عند الولادة من بين العائلات القليلة الموجودة حينها، وشكلت الأمراض المعدية خطرا على حياة الأمهات.

تم بناء المساكن الأولى سنة 1933، إلا أن أهم العمليات أنجزت بين 1944 و1948 (80 مسكنا لفائدة الأزواج، 300 للعزاب - يستقبل كل مسكن عددا منهم، ثم 40 مسكنا أطلق عليها إسم «نصف برميل») كما أن الانشغالات الصحية أمكنت المعدات الصحية الأولى. ومع ظهور براعم مؤسسة إنسانية مستدامة، ستتحسن وضعية الأُجراء بجرادة.

مدن عديدة نشأت بفضل الصناعة، خاصة المناجم

ظهرت مع بداية العصر الحجري الحديث التجمعات السكانية المرتبطة بالفلاحة. كما أسفرت الأشغال على المعادن والمبادلات المتوسطية، خاصة عند ظهور المدن الساحلية والمنجمية، المعروفة جيدا منذ القدم.

لقد شيد الفينيقيون والقرطاجيون خاصة موانئ جديدة تابعة في غالب الأحيان لمواقع منجمية للفضة والرصاص، طورها الرومان فيما بعد لصالحهم.

بعض المساكن النادرة المسماة «نصف برميل» تم إنشاؤها سنة 1948 ولا زالت شامخة

يُصنف عدد كبير من المؤلفات القديمة المغربَ كمنطقة منجمية واسعة وغنية بالتجمعات السكنية التي تعتمد على هذا النشاط منذ أكثر من ستة قرون قبل الميلاد. وقد اشتهرت تودغى على سبيل المثال بمناجم الفضة التي شكلت مصدر ثروتها حيث عملت السلالات الملكية المغربية بصك العملات بالمنطقة.

وقد حدث هذا في أوروبا حيث نشأت مدن بالقرب من مواقع منجمية مختلفة، خاصة مناجم الحديد والفحم، وكذا الفضة والملح والذهب وغيرها.

يُعتبر استخراج الفحم ومعالجته وتوزيعه، أنشطة تميزت بها أوروبا القرن العشرين، والتي ستتوقف تدريجيا في النصف الثاني من نفس القرن بسبب عولمة هذه السوق التي ستؤدي إلى إقصاء المناجم الأوروبية لتعوضيها بمناجم مكشوفة في بلدان نائية. وقد شغلت منذ القدم، مفاهيم «المدينة الفاضلة» العديد من المفكرين والمبدعين، الذين كان همهم تحقيق انسجام ضمن تصميم حضري، هندسي على العموم.

وكانت لديهم تصورات للمرافق المجتمعية والتنظيم الاجتماعي والسياسي والاقتصادي عالية المستوى والتي تم تحقيقها على أرض الواقع.

ويعود الفضل في تحقيق أحد النماذج النادرة لكلود نيكولا لودو، المهندس المعماري للملك لويس السادس عشر، في شرق فرنسا، ببنائه لملاحة آرك-إي-سينان، التي تشمل جميع المرافق الضرورية لعملية الاستغلال إضافة إلى الموارد البشرية. ومن هنا ستظهر مفاهيم «المدينة الحدائقية»، الفلانستير والتجمعات السكنية العائلية خلال القرن الموالي، أي الحقبة الصناعية.

وسيؤدي استغلال الفحم في أوروبا كما في جرادة لاحقا، إلى نشأة نواة حضرية جديدة، في غمرة من الألم والعجلة، بالمواقع التي كانت مخصصة للفلاحة وتربية المواشي فقط.

التعمير من قبل العلماء الجيولوجيين، على خطى مرشدهم بوريس أودنكو

نشأت جرادة في بادئ الأمر على شكل أجزاء متقطعة – أو أحياء تشمل مرافق موزعة على فضاءات متباعدة غير مجهزة أساسا لاستقبال المنشآت الصناعية. لقد كانت الأحياء عينها مصممة على أراض قابلة لإيواء هذه التجهيزات، وغير مؤهلة للاستغلال الصناعي، وذات خصائص تمثل جزءا لا يتجزأ من المعايير الاعتيادية لسكان الحواضر. أضف إلى ذلك أن المدينة كانت أكثر اهتماما بإسكان المهندسين مقارنة بالعمال...

شكل سكان الحواضر الأوائل بجرادة، علماء الجيولوجيا التابعين لشركة أوكري-ماريهاي الذين حددوا في وقت مبكر حجم الموقع وجودة الفحم، بل وأيضا الحوضين الشمالي والجنوبي اللذان ستقرر وضعية حقولهما طريقة حفر الآبار ومنحدرات المناجم ومسار الأنفاق.

أعقب الرواد الذين تأكدوا من قابلية استغلال ومردودية الموقع فريقٌ دائمٌ اتخذ شكل مصلحة بالمنجم وضعت تحت مسؤولية السيد بوريس أودينكو، وهو عالم جيولوجي شاب روسي الأصل، سيعمل على تفقد الميدان، سيرا أو على متن سيارته طولا وعرضا.

سيارة عالم الجيولوجيا بوريس أودينكو تجوب طرقاً غير معبدة بجرادة آنذاك (أرشيف)

قام بتعلم اللغة العربية والأمازيغية في الميدان وأتقنهما جيدا، ولم يكن يفارق حقيبة الظهر قط التي تحمل عددا من الأحجار التي جمعها... والتي كان يتفقد رائحتها. من هنا جاء لقبه «شمشم»، الذي يمكن ترجمته بـ «المتشمم». كانت قامته الطويلة والنحيفة وشعره الأشقر معروفَين عند الجميع، خاصة في كُنفودة حيث يقطن. وقد ربط علاقات مع الأسر وكان يتصدق عليهم بأضحية العيد كل سنة. كانت عربته القديمة، أول سيارة تتجول في مدينة جرادة، وكانت تُصلح باستمرار، كما كان يستعملها كوسيلة نقل لأنَّ تصميمها كان يليق بجميع أنواع التضاريس. يستطيع سكان المدينة رؤيته قادما من بعيد.

لقد أمضى هذا العازب المستقل أربعين سنة من حياته في الميدان قبل أن ينشر سنة 1976 معارفه حول علوم الأرض، وكانت الأولى من نوعها، خاصة تلك المتعلقة بحقل الفحم الحجري، في مؤلف نشرته المصلحة الجيولوجية بالمغرب.

وكان له الفضل، نظرا لمعرفته الجيدة بالميدان، في القرارات الكبرى المتعلقة ببناء الأحياء والتجهيزات، من آبار ومنحدرات، خاصة بناء السكة الحديدية الرابطة بين جرادة وكُنفودة بالطريقة المثلى بالنظر إلى خصائص الأراضي التي تم استغلالها.

المشاهد الطبيعية قرب جرادة، كما اكتشفها وعبرها عالم الجيولوجيا بوريس أوفودينكو

جرادة قبل 1950، بوادر التحضُّر الجديد

تم اختيار عمال الأرض المغاربة من بين أفراد قبائل شبه رحل بالجهة، بل وحتى أبعد من ذلك قليلا، لا سيما قبائل بني يعلى الزكارة بوجدة، وكذا قبائل بني بوزكّو بدائرة العيون، بني كْيل، وبني مطهر بالمرتفعات، وأولاد سيدي علي بتندارة وأولاد الحاج بكْرسيف. لقد اعتاد هؤلاء العمال على النوم تحت الخيام، واستمر بعضهم لمدة طويلة في رفض السكن بالأحياء العمالية، خاصة الأولى منها التي كانت بالفعل غير مشجعة.

كانت الشركة الشريفة لمفاحم جرادة تسعى إلى إسكانهم جميعا، ليس فقط لأنها تتطلع إلى إطلاق عملية الاستغلال، ولكن كذلك بسبب الوتيرة التي جرت بها عمليات التوظيف والتكلفة الخاصة بتوفير السكن اللائق للجميع، والذي لم يكن في الحسبان خلال التمويل الأولي. في الحقيقة، سيستمر الخصاص الذي تعرفه المساكن العمالية لمدة طويلة. ومع ذلك، فإن جرادة ومنجمها يعتبران نموذجا للتنمية العصرية يزوره مسؤولون عديدون. أما على مستوى شبكات الاتصال، فلم تكن الطرق معبدة بعد.

في 07 يوليوز 1947، زار الجنرال جوان والجنرال كاربنتي المنجم رفقة السيد كْارو، نائب مدير شركة "مفاحم شمال إفريقيا" (أرشيف)

سيتم تأسيس شبكات الصرف الصحي سنة 1944، ثم شبكة رئيسية على طول 6.5 كيلومتر تشمل 300 فرع فردي مخصص للوحدات السكنية. في حين ستظل إمدادات الماء الصالح للشرب غير كافية لوقت طويل، مؤقتة ومصحوبة بانقطاعات متكررة. إذ كانت العديد من ربات البيوت مجبرات على قطع مسافات طويلة على الأقدام للوصول إلى أحد الصنابير. وسيتم في سنة 1947 إنشاء مجموعة من الأنابيب المائية. أما فيما يخص الكهرباء، فقد زودت محطةُ وجدة مدينةَ جرادة بخط كهربائي تصل سعته إلى 22 000 فولط وُضِع في نهايته محولٌ كهربائي.

قضية السكن

وصف العدد 64 من النشرة الاقتصادية والاجتماعية للمغرب في مقال مفصل للسيد جاك بونكْون هذه المرحلة الرائدة. ونقرأ فيه تقديما لمدينة جرادة قبل نشأتها : «كانت الجهة شبه صحراوية، تقع على حافة المرتفعات الموجودة قبل الصحراء، خالية من أي مركز قائم مسبقا أو ساكنة محلية أو ماء أو طريق للعبور.» والأبعد من ذلك، «لا توجد تقريبا أي ساكنة في محيط المنطقة، باستثناء بعض الرعاة شبه الرحل الذين يعيشون على تربية المواشي، يقيمون وعائلاتهم وماشيتهم تحت الخيام التقليدية.» حسب كاتب المقال، لم يُحدِث وصول مئات العاملين من مناطق بعيدة تغييرا يذكر : «كان العمال أساسا من ساكنة البوادي، فلاحين من جهة سوس، أو بدو ينحدرون من أقاصي جنوب المحيط الأطلسي، أو سكان جبال الريف أو الأطلس المتوسط، وكانوا معتادين، على غرار أسلافهم، على السكن في الخيام والأكواخ ومساكن الطوب...»

جعل هذا التصور من السكن تحت الخيام عادة محلية.

EXPLOITATION DES CHARBONNAGES DE DJERADA

PLAN D'ENSEMBLE ECH: 1/2 % PM

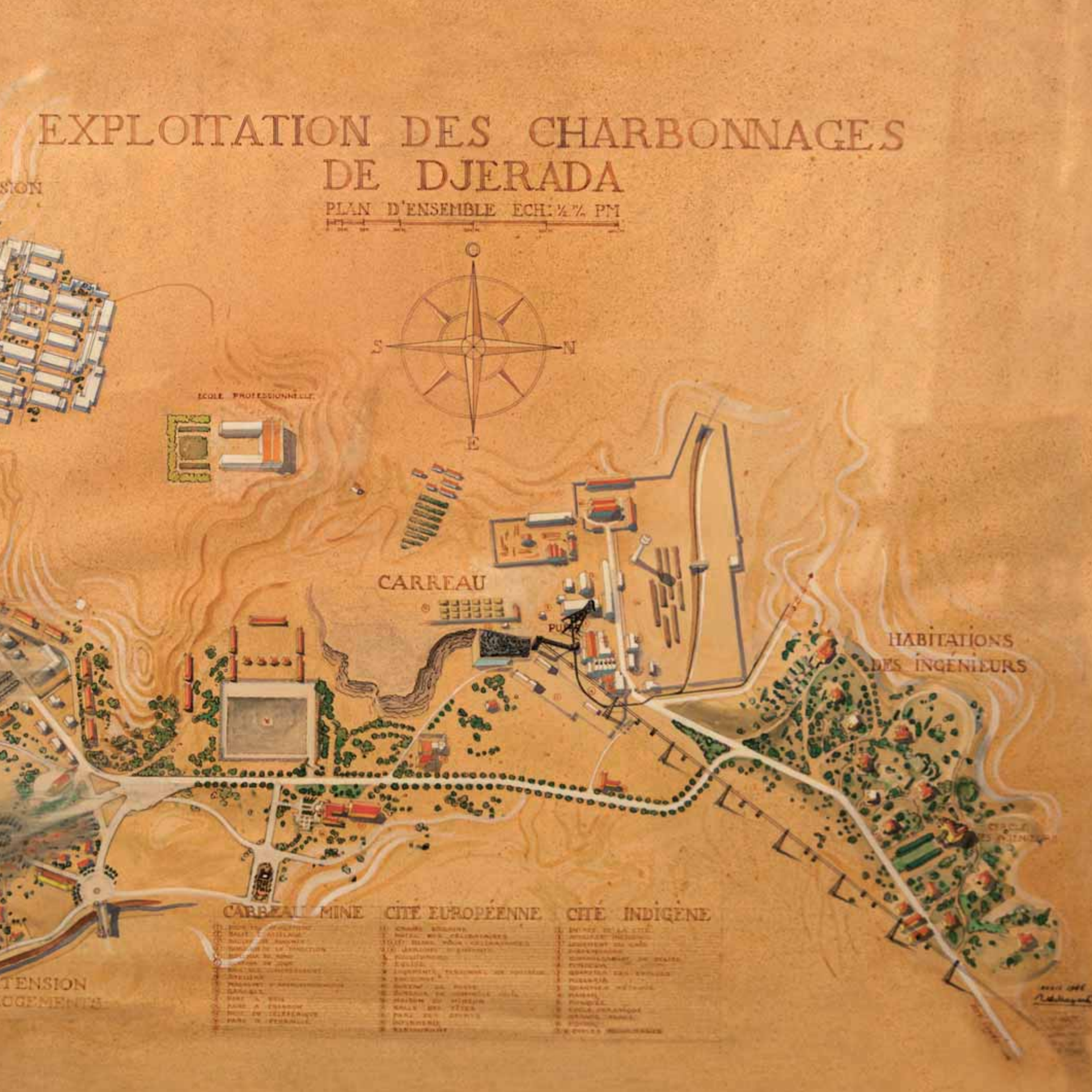

التصور المثالي للمهندسين وترجمته على أرض الواقع

في الوقت الذي أنشئت فيه المساكن المخصصة لأجراء شركة مفاحم جرادة، بمستحقاتها ذات التسلسل الهرمي المشابه للهيكل التنظيمي للشركة، كان المهندسون المشرفون على تصميم المشروع يزخرون بتجربة أوروبية تناهز خمسة قرون في مجال إسكان المنجميين.

تستجيب عملية البناء للمعايير الصحية والأمنية، إضافة إلى التصميم الذي يعمل، إلى جانب ذلك، على الاستغلال الأمثل للفضاء ولأنماط البناء، سعيا منه إلى اقتصاد الوقت والتكلفة.

كان المهندسون تابعين لمكتب الدراسات، وبالتالي، كانت لهم دراية بنوعية الأراضي الصالحة للبناء، إذ يجب أن تكون مستقرة غير مهددة بالاستغلال وغير نافعة للاستعمالات الخاصة بالإنتاج ؛ وتعزى درايتهم هذه إلى تخطيطهم للأنفاق بفضل علمهم الجيد بباطن الأرض إضافة إلى معرفتهم المسبقة بالحاجات السكنية لليد العاملة المستقبلية، أو التي لا تتوفر على مسكن بعد، وبالتالي يجب إسكانها في أقرب وقت وضمان بقائها عن طريق تقديم عروض مُغرية.

تتضافر هذه المقتضيات وتلك المتعلقة بالرقابة الاجتماعية، وتعطي مورفولوجيا كلاسيكية تفصل مساكن المديرين عن مساكن المنجميين، هذا الفصل يأخذ شكل عزل اجتماعي وفضائي واضح.

يوجد بين الاثنين ما يسمى بـ «المربع»، وهو الفضاء المخصص للمنشآت الضرورية للاستغلال. ينقسم الفضاء السكني بجرادة إلى قطبين : حي السكان المحليين والحي الأوروبي، تفصل بينهما مسافة كبيرة. على هذه الخريطة التي تعود لسنة 1946، وهي عبارة عن عمل فني متميز، يظهر الترتيب الهرمي لهذه الفضاءات جليا، ويتضح هذا التفاوت حتى من خلال المسافة الطويلة التي يقطعها العمال المغاربة لارتياد عملهم.

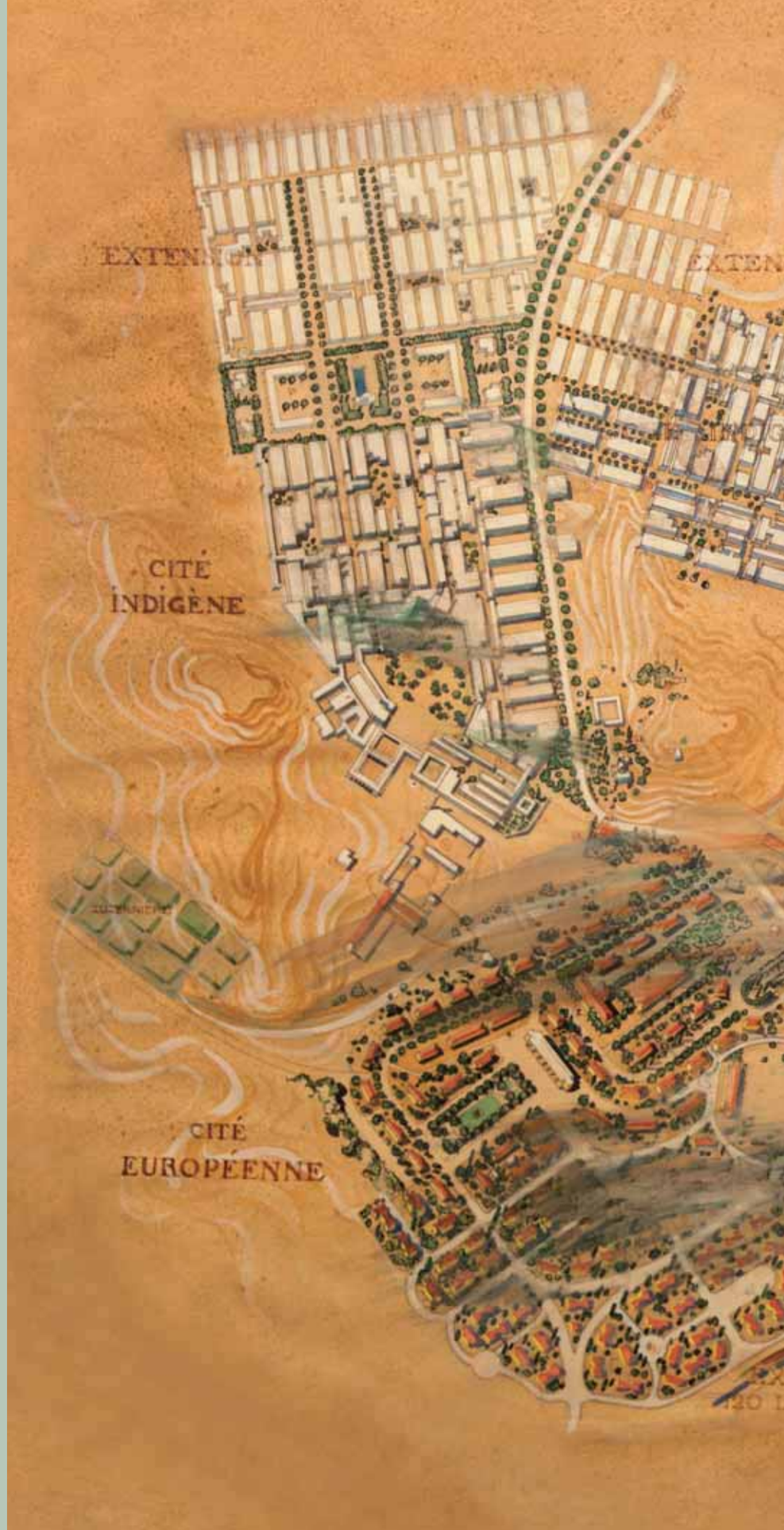

كان هذا التصور يتعارض مع المقاربة السياسية والاقتصادية للسلطات، التي تعتبر أن الخصاص في المساكن العمالية قد يسفر عن مشاكل ويمكن أن يقف حاجزا أمام مكوت اليد العاملة، الشيء الذي يعيق مردودية المنجم، وبالتالي مصيرَه. يذكر السيد إيريك لابون، الذي شغل منصب المقيم العام بالمغرب بين سنتي 1946 و1947، كشرط أساسي من أجل تحقيق تصنيع المنطقة : «... تثبيت اليد العاملة التي هي الآن متنقلة، غير قارة وتتغيب باستمرار مما يعوق السير العادي للعمل، كما يجب أن تُوَفر لها أفضل ظروف العمل.» تعبر الدولة إذن عن توجيهات واضحة، سيما وأن سنة 1947 تميزت بدخول جرادة ضمن التنظيم الإداري والترابي الموحد. لقد بدأت السلطات العمومية الآن، تأخذ مشعل المنجم في تدخلاته، التي لم تعد حكرا على الأنشطة المنجمية وأصبحت تشمل توفير السكن وخلق مدينة قائمة الذات. تكلف هذا المنجم منذ البداية بجميع قضايا الصالح العام للمجتمع المحلي الذي كان نتيجة له.

جرادة بعد الخمسينيات

في فبراير من سنة 1950، سجلت دراسة محلية ما يلي : «تُشَغِّل جرادة نفس عدد العمال مقارنة مع جميع مناجم الجهة... يشكل توفير السكن مشكلة استعجالية يجب حلها، إذ يفوق التأخير فيه بجهة جرادة نظيره بالمناطق الأخرى... إن المكانة الاقتصادية التي تحتلها جرادة في إطار برنامج التهيئة الصناعية بشمال إفريقيا تعتبر حاسمة».
تأوي جرادة أكثر من 10 000 نسمة بعد توالي حركات مهمة من النمو الديموغرافي فاقت معدلاتها السنوية 15% في بعض الحالات.
لم تستطع الشركة تلبية حاجيات العمال بتوفير عدد أدنى من الأنشطة التجارية وخدمات القرب حتى سنة 1950.

1950، سير أشغال الطريق بوتيرة جيدة (أرشيف)

تم إنشاء سوق واحد أولا، ثم اثنتان يضمان 25 متجر تحت الأقواس (حلاقين، حمامات، خياطين، باعة، مصلحي دراجات...)، قاعات للصلاة (من بينها المسجد الكبير الذي سيتم بناؤه بجرادة)، ومنشآت أخرى... كل ذلك يحيط بساحة مركزية. سيأتي بعد ذلك مستوصف وغرفة للتمريض يقدمان جميع أنواع الرعاية والاستشارة. وستلي ذلك تدريجيا تجهيزات رياضية وترفيهية، ثم إنشاء محول حديث وذي قدرة أكبر.
ستشهد جرادة سنة 1950 كذلك حفر البئر رقم 2 بعمق يبلغ 430 مترا للرفع من عدد الأطنان المستخرجة، الشيء الذي سيحول كليا مركز الجاذبية بالنسبة لعملية الاستغلال وكذا للمدينة. تقطن غالبية العمال بجرادة ويتنقلون مشيا على الأقدام ذهابا وإيابا.
في تلك الفترة، لم تكن هناك بنايات ولا طرق صالحة بين جرادة وحاسي بلال. كنا نجد بالمنطقة بساتين وغابة، مع مجموعة من الخيام تم نصبها في الخلاء، في منتصف الطريق، يقطنها أفراد قبيلة أولاد عمر.

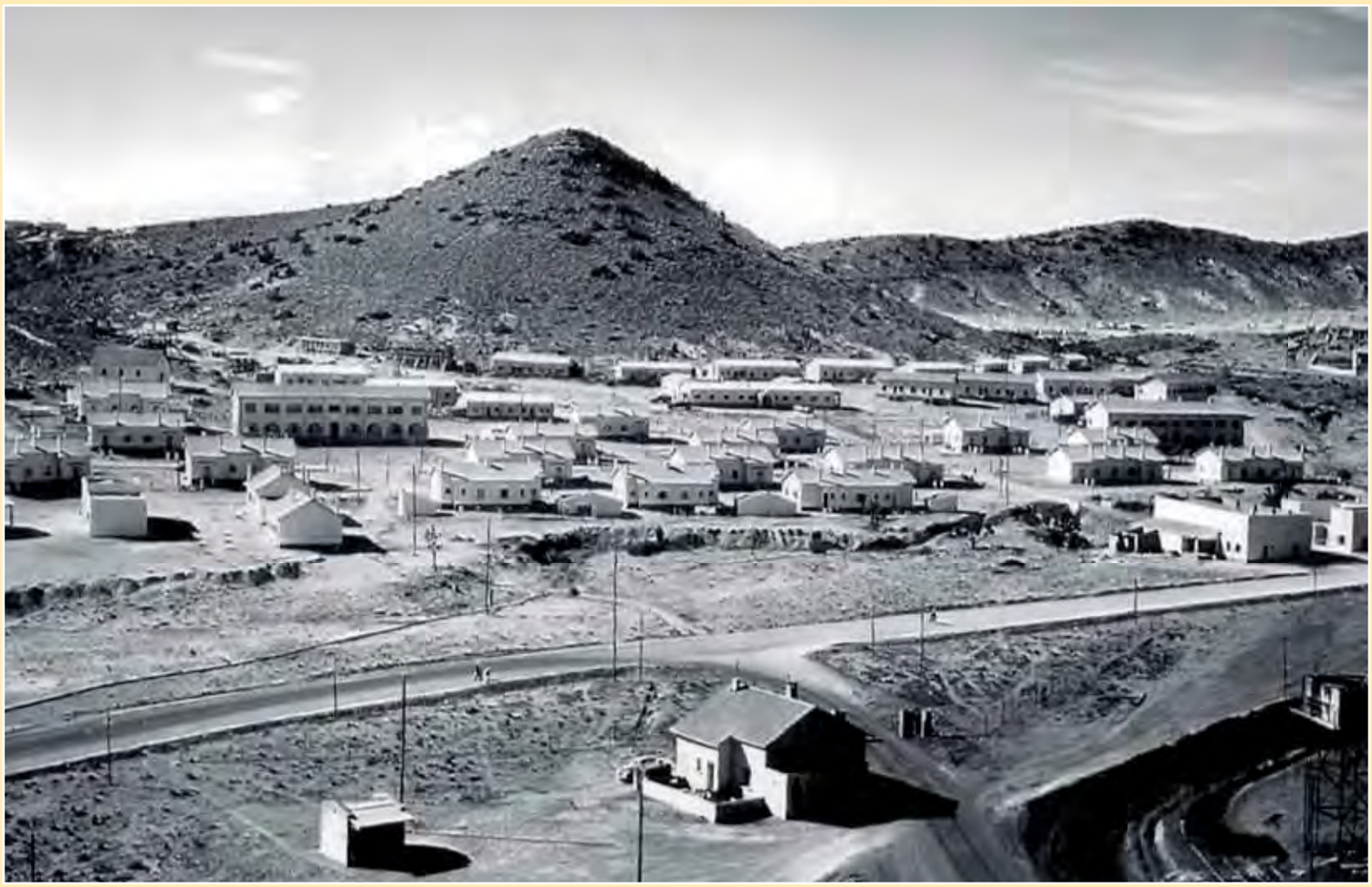

الحي الأوروبي في نهاية الأربعينيات (أرشيف)

منظر عام لجرادة نهاية الأربعينيات (على اليمين) ومنظر على الحي العمالي (على اليسار) (أرشيف)

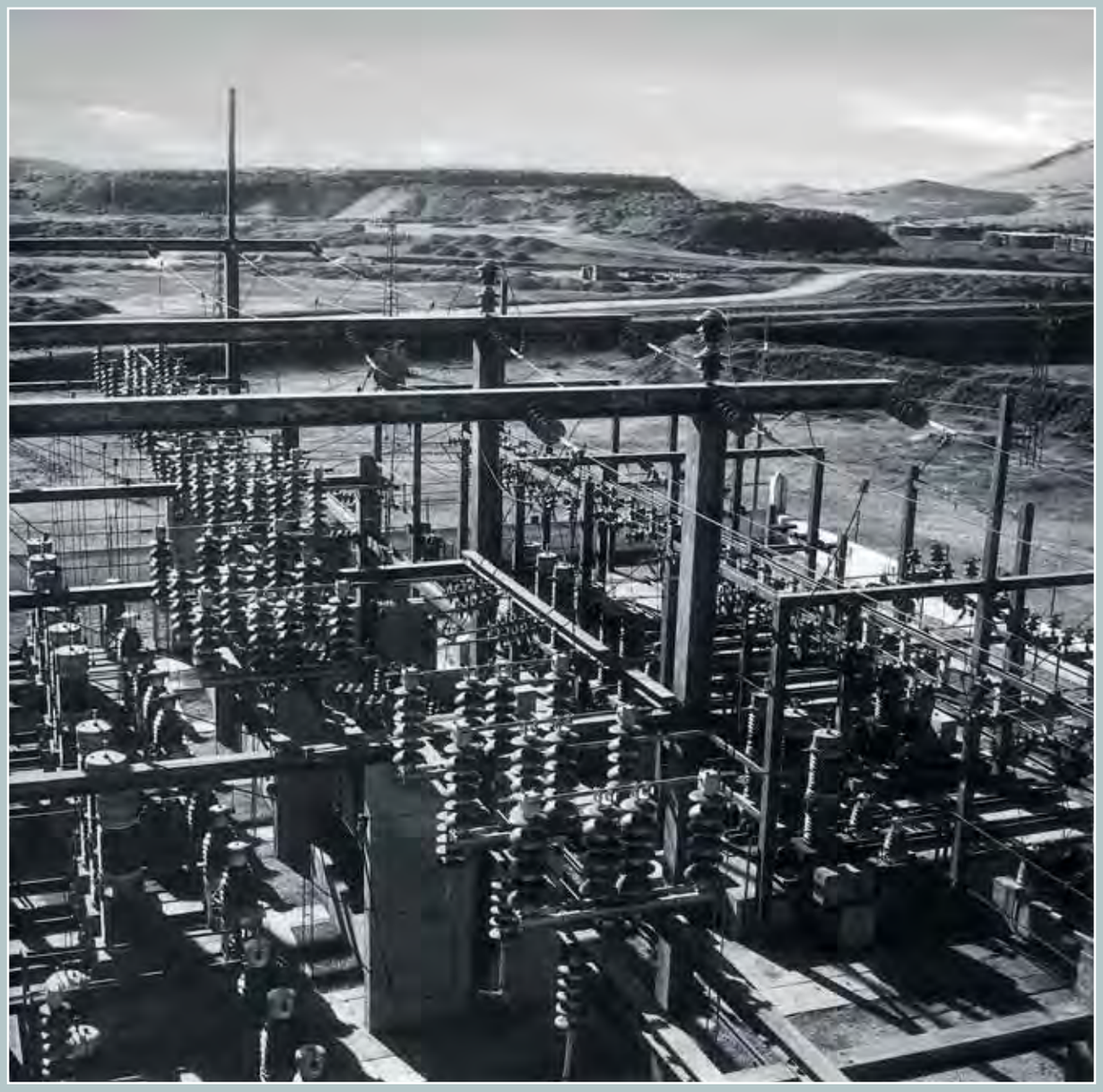

المحول الكهربائي الجديد المنجز في الخمسينيات (أرشيف)

بعد إطلاق عملية الاستغلال، بدأ تشييد أول المباني السكنية. لقد فرضت هذه البنى نفسها نظرا للنمو الديموغرافي المستمر والمرتفع بجرادة في الفترة ما بين 1954 و1967، والذي رافقه ارتفاع كمي في الصادرات نحو أوروبا.

وعلى الرغم من تعدد النظريات والممارسات المتعلقة بالتخطيط الحضري بأوروبا وأحيائها العمالية خاصة، وكون المتعهد المكلف بالمنجم أوروبي الأصل، فإن التوسع الحضري بجرادة ليس مخططا له بالشكل الكافي، كما أنه لا يتوفر على مبادئ موجهة خارج المصالح الظرفية لعملية الاستغلال.

وبهذا، يكون المد الحضري المحدث منفصلا إلى حد ما، مع وجود ثلاث أقطاب مختلفة : أحدها مخصص للمغاربة، الحي الأوروبي وحي المهندسين.

الحي العمالي آهل بالمنجميين

كانت المساكن الأولى مصممة لتلائم أسلوب الحياة المغربي، وهي عبارة عن أكواخ منغلقة (بدون فتحة تطل على الخارج بغرض احترام الخصوصية) مكونة من : شرفة مسقوفة، غرفة صغيرة (غرفتان إذا كانت العائلة تضم طفلين)، فناء، صنبور واحد، مطبخ صغير، مرحاض... مجمعة على شكل تكتلات سكنية مكثفة بها أزقة ضيقة، يمكن وصف هذا التجمع بـ «الكيتو»، ظروف العيش به قاسية. في الواقع، يفضل بعض العمال العيش تحت الخيام.

إضافة إلى ذلك، يبقى عدد المساكن غير كاف وتضطر العديد من العائلات للبقاء في دواوير الخيام، خاصة عائلات العمال غير المؤهلين الذين لا يتمتعون بالحق في السكن. لذلك، تم نصب حوالي 800 خيمة حول المنجم، كما قام قسم الإسكان بتحديد دائرة حول المنجم يتراوح محيطها بين كيلومتر واحد وخمسة كيلومترات، بحيث يستفيد كل عامل يقطن داخله من 150 كيلوغراما من الخشب شهريا، مما يثبت الاهتمام الذي يوليه قسم الإسكان لهذا الواقع المؤلم. وحتى تُنشَأ قرى الخيام هذه في ظل مراقبة فعلية، يسهر المنجم على فرض درجة معينة من النظام.

يسمى النوع الأول من هذه المساكن بـ «ديور الكاشة» والتي يمكن ترجمتها حرفيا بالمنزل البطانية، وترجع تسميتها إلى أن مداخلها مفتوحة وأبوابها ليست سوى لحاف بسيط يستعمل بغرض التهوية (ويعتبر ضروريا نظرا للعدد الكبير للأشخاص القاطنين بالمنزل).

حجرات العزاب مجاورة لمنازل العائلات، تتوفر على مدخل ضيق، وغرف صغيرة مبعثرة، بدون نظام تدفئة ولا سخان مياه. إضافة إلى ذلك، فالحي جد مكتظ، وفي بعض الحالات، تقيم عائلة مكونة من عشرة أشخاص في حجرة واحدة.

إن اختلاط السكان وظروف العيش الرديئة تتسبب في انعكاسات وخيمة تتمثل في الشجار بين الأزواج والصعوبات المدرسية لدى الأطفال والأمراض وغيرها.

يذهب العمال عادة إلى عملهم مشيا على الأقدام، أو ممتطين ظهر حصان أو حمار في حالات أخرى، أو حتى على متن عربات، ويتنقلون إلى وجدة عن طريق شاحنات نقل.

الحي الأوروبي ومنطقة المهندسين

يتواجد الحي الأوروبي على مسافة أقل من كيلومترين جنوبا، وهو قريب مما يسمى حاليا ساحة 3 مارس. وكما يوحي إسمه، فساكنته مكونة أساسا من أطر أوروبية بالمنجم، غالبيتهم فرنسيون وإسبان، وقد نجد به كذلك جزائريين، مثل صيدلي المنجم. تضفي الممرات المنبتة بالأوكاليبتوس جمالية على محيط الحي الذي يزخر بفيلاته المُدَفأة، وحدائقه المزهرة، دون أن ننسى منشآته المتعددة، وبجواره مدرسة المنجم ثم الكنيسة التي ستتحول لاحقا إلى مركب ثقافي.

تقدم هذه الصور منظراً جميلاً لمنشآت المنجم وجزء من المدينة في فترة الأربعينيات

قام مصور مجهول بالتقاط هذه الصور بالأبيض والأسود وتجميعها بغرض تكوين منظر جميل على الموقع. وقد عنون بنفسه التركيب الذي أنجزه باستعمال شريط لاصق، في سنة 1945 على الأرجح.

المدرسة المهنية (إعدادية)
الحي المغربي
مكتب المديرية (الباشوية حاليا)
الحي الأوروبي
كنيسة (مركب ثقافي)
ملعب
دار المنجمي
متجر عام
ورشة الميكانيك
ورشة الكهرباء

وضع اللمسات الأخيرة على الحي الأوروبي (أرشيف)

هذا الملاذ الأوروبي يقدم بنية ورفاهية مختلفة إلى حد كبير عن الحي المغربي الذي لا يفصله عنه سوى وادي صغير...
شمالا، على التل المشرف على المدينة توجد خمسة عشر ڤيلا تُكَون حي المهندسين، هذه المساكن المتباعدة محاطة بفضاءات خضراء خاصةٍ، غنية بالأزهار وأشجار الصنوبر والصفصاف والسنط وغيرها.

جـرادة بعد الشروع فـي استغلال حاسي بلال

في سنة 1950، تم إنشاء أول بناء عصري، مقهى «باب السمر»، لا يزال موجودا إلى يومنا هذا. في ذلك الوقت، كان بمثابة مقصف وقاعة استراحة للعمال، تقدم به القهوة والشاي وكذا الكعك والخبز والحريرة وأطعمة مقوية مختلفة. بالقرب من المقهى، حيث يوجد حاليا مسجد باب السمر، تم بناء حجرات جديدة للعزاب.
وفي سنة 1952، تم تشييد حي جديد سمي بـ «بوشون»، معروف ببنايات على شكل أقواس مصنوعة من الطوب. بالموازاة مع ذلك، تم بناء «المنازل 12» على موقع يسمى حاليا بالشافية، يضم اثني عشر منزلا لفائدة العزاب الذين يعيشون على شكل جماعات، فعلى سبيل المثال منازل الفكْيكْيين، تضم خمسة وأربعين عاملا مُنظَمين، يتكلف طباخ ومساعده بإعداد الطعام واقتناء المنتوجات بالجملة.
في سنة 1953، مع زيادة الإنتاج وبالتالي مناصب الشغل، سيتم بناء ثمانية أحياء جديدة، وهي تمثل حلا أفضل من تطوير حي واحد فقط. هذا القرار سيؤدي إلى تفرقة النقابيين وعرقلة الحركة الوطنية التي كانت آنذاك تعرف توسعا هاما.
أول هذه الأحياء يدعى «المخلط»، يقطنه أشخاص قادمون من هوارة وأولاد عمر.
سيأتي بعد ذلك «حي الزنك» ومنازله الستون، أما «حي تازة» فسيتم بناؤه على مرحلتين، كل واحدة تخص بناء

منظر جميل للمدينة الأوروبية الحديثة إبَّان اكتمالها (أرشيف)

ستين منزلا، وتخصص الثانية للوافدين الجدد من قبائل التْسُول. سيليها بناء «حي مراكش» لفائدة العمال القادمين من فجيج ومراكش، وأخيرا «حي الغار». يضم كل واحد من هذه الأحياء ستين مسكنا يشكلون نصف دائرة تحيط بتل. يعبئ المنجم مصنع الآجر الخاص به، ثم يفوض شركات بناء، وأخيرا يوزع المساكن الجاهزة. تتميز هذه المنازل بزيادة في المساحة وجودة في البناء، وقد وضعت على قاعدة مربعة الشكل (8 أمتار في كل جانب)، يحيط بها جدار صلب غير مجوف، وتضم غرفتين، فناء به مغسلة، غرفة غسيل مغطاة ودورة مياه مغلقة. جميع هذه الحجرات موصولة بشبكة الكهرباء ومزودة بمدفأة.
أما الموظفون المؤهلون المغاربة والمشرفون، فقد خصصت لهم منازل بمواصفات أفضل إذ تضم ثلاث غرف ومطبخا منفتحا على فناء داخلي وحديقة.

مجموعة من المساكن المبنية بعد سنة 1970، تم الحفاظ عليها وتكييفها مع ظروف العيش الحالية

للأسف، عرفت الأحياء انقطاعات متكررة للماء والكهرباء تدوم لعدة أيام، بل وحتى أسابيع في بعض الأحيان.
بُني الحي الأوروبي عند سفح جبل المجروب. وفي سنة 1954، انتهت أشغال بناء فيلات المهندسين والأطباء، وهي منازل رائعة تضم حدائق كبيرة بها جميع التجهيزات الأساسية. بالموازاة مع ذلك، بنيت التجمعات 2، ثم 4 و5، وهي أكبر تجمعات مخصصة للعزاب الأوروبيين.
يوجد فرق شاسع بين المساكن الأوروبية ونظيرتها المغربية، فالأولى مجهزة بسخانات من أجل التدفئة وتسخين الماء والاغتسال، وغيرها. كما أنها لا تعرف أية انقطاعات في الماء أو الكهرباء. في الحقيقة، كان عدد من سكان الأحياء المغربية يغتسلون في منازل أصدقائهم الأوروبيين. كانت منازل هؤلاء متميزة بحدائقها جد المزهرة والتي تحظى بصيانة جيدة. في بعض الأحيان، يسلك الأطفال عند خروجهم من المدارس منعطفا كبيرا فقط للتحديق بها وحتى يتأملوا نمط عيش مختلف تماما عن ذلك الذي اعتادوه، وهم يكتشفون بذلك رغيف الخبز الفرنسي القادم من المقتصدية الأوروبية والذي كان، حتى ذلك الحين، أمرا جديدا عليهم.

وأخيرا، سكن لائق في السبعينيات

شهدت الساكنة، التي كانت تفوق 30 000 نسمة، عملية جديدة للإسكان في السبعينيات. في تلك الحقبة، كان المنجم يقدم مجانا أكثر من 2 700 مسكن عمالي وأكثر من 450 مسكنا مخصصا للمهندسين والمشرفين، كما استفاد العمال الذين لا يتوفرون على مسكن من تعويض عن السكن، إضافة إلى ذلك، كان كل منهم يتلقى هبات من الخشب والفحم والماء الصالح للشرب والكهرباء، كل حسب تكوين عائلته وفصل السنة. في عام 1971، أعلنت الشركة أنها تكفلت بإيواء «جزء كبير من المستخدمين».

الماء أساس العمل والحياة

منذ فجر الثلاثينيات، وجب تدارك ضعف الموارد المحلية، مثل منبع عين خنديف الذي لا يوفر بئرها سوى لترين في الثانية، وأصبح جلب موارد خارجية أمرا حتميا لفائدة السكان وعمليات غسل الفحم على حد سواء.
لكن هذه المادة السائلة الثمينة لم تستورد، تمت عوض ذلك الاستعانة بموارد خارجية بكُنفودة من أجل تنفيذ عملية الغسل والاستفادة من مستودعات المياه الجوفية القريبة من واد إسلي.
في عام 1937، تم إنشاء أول شبكة ثابتة لتوصيل الماء من تادواوت إلى العوينات حيث يوجد مقر شركة «المفاحم» آنذاك. نظرا للنمو السريع للساكنة والاستهلاك المرتفع للتجهيزات، شرعت الشركة في تركيب شبكة متكاملة تتكون من :

- بئرين بعين تبودة ؛
- أنابيب من حديد الزهر (11 كم، 400 مم)، تم تعويضها سنة 1980 بقناتين (300 مم و350 مم) ؛
- ثلاثة مجموعات من المضخات الآلية بصبيب 60 لتر في الثانية ؛
- حوض تجديد سعته 200 متر مكعب ؛
- برج ماء سعته 10 000 متر مكعب.

ومع مغسل حاسي بلال الجديد وبناء قناة لتزويده بالمياه ثم اكتشاف موارد مائية مهمة في موقعها الأصلي، ستعرف وضعية المياه تطورا في بداية الستينيات كما ستنخفض الانقطاعات. ولكن، مع زيادة عدد العمال، ظهرت مجموعة من القرى حول جرادة (أولاد عمر، يوسف، بني كْيل وغيرها) التي يجب إذن تزويدها بالماء الصالح للشرب.

كحل لهذه المشكلة، تم إنشاء فرع في القناة الرئيسية. يقوم بتسيير هذا المشروع شخص أو اثنان تفوضه «الجمعة»، وهي عبارة عن اجتماع تقليدي للسكان يتكفل بشراء الأنابيب اللازمة لربط القرية بالقناة المائية، كما يؤدي رسوم تركيب العَداد لفائدة جماعة جرادة، التي تنقلها بدورها للشركة. عندما ينتقل فرد جديد، يقوم بتسديد مساهمته في الفرع الخاص به ؛ وعندما يصل عدد الفروع حدا أقصى، يتم وضع أنبوب جديد بقدرة أكبر على حساب «الجْماعات» التي ستتحول كل واحدة منها لاحقا إلى جمعية لتدبير الماء. مع تضاعف عدد القرى، ساء الوضع وأصبحت الأنابيب توضع مباشرة على السطح. إذا حدث تسرب، يتم إصلاحها أحيانا باستعمال مطاط الإطارات كما أنها توجد في احتكاك مع المياه العادمة مما يشكل خطرا كبيرا. وعند اكتشاف حالة تلوث، تغلق الجماعة القناة بصفة مؤقتة وتستعين بصهاريج لتزويد القرى بالماء. النساء والأطفال يلقون بالأنابيب في الصهريج، ثم يشفطون المياه لملئ البراميل يصل إلى 50 في آن واحد ! إنه أمر غير صحي ويحدث تدافعات بالمكان.

شاحنة نقل المياه، حل مؤقت لمواجهة ندرة الماء الصالح للشرب خلال التسعينيات (أرشيف)

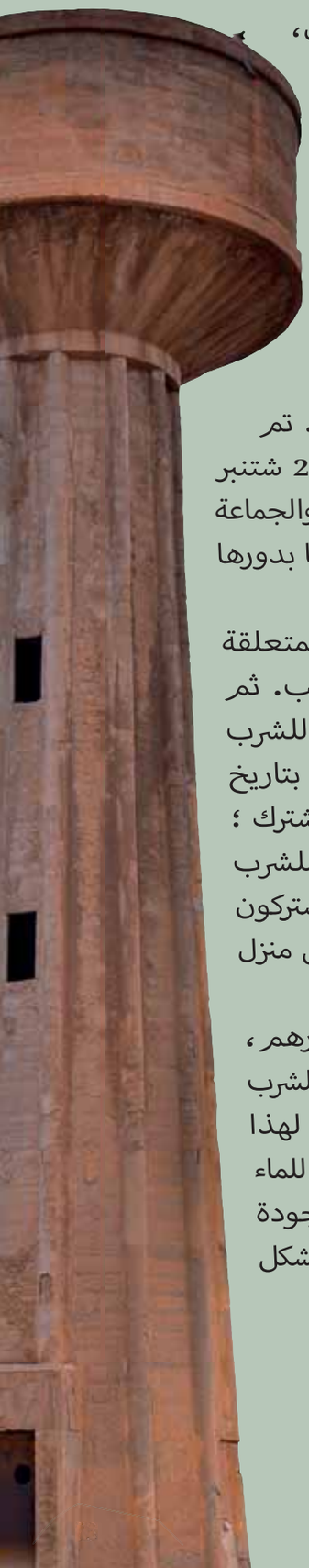

يشبه هذا الوضع ما يحدث في حاسي بلال، حيث يذهب سكان دوار حديين إلى صهاريج المكتب الوطني للكهرباء قرب المحطة الحرارية لملئ براميلهم ويشكلون إزعاجا لنشاط المستخدمين. لتفادي ذلك، قام المكتب الوطني للكهرباء بإنشاء قناة بحاسي بلال. توالت حالات ندرة المياه، خاصة في فصل الصيف. لعلاج هذا الوضع المضطرب، وجب على المكتب الوطني للماء الصالح للشرب أن يتكفل بتدبير المياه في المدينة. تم إذن التوقيع على اتفاقية ثلاثية بتاريخ 27 شتنبر 1995 بين شركة المفاحم والمكتب المذكور والجماعة التي أسندت إليها مهمة التدبير والتي أوكلتها بدورها للمكتب.

وضع المنجم شروطه، من بينها تلك المتعلقة بخفض الثمن : 2.84 درهم للمتر المكعب. ثم استأنف المكتب الوطني للماء الصالح للشرب تركيب الشبكة التجميع إلى التوزيع، وذلك بتاريخ 16 أكتوبر 1995، بما مجموعه 10 170 مشترك ؛ وقد عين به عمال قسم الماء الصالح للشرب بالمنجم. جميع أجراء شركة المفاحم سيشتركون في المكتب، بدون رسوم، وسيتم تزويد كل منزل بعداد فردي.

لقد كلفت إعادة بناء الشبكة 51 مليون درهم، تكفل بأدائها المكتب الوطني للماء الصالح للشرب بمساهمة من الجماعة التي أخذت قرضا لهذا الغرض. في يومنا هذا، حقق المكتب الوطني للماء الصالح للشرب استثمارا ضخما للرفع من جودة البنية التحتية، إلى جانب ذلك، تم حل مشكل الماء الصالح للشرب بجرادة.

➤ منازل المهندسين التي حافظت على جماليتها رغم مرور الوقت (صورة هشام الودغيري)

كانت نتيجة ذلك تبعث على التفاؤل (ذكرت الشركة بنفسها أنها وفرت مناصب شغل لأكثر من 500 4 شخص). لقد اعترفت الشركة بسوء الوضع وعالجته، تحت إشراف السلطات، بإعطاء الانطلاقة لأشغال بناء حي جديد مكون من 1 000 مسكن وذلك في سنة 1971، سمي هذا الحي ف1 (المسيرة) واستوعب تزايدا متوقعا في عدد السكان، جزئيا على الأقل، بما أن الهدف من ورائه كان مضاعفة الإنتاج قبل نهاية العقد، الشيء الذي اقتضى توظيف مستخدمين جدد. غَيَّرَ هذا الحي الجديد كل شيء : مساكن واسعة وعملية لفائدة العائلات والعزاب (غرف كبيرة، حمام، فناء، حديقة صغيرة...)، إنه تقدم ملحوظ ! بلغت العائلات المستفيدة قسم الخدمات الاجتماعية للشركة بالآثار الإيجابية للمشروع على حياتهم، إذ حسن من جودة الروابط العائلية، ووسع نطاق العلاقات الاجتماعية، كما ارتقى بمستوى التنظيم الأسري لديهم...

نهاية «الحي الأوروبي»

في حين يترسخ «الحي الأوروبي» في الذاكرة الجماعية، يفقد هذا الإسم معناه مع مغربة الأطر. بلغ عدد السكان الأجانب حده الأقصى 600 شخص، قبل أن يستقر في 112 مهندسا وتقنيا خلال الستينيات، ثم انخفض إلى 27 شخصا سنة 1972.

وهو ما ذكرته إحدى منشورات شركة المفاحم : «قبل نهاية سنة 1973، سيشغل جميعَ مناصب المسؤولية أطرٌ مغاربة. سينخفض عدد المستخدمين الأجانب إلى عشرة، بينهم خمسة أطباء.»

سيظهر إذن ما يسمى بـ «حي الأطر»، بما أن الفصل المرتكز على الجنسية سيعوض بفصل مبني على الكفاءة والرتبة، وهو ما يبرزه حي الأطر والتقنيين، وهو آخر حي شرع في بنائه سنة 1993.

الأنشطة التجارية والخدمات

لم يكن من الممكن الاعتماد بشكل دائم على تموين المنجم لفائدة ساكنة في نمو مستمر. في عام 1950، تم إنشاء مركز تجاري صغير، سمي بالقيسارية، لا زال موجودا إلى يومنا هذا. بعد بضعة شهور، اكتمل إنجاز المقتصدية التي كتب على بابها : «متجر السكان المحليين للحوض الجنوبي»، إذ كان موجها للمغاربة بحيث وفر لهم منتوجات توافق احتياجاتهم وقدرتهم الشرائية خاصة.

فتحت مقتصدية أخرى أبوابها بحاسي بلال، سميت بمقتصدية الحوض الجنوبي، كانت موجهة للأوروبيين، تعرض منتوجات مختلفة ومزودة بثلاجتين كبيرتين، الأولى تخزن جميع أنواع المشروبات والثانية مخصصة للحوم. كما كانت تعرض مستحضرات للتجميل وجميع لوازم الخياطة على طاولة كبيرة بأربعة وعشرين درجا ! توزع المقتصديات المواد الغذائية والمنتوجات الأساسية (الشراء بالجملة، التخزين، البيع بالتقسيط)، مع تنوع في العرض : بقالة، خضر، مخبزة، متجر اللحوم الباردة، جزارة، وراقة، متجر الملابس والأحذية، دكان الأدوات المعدنية، مقشدة...

أمر غريب في منطقة لا يربى فيها سوى الغنم والماعز، هناك 20 بقرة هولندية توفر الحليب الضروري للأطفال الصغار خاصة وبشكل يومي. المخبزة بدورها وبفضل تجهيزها بأفران كبيرة تمكنت منذ بداية عملها سنة 1954 من توفير 4 000 كيلوغرام من الخبز يوميا. هذا يجعلها من بين أهم المخابز في المغرب. بالقرب منها، يوجد فرن تقليدي جماعي يطهو الخبز الذي يحضر في المنازل. فيما يخص مستلزمات هذا النشاط، يوفر المنجم مجانا ثياب العمل وأحذيته لفائدة العمال والأطر الذين يشتغلون في القاع. كما يزودهم بكميات من الصابون، وإلى جانبهم الأشخاص الذين يقومون بأشغال على السطح تعرضهم للاتساخ.

على الواجهة، تحت الأقواس، إحدى القيساريات (1948) (أرشيف)

الجهة الخلفية من المقتصدية التي كانت في ذلك الوقت قيد الإنجاز (أرشيف)

الحي الأوروبي هو الوحيد الذي يحظى بمخطط حضري عصري تخترقه شوارع فسيحة ومشجرة (أرشيف)

CHARBONNAGES NORD AFRICAINS
JERADA
Nº 016604
Bon pour perception à titre gratuit
d'un Bleu de travail
A délivrer au matricule 2865
Valable jusqu'au
Jérada, le 6 AOUT 1969
Pour le Chef du Personnel
Timbre du Service personnel

توصيل لتسلم البذلة الزرقاء للعمل (1969)

تكفل المنجم كذلك بوضع تجار مستقلين في القيساريات، كان أولهم منحدرا من النواحي، بينما استقر تدريجيا تجار منحدرون من نفس مسقط رأس العمال القادمين من مناطق أخرى. في فبراير 1953، بلغ عدد المتاجر حوالي الخمسين، وكان العمال يفضلون الشراء بالائتمان في هذه الدكاكين التي كانت تكلفتها منخفضة مقارنة مع مقتصدية المنجم، كما أنهم يثقون في أصحابها «ويربطون معهم وفيما بينهم علاقات إنسانية طيبة : إذ غالبا ما يفضل العمال هذا النوع من الأداء الأكثر خصوصية الذي يمنحهم إياه أصحاب المتاجر ...إن التاجر الذي منح في فبراير 1953 أكبر عدد من القروض لفائدة 145 زبونا كان هو نفسه عاملا قديما في المنجم، فقد قدرته على العمل جراء حادث.» هذا ما دونته النشرة الاقتصادية والاجتماعية للمغرب في الربع الأول من سنة 1954. ويذهب المقال أبعدَ من ذلك بالترويج لهذا النشاط التجاري الحر : «لقد دعم المنجم هذه الحركة بإنشاء متاجر متعددة بنفسها في القيساريات.

يستطيع العمال، بالتالي، إيجاد دكاكين تربط روعة المنتوج التقليدي بحماسة نظيره العصري وصخبه : بزارات، بقالات، متاجر ثوب، محلات حلاقة، خياطة وإصلاح الدراجات تصطف جميعها تحت أقواس الساحة الكبرى، في جرادة كما في حاسي بلال.»

مركز الصناعة التقليدية

منذ 1949، بدأ العمال يستقرون في جرادة رفقة عائلاتهم، أنشأت الشركة، إثر ذلك، ورشتين تتعلم فيهما بنات المنجميين الحياكة والطرز ونسج زرابي الكتان التقليدية. الغرض من هاتين الورشتين هو إعطاء الفتيات غير المهتمات بالتعليم، فرصة ممارسة مهنة للزيادة في مدخول أسرهن. تقوم معلمة أوروبية ومدربات مغربيات بتلقينهن كيفية تثبيت نقط الطرز والنسيج على أغراض عصرية، حسب كل جهة من جهات المغرب. نظرا للنجاح المثالي الذي حققه هذا العمل الاجتماعي، والذي شمل حوالي 50 فتاة في البداية، أنشأت الشركة سنة 1982 بوسط المدينة مركزا حقيقيا للصناعة التقليدية ستستفيد منه 200 متعلمة، حيث ستقوم الفتيات بحياكة قطع ثوب للمواليد الجدد تهدى للأسر العمالية عند كل ولادة. من جهة ثانية، ستقوم النساء الأكبر سنا بتحضير قطع مطرزة وسجادات جدارية حسب معايير الصناعة التقليدية المغربية التي تستجيب للأذواق العصرية، ليتم عرضها وبيعها : سجادات، أغطية، وسادات، أغطية كراسي، أدوات الطعام، طقوم شاي، أردية، معاطف، صدارات وحتى حقائب يد ! كل هذه الانشطة كانت بأجر.

المدارس والتكوين المهني

كان المنجم يشجع التدريس منذ أن بدأت العائلات في الاستقرار بالمدينة.

إطلالة على مركز الصناعة التقليدية وقاعة الرياضات، وفي الخلف يمينا، الركام الكبير للنفايات المعدنية

فتحت أول مدرسة أبوابها في نهاية الأربعينيات، غير أنها لم تستقبل في البداية، سوى الأطفال الأوروبيين.

أول مدرسة من إنجاز شركة المفاحم بجرادة (أرشيف)

كانت مدرسة للتعليم الابتدائي، وكانت أول معلمة بها تدعى السيدة ساليرنو. ابتداء من الخمسينيات، تم توفير حافلة لنقل الأطفال الذين يقطنون بعيدا عن المدرسة.

حافلة للنقل جرادة - وجدة تقل أيضاً التلاميذ لمدارسهم (1968) (أرشيف)

آنذاك، كانت توجد مدرستان : «البعثة الفرنسية» لفائدة الأطفال الأوروبيين ومدرسة الأطفال المغاربة، التي تستقبل أكثر من 800 تلميذ من بينهم 300 فتاة، والتي تطالب بتعليم يلائم الساكنة، بتكوين عام وحفظ القرآن وأساسيات اللغتين العربية والفرنسية، كما تحث المدرسة على ضرورة التوجيه المهني والتعليم الأولي. وإذا تحقق ذلك، سيتمكن الطلاب المتفوقون من متابعة دراستهم بالمدارس الثانوية بوجدة، بينما سيتوجه الآخرون إلى المدرسة المهنية بجرادة التي تم تصميمها بتعاون مع التعليم العمومي.

في البداية، لم يكن تمدرس الفتيات أمرا مقبولا مثل تمدرس الفتيان ؛ عملت المدرسة إذن على إعطاء قيمة للتعليم بالبيت من أجل إقناع الآباء والأولياء.

سيدخل تمدرس الفتيات في الأعراف تدريجيا.

مع تزايد عدد السكان في جرادة (أكثر من 45 000 نسمة سنة 1985)، شرعت وزارة التربية الوطنية في بناء مدارس ابتدائية وإعدادية : لم يعد الأطفال مجبرين على الذهاب إلى وجدة. تستقبل مدرستا المنجم، الأولى بجرادة والثانية بحاسي بلال، ألفا وخمسمائة تلميذ، وتتوفر كل واحدة منهما على قسمين (رياض الأطفال وأقسام الابتدائي) وطاقم تربوي واجتماعي مكون من 60 شخص.

يساهم آباء وأولياء التلاميذ بمبلغ رمزي. تسجل هذه المؤسسات نتائج جيدة بين مؤسسات جهة الشرق. كل سنة، يستفيد أبناء المستخدمين من ملابس جديدة بمناسبة عاشوراء، إضافة إلى لوازم مدرسية وكتب تمنح مجانا في مدارس الشركة ويقدم جزء منها فقط في المدارس الابتدائية والإعدادية الأخرى.

تحث السلطات والمنتخبون على قيمة التعليم التقني الذي يفرض نفسه داخل بلد في أوج الازدهار الاقتصادي. يحتفل السيد عبد الرحيم بوعبيد، نائب رئيس المجلس، ووزير الاقتصاد الوطني والمالية، بتاريخ 4 دجنبر 1959 الذي يصادف عيد المنجمي، بالتكوين المهني المقدم بجرادة في خطابه الكبير. لقد تبنت شركة المفاحم القاعدة التي وضعتها هيئة مسؤولي التكوين المهني للمملكة، بتاريخ 27 يناير 1961.

العطلة المدرسية للمتمدرسات بالسعيدية (أرشيف)

المخيم الصيفي للفتيان بالسعيدية (أرشيف)

مجموعة من الأطر أمام دار المنجمي [1947] (أرشيف)

هذه القاعدة تدعو إلى محو الأمية. في هذا الإطار، تم تنظيم دروس ليلية بجرادة يشارك فيها 150 شخصا بشكل منتظم. وبتاريخ 1 أبريل 1970، أعادت الإدارة تنظيم التكوين المهني بالاعتماد على متحف المنجم، لمدة ثلاثة أشهر لفائدة العمال والمشرفين. تم كذلك خلق مركز للإنتاج سنة 1980، يستقبل 30 عاملة من بنات عمال المنجم أصبحن مسؤولات عن عائلاتهن بعد وفاة الأب.
هنا، تنتج 35 آلة صناعية ما مجموعه 30 000 وحدة سنويا (ملابس عمل، بذلات، وزرات...) استجابةً لحاجيات المستخدمين أو لبيعها في الخارج.

الخدمات الجماعية

إن الخدمات المقدمَّة في المرافق الموصدة للمنجميين وأسرهم عديدة ومتنوعة ومُيَسّرة للغاية.

إذ تسنح قضاء أوقات الفراغ معا والمشاركة في المناسبات (ولاسيما تلك الخاصة بالشركة) واستعمال الوسائل المتوفرة، ممَّا يساعد في تؤالف القوى العاملة. وما فتئت الخدمات تتزايد و تتنوع بمرور الوقت.

الخدمة الاجتماعية

لقد انشئت في الأربعينات وتعتبر من العناصر الأساسية للحياة الاجتماعية. تم تنظيمها وتوسيع أنشطتها ما بين سنتي 1978-1979، و قد عملت على توفير الدعم المستمر للمنجميين وأسرهم.
وستصبح إحدى ركائز الحياة الاجتماعية والمحور الذي يدور حوله العديد من أبعادها الرئيسية. ولقد استفاد من المساعدات كل من العمال وأسرهم وكذا المتقاعدين والأرامل والأيتام.

من بين المناسبات الداخلية التي تحتفل بها الشركة دائما، تقديم الشهادات للخريجين والميداليات للمتقاعدين

المنجم، المساهمون والمنجميون

خلال سبعين سنة من وجودهم، المنجم، المساهمون فيه والمنجميون أنفسهم تغيروا كثيراً، ومروا من أزمات كبيرة، عرفوا نجاحات عديدة أيضا... كل فترة سعيدة كانت أو مؤلمة، كل حدث كبير، كل اختلال عالمي... باختصار، كل ما كان له مفعول، في مرحلة أو في أخرى، على الحياة الاجتماعية والسياسية أو الاقتصادية للمملكة أو حتى على أسواق الطاقة، خاصة الفحم، أثر بطريقة أو بأخرى على هذه الرحلة الإنسانية والصناعية الكبيرة. في جرادة، استطعنا إذن تجاوز عهد الحماية، والحرب العالمية الثانية، ومررنا بمرحلة الاستقلال... وهي أهم الأحداث التاريخية، سيشكل كل منها نقطة تحول حاسمة بالنسبة للمنجم.

الحضور البارز للمساهمين التاريخيين

تم اكتشاف حقل الفحم بعد حوالي عشرين سنة من الحرب العالمية الأولى، هذه الأخيرة هي ما يفسر القوة التي يمنحها امتلاك الفحم والفولاذ. يشكل حقل الفحم الحجري عنصرا مهما ذا بعد اقتصادي استراتيجي عميق بالنسبة لقوة عظمى معينة، وحتى بالنسبة لصناعتها العسكرية. أما بالنسبة للفحم، فقد حاول البلجيكيون والفرنسيون تكملة مواردهم الخاصة بأخرى بعيدة من الصعب الوصول إليها في حالة وجود نزاعات، ويمكن بيعها لبلدان أخرى.

الشركة البلجيكية أوكْري-ماريهاي، هي شركة لاستخراج الفحم والفولاذ أيضا. لقد اكتشفت الحقل وحللته. ومنذ انتشار الخبر، تزايد الطلب على رخص الاستغلال، وأصبح هناك خطر على تنظيم هذه العملية لأن تضاعف الفاعلين يجعل الاستغلال العقلاني أمرا مستحيلا.

عينة من الفحم الحجري الذي تم اكتشافه في موقع جرادة

منذ سنة 1928، أنشأ السيد إيريك لابون، الذي سيصبح مقيما عاما في 1946، بشكل استعجالي، مكتب الأبحاث والمساهمات المعدنية، منظمة عمومية تمثل مصالح الدولة المغربية، قامت، تحت مسؤولية مديرها السيد ليون ميكو وبما لها من سلطة، في يناير 1929، بتجميع الفاعلين وتكوين نوع من المقاولة ذات الاقتصاد المختلط بصيغة جريئة ومبتكرة، حملت إسم الشركة الشريفة لمفاحم جرادة برأسمال يعادل 54 مليون فرنك. الهدف وراء ذلك هو التوفيق بين الصالح العام ومصالح المستثمرين الخواص. منح المكتب نفسه حصة الثلث، بينما ساهمت شركة أوكْري-ماريهاي بأكثر من النصف.

يعادل هدف الإنتاج السنوي 150 000 طن... ستستغرق الشركة الشريفة لمفاحم جرادة أكثر من عقد من الزمن للاقتراب منه (تم إنتاج 145 000 طن بالكاد سنة 1941). أدى هذا الفرق إلى الإخلال بالسوق العالمية وقطع روابط التصدير وتوريد المعدات وقطع الغيار وغيرها.

إلى جانب ذلك، كان العديد من العمال ضحية لوباء التيفوس الخطير. ولمواجهة هذا الخطر المحدق، وقعت الدولة المغربية على معاهدة مع الشركة الشريفة لمفاحم جرادة ابتداء من يناير 1942 تهدف إلى التدبير الجيد لعملية استغلال المنجم. احتفظت الشركة بصلاحية المعالجة، التغليف، الشحن، والتسويق.

كانت سنة 1942 سنة صعبة (تم بالكاد صنع 118 000 طن)، سارعت الشركات المغربية إذن إلى تعويض أداتهم الصناعية بالفحم الحجري نظرا لاستحالة استيراد أخرى أكثر جودة والرفع، بالتالي، من الطلب. في 1945، تم إنتاج 178 000 طن، وفي نهاية 1946 تم إنتاج 220 000 طن، بينما ارتفع طلب عدد من البلدان لفحم جرادة وفي حين انتهاء فترة إدارة الدولة. لكن هذا النجاح كان له ثمن في المقابل تمثل في الاستغلال المفرط للمواد (فمثلا، كان مغسل كْنفودة يشتغل 23 ساعة في اليوم)، أغلبها على وشك الاستنزاف. ما عدا المنحدرات التي تم خلقها خلال سنوات الحرب، لم تعرف المنطقة أي استثمار يذكر لمدة طويلة.

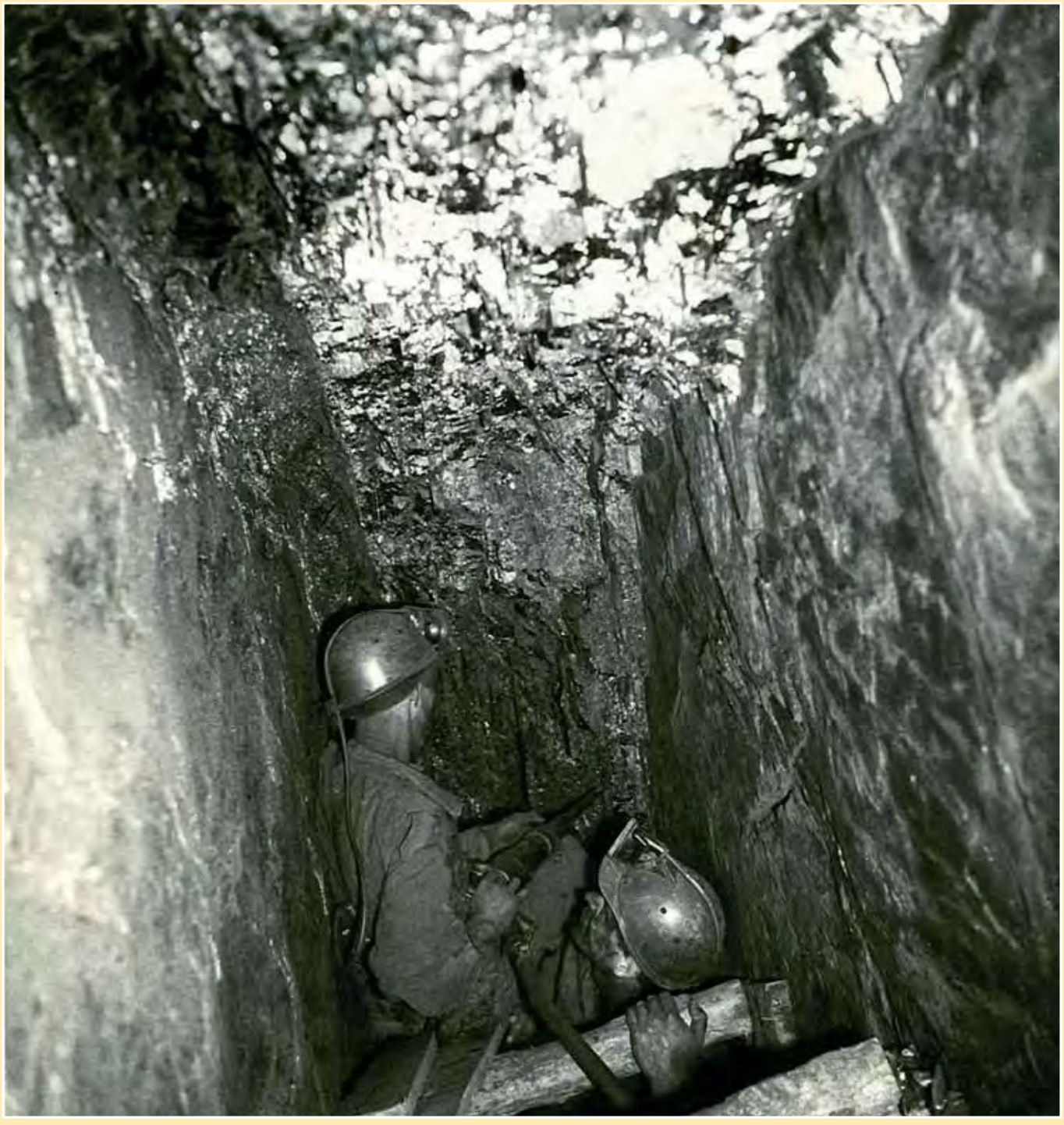

اخترع الأخوان أرموند وفرانسوا كوليني سنة 1921 حفارة بالهواء المضغوط، سميت بـ "لا كروا" نسبة إلى الكاهن الذي اقترح الفكرة.
ومنذ الأربعينيات، عوضت هذه الآلة الأدوات اليدوية التي كانت تستخدم بجرادة (الصورة تعود لسنة 1959) (أرشيف)

في الوقت الذي استأنفت فيه المناجم عملها ورفعت مستوى إنتاجها إلى حده الأقصى، كان منجم جرادة في حاجة لإعادة استثمار مكثف في ظل الإنتاج المفرط الذي يعرفه العالم. لمواجهة ذلك وحتى تتمكن من تجاوز الأزمة، يجب على الشركة الزيادة في رأسمالها بشكل يناسب معطيات الوضع الجديد. لذلك، ابتداء من دجنبر 1946، تم دمج الشركة

الشريفة لمفاحم جرادة مع مؤسسة جديدة، وهي مفاحم شمال إفريقيا، يبلغ رأسمالها 132 1 مليون فرنك ويمثل أكثر من ضعف رأسمال الشركة الشريفة، ويمكن أن يرتفع إلى 1.9 مليار.

من بين المساهمين، نجد مكتب الأبحاث والمساهمات المعدنية دائما بحصة الثلث باسم الدولة المغربية، الدولة الفرنسية، مجموعات بنكية خاصة ومشتركون مغاربة وأجانب. ستعرف السنوات الموالية زيادات متعددة في الرأسمال. بالتالي، في 1952، ساهمت شركة أوكْري-ماريهاي بمبلغ 522 مليون فرنك وصارت مرة أخرى شريكة بالأغلبية، مع خفض الدولة المغربية لحصتها. في بداية الستينيات، كانت ظروف السوق مناسبة، إذ اشترت الدولة المغربية مرة ثانية في 1964 حصصا لتتصدر شركاءها بنسبة تفوق 54%. في عام 1966، استأنفت محطة الصخور السوداء عملية الشراء وحققت مصانع الإسمنت رقما قياسيا بحيازتها لـ 000 68 طن.

ولكن بدءً من 1967، عاد المنجم إلى خساراته... لمدة سبع سنوات متتالية ! سارعت الدولة المغربية إلى دعم الاستغلال بمنح مساعدات نقدية قابلة للتسديد عن طريق مكتب الأبحاث والمساهمات المعدنية. وفي عام 1968، أظهرت دراسة أن عودة الحسابات إلى التوازن ليس أمرا واردا كما سيكون من الصعب تسديد القروض.

ارتفعت المساهمات المالية للدولة، وصار المنجم يعيش من المال العام. في 1972، اشترت الدولة الحصص الفرنسية والبلجيكية وأصبحت بالتالي تتحكم في 98% من رأس المال. إلى جانب ذلك، وقعت معاهدة مع الشركة، سيتم تمديدها ثلاث مرات، مصحوبة دائما بنمو في المساهمات المالية. وفي سنة 1981، بقرار من الجمع العام الاستثنائي، أصبحت الشركة «مفاحم المغرب»، وهي تسمية ستحتفظ بها إلى حين إغلاقها.

منشآت المنجم

تحدث العدد 34 من مجلة «دفاتر ما وراء البحار» عن الأشغال الأولى التي أعطت الانطلاقة لعملية الاستغلال. تمثلت هذه الأشغال في إنجاز منحدرات (عبارة عن مواقع صغيرة للاستخراج) انطلاقا من نتوءات صخرية موجودة بالمنطقة، حيث قام عشرة منجميين بلجيكيين متمرسين قادمين من ليج بتنفيذ مهام تتطلب كفاءة عالية كما كونوا المنجميين المغاربة المبتدئين آنذاك.

في الفترة ما بين 1934 و1936، كانت المهمة الأساسية هي حفر البئر 1 الذي بلغ عمقه في البداية 150 متر، لذلك كان يسمى بالحوض 150. يعبر هذا البئر الطبقات الأربعة القابلة للاستغلال.

إنجاز كبير!

كان موقع حفر البئر 1 ضخما، مقارنة بالإمكانيات المحدودة آنذاك. يتعلق الأمر بحفر أسطوانة، في محور الحوض الشمالي، يبلغ قطرها 4.10 متر مغطاة بوحدة متراصة من الإسمنت. لقد كان موقعا عملاقا.

إنشاء البئر 1 (سنة 1945) (أرشيف)

بدء أشغال بناء الدعامة الأولى (أرشيف)

بناء السناد الأول بموقع البئر الأول (أرشيف)

وفيما يخص المعالجة، أي الغسل والفرز والتغليف، تم استعمال بضعة أحواض مملوءة انطلاقا من المنبع المحلي لعين خنديف والتي تهدف لمعالجة كتلة محدودة.
تم بعد اكتشاف مستودعات المياه الجوفية المهمة لكْنفودة، بناء محطة غسل وفرز بالمنطقة تستطيع معالجة 65 طن في الساعة، أي ما يعادل 200 000 طن في السنة. في البداية، كانت تّستعمل الجمال لنقل الفحم الخام مرورا بطريق وعرة، تم استبدال الجمال بالشاحنات.
وللزيادة في التمرير، يستعمل التلفريك - ثاني أطول تلفريك في العالم بطول 22 كم - سيتم بناؤه بين عامي 1931 و1934 ومن ثم سيكون جاهزا عند بداية تشغيل البئر 1. وتبلغ الطاقة الاستيعابية لقللابات النفايات 566 - أو «سيدانات» - المعلقة على كابل ذي حلقة لامتناهاية أو متكررة، 80 طناً في الساعة، وبلغت 100 طن في عام 1946 بعد إضافة سيدانات جديدة لتلبية الاحتياجات الكبيرة لفترة ما بعد الحرب.

مركبات التيليفريك عند مدخل كْنفودة (أرشيف)

أحد أبراج التيليفريك الرابط بين جرادة وكْنفودة (أرشيف)

وتبدو كْنفودة كمحطة شحن مثالية لأنها تحظى بشبكتي الطرق والسكك الحديدية. يتم شحن أكياس الاتراسيت عبرالطريق المعبدة ثم عبر السكك الحديدية للتصدير بمجرد فتح الخط الحديدي الرابط بين وجدة وميناء غزاوة-نمور في 6 مارس 1936.
في عام 1946، وبعد انتهاء الصراع العالمي، انتهت معه إدارة الدولة لعملية استغلال المنجم وتركت وراءها أرقاما قياسية في الإنتاج، مشاريع لتجديد منشآت، معدات في طريقها إلى النفاذ وحقلا حول البئر (الحوض الشمالي) على وشك الاستنزاف (لا يتجاوز مخزونه عشر سنوات).

المنشآت في بداية الخمسينيات

بدأ استغلال الحوضين منذ 1953. وكانت مجموعة من المنحدرات الموجودة في ساحة واسعة تقع ما بين موقع الاستخراج القديم، خلف إحدى الدعامات التي تطل على مربع المنجم، والموقع الجديد الموجود بحاسي بلال. يوجد هنا المغسل الجديد والكبير، إلى جانب الدعامة العصرية للحوض الجنوبي، يمنح هذا المشهد أشكالا بارزة تطل من الأفق.

في جرادة :

يعكس مربع المنجم عملية الانتقال التي عرفتها تلك الفترة، ويوجد حول آلة الاستخراج القديمة مرافق ومكاتب الاستغلال. وتشهد مجموعة من التجهيزات التي لا زالت قيد الاستعمال على الاستمرارية التاريخية :

- المكاتب ؛
- الورشات الميكانيكية، التي استكملت في عام 1952 ؛
- الورشات الكهربائية والنجارة العصرية ؛
- المرآب وورشاته (مع ساحة لركن 55 عربة) ؛
- المتاجر، مع تخزين لمدة 8 أشهر لجميع الحاجيات، مخزن للخشب، رصيفان (أحدهما موجه للقطارات، والآخر للشاحنات) ؛
- المحطة الكهربائية الفرعية التي تحول التيار من 22 000 فولط إلى 5 000 فولط و220 فولط.

وبعكس ذلك، بدأ في الاندثار كل من : البئر 1، مستودع المصابيح، الحمامات، محطة الفرز والسحب، حيث ينزل الفحم من المنحدرات باستعمال قوة الجذب الكهربائية وصولا إلى خزانات كبيرة كانت تستعمل لتزويد التيليفريك.

في حاسي بلال :

يضم هذا الموقع جميع التجهيزات الجديدة :

- البئر 2، بعمق 450 متر، ودعامته بعلو 37 متر وآلة الاستخراج بقدرة تصل إلى 50 مركبة أي 375 طنا في الساعة ؛
- قاعة آلات الضغط ؛
- المحطة العامة للتحويل (12 000 كيلو فولط أمبير)، التي تستقبل التيار تحت 60 000 فولط وتوزعه على جميع المحطات الفرعية تحت 22 000 فولط ؛
- المغسل الذي يعالج حتى 250 طنا في الساعة، أي مليون طن في السنة، بما فيه سحب الفحم الخام عند وصوله، الفرز (إزالة الأحجار وقياس العيار)، الغسل (في سلسلة من الأحواض)، إزالة الغبار الدقيق، التخزين، ثم محطة التعبئة ؛
- المحطة والسكة الحديدية نحو كُنفودة، إنجاز مبهر وصعب قررت سنة 1949، مع أكثر من 4 كيلومترات تحت الأرض.

قاعة آلات الضغط بتجهيزاتها الجديدة (أرشيف)

سيشرع في إغلاقه تدريجيا (ثم كليا في 1955) وستنقل معداته إلى حاسي بلال (الحوض الجنوبي) حيث ستفتح أول المنحدرات في 1947. وبذلك، سيصل معدل الإنتاج إلى 460 000 طن في 1952 كحد أقصى بالنسبة لوضع التجهيزات آنذاك. بعد 1955، سيحتفظ بالمنحدرات الأكثر مردودية للحوض الشمالي. المنحدرات الثلاثة الأولى التي بدأت في الاشتغال في مركز حاسي بلال وصلت طبقة رقيقة (65 سنتمترا تقريبا)، ولكن جد غنية :

- توجد إحدى هذه الطبقات وراء القيسارية، قرب الحمامات وغرف تبديل الملابس ومستودع المصابيح ومجموعة من الورشات، على قطعة أرض كانت آنذاك حقلا للحصى يخزن فيها الخشب الموجه لصنع دعامات الأنفاق ؛
- توجد الثانية بموقع بنيت فيه منازل الأطر، ويتحول اليوم إلى حديقة عمومية ؛
- تجاور الثالثة محطة شحن الفحم المغلف والموجه للبيع. بالقرب منها، خلف المبنى الذي يأوي اليوم «مقهى الحديقة»، نجد الورشات. وفي أعلى الدرج، ينفتح باب كبير على مكتب المهندس، الزجاجي الواسع، وكذا على مكتب المحاسب.

لقد رافق إنشاء شركة مفاحم شمال إفريقيا تبني خطة تنموية، وتم الشروع فيها بسرعة لتكتمل في 1953، وتضم العمليات التالية :

- حفر البئر 2 بحاسي بلال الذي يستخرج حتى 650 000 طن سنويا ؛
- المغسل الجديد الذي بدأت أشغاله سنة 1948، والذي دشن في 18 أبريل 1952 ؛
- إمدادات الماء بصبيب مرتفع ؛
- السكة الحديدية (45 كيلومترا، مع انحدار ملائم للقطارات المحملة، على طول المسار وعلى حساب سبعة أنفاق، يمتد أحدها على طول 1 864 متر) ؛
- محول كهربائي جديد.

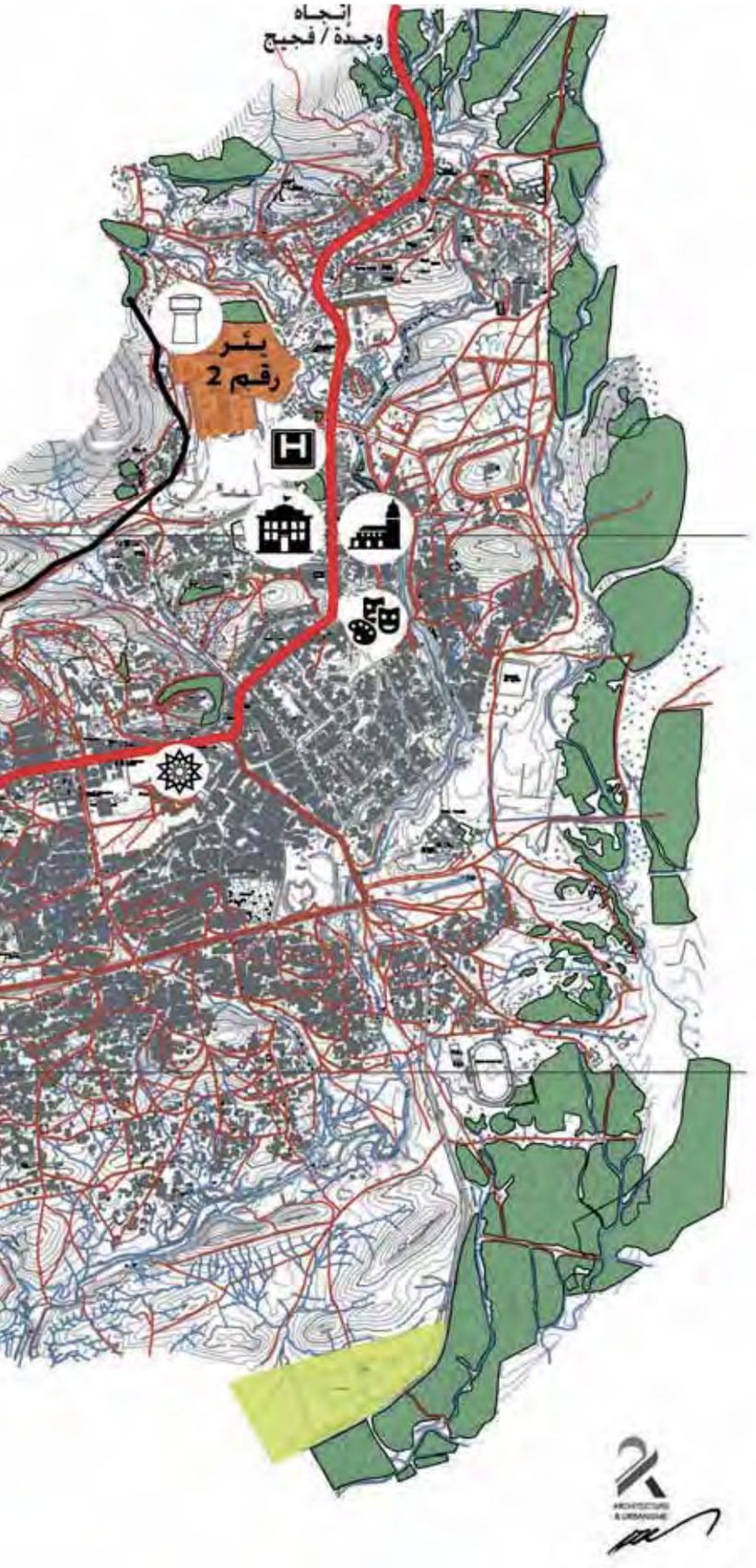

يتطلب خط السكة الحديدية، المقرر إنجازه منذ 1949، ثلاث سنوات من العمل وتكلفته مرتفعة. إن العربات الخزان التي تزن أربعين طنا - وتسمى أيضا «الزرافات» - تعوض العربات المعلقة في السماء، والتي لا زالت ذكراها تثير مشاعر القدماء.
بعد تشغيل البئر رقم 2، استقر الإنتاج خلال بضع سنوات في حوالي أربع مائة طن في السنة. ولتجاوز هذا المستوى، فإن المقر الخامس، الذي يجب أن يوفر إنتاج الفحم على مدى محدود، قد عرف تجديدا من أجل الرفع من الإنتاجية :

- طريقة جديدة في الاستغلال بأحجام كبيرة، والمسماة «القطع الجزئي» ؛
- استغلال بواسطة القطاعات ودعامات معدنية ؛
- دراسات من أجل ضبط بنية الحقل المنجمي ؛
- شروط عمل جد متطورة ؛
- تكوين مهني متين ؛
- تدبير وبنيات تحتية قوية.

أدى التزايد الهائل لطلبات مراكز المكتب الوطني للكهرباء إلى السعي إلى إنتاج سنوي يصل إلى مليون طن، وإلى تفعيل البئر رقم 3 من أجل استغلال ما يمكن أن يشكل الجزء الأكبر من الاحتياطي. بدأت الأشغال سنة 1969 وانتهت متأخرة جدا سنة 1978. ووصل الإنتاج خلال تلك السنة إلى سبعمائة وعشرين ألف طن. ولكن عمليا، لن يصلح البئر رقم 3 إلا لنقل المستخدمين والعتاد، فقد قدر احتياطي هذا البئر حتى ذلك الحين بمائة وستين مليون طن، لكن هذا التقدير كان موضوع مبالغة مفرطة، بينما كانت الإمكانيات الحقيقية للحقل أقل من المتوقع بكثير.
لقد تطلب مجموع الإجراء الذي تم وضعه بالمقر رقم 5 استثمارا ضخما (ثلاث وسبعين مليون درهم، سبعة وأربعون منها عبارة عن قرض)، الشيء الذي أفرغ الخزينة وأثقل الميزانية بديون ضخمة، دون أن يحقق النتائج المرجوة. وكاد في النهاية، أن يعرض المقاولة للإفلاس.

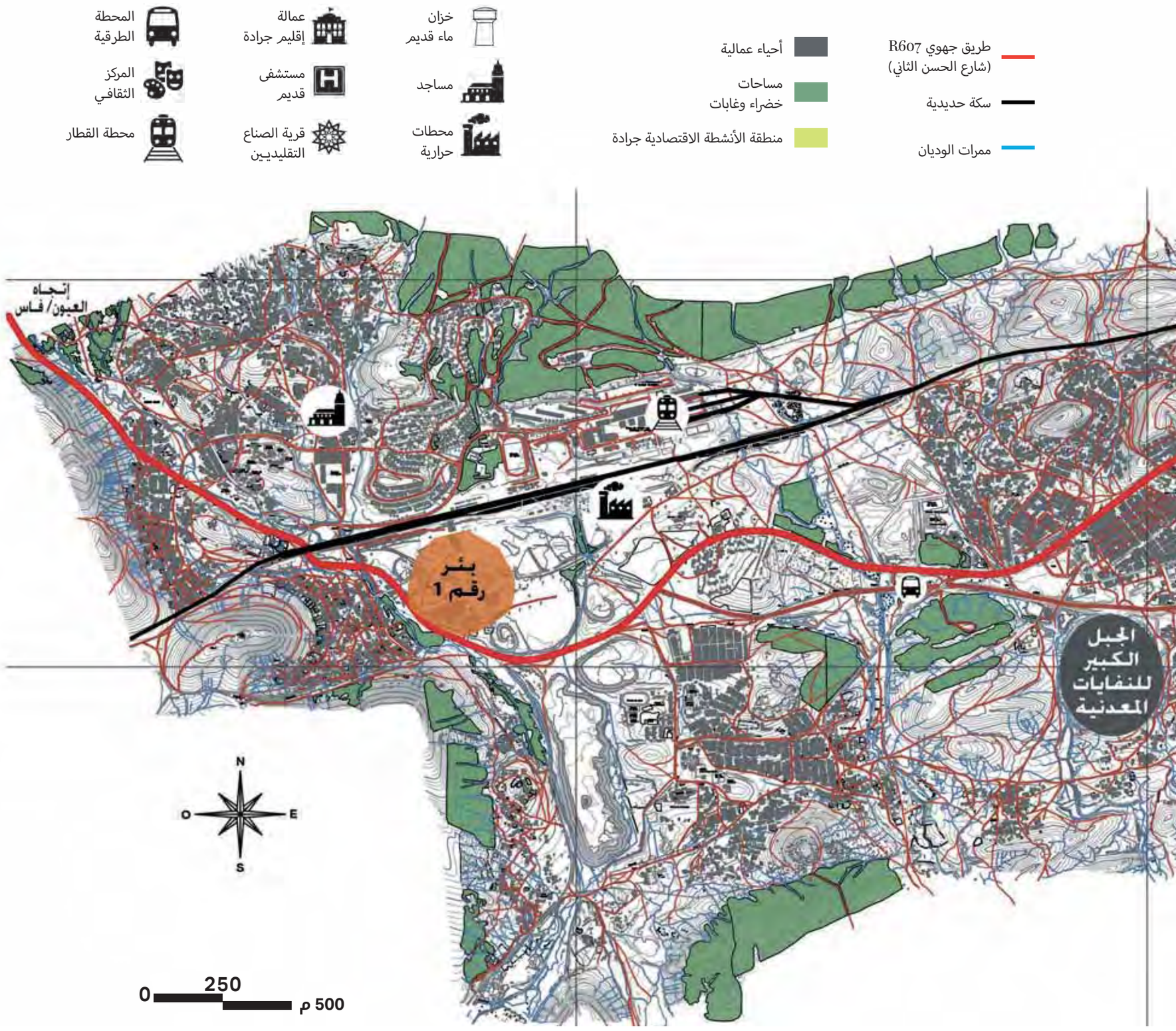
طريق جهوي R607
(شارع الحسن الثاني)
سكة حديدية
ممرات الوديان
أحياء عمالية
مساحات
خضراء وغابات
منطقة الأنشطة الاقتصادية جرادة
خزان
ماء قديم
مساجد
محطات
حرارية
عمالة
إقليم جرادة
مستشفى
قديم
قرية الصناع
التقليديين
المحطة
الطرقية
المركز
الثقافي
محطة القطار
إتجاه
العيون/ فاس
بئر
رقم 1
الجبل
الكبير
للنفايات
المعدنية
N
O
E
S
0
250
500 م

منتوجات المنجم ووجهاتها

إن الفحم المستخلص من جرادة معروف منذ البداية من خلال التحليلات المنجزة ببلجيكا كأحد أجود أنواع الفحم بالعالم نظرا لقدراته الحرارية التي تضاهي جودة النماذج الإنجليزية :

- من 5 600 إلى 6 000 كيلو كالوري في الكيلوغرام بالنسبة للفتات الدقيق الخالص، و7 300 كيلو كالوري في الكيلوغرام بعد الغسل ؛
- من 7 200 إلى 7 600 كيلو كالوري في الكيلوغرام بالنسبة للأنواع الأخرى.

تأتي نقطة ضعفه في رقته وهشاشته عند الاستخدام، من مرحلة الاستخلاص حتى مرحلة الإعداد للاستغلال، الأمر الذي يخلق غبارا كثيرا. إن الفتات الدقيق (أجزاء قطرها أقل من ست ملمترات) يمثل ما بين النصف وثلاث أرباع الكميات المستخلصة، بينما ثمن بيعه أقل من ثمن القطع الكبيرة بمرتين أو ثلاث مرات.

ويصلح الرقيق بالخصوص للاستخدام الصناعي :

- مراكز الطاقة الحرارية وصناعة المعادن ؛
- صناعة الإسمنت والآجور، أفران الجير والجبس ؛
- تذويب الرصاص وتكليس المنغنيز ؛
- بعض أنواع التسخين المركزي وسخانات الماء ؛
- قاطرات ومنشآت المكتب الوطني للسكك الحديدة ؛
- مصنع التجميع «المينا» الذي تم إنشاؤه بكُنفودة (ما بين 16 000 و20 000 طن سنويا).

تعتبر العيارات الثقيلة (من 15 إلى 20% من الإنتاج) مطلوبة أكثر من غيرها، خاصة للتصدير، وتوجه حبيباتها نحو صناعات السكر والصناعات الصغيرة والمصنفة (من 10 إلى 80 ميليمتر) التي تصلح للتسخين المنزلي.

وقد وفر التصدير خلال سنوات الخمسينات والنصف الأول من الستينات حوالي نصف رقم المعاملات.

إلا أنه سرعان ما سيعرف السوق انخفاضا تدريجيا من 200 000 طن إلى 60 000 طن خلال نهاية العقد، ثم إلى 20 000 طن في بداية السبعينات.

مغسل حاسي بلال الذي عوض مغسل كُنفودة (1957)، ومعه القطار الذي يزوده، وهو يجر العربات "الزرافات" (أرشيف)

ابتداء من 1972، أصبح المكتب الوطني للكهرباء أول زبون للمنجم، وأصبح مستقبله مرتبطا بشكل وثيق بالإنتاج الوطني للطاقة، والذي وفر المركز الطاقي لجرادة حوالي ثلثه.

تقلصت مشتريات مصانع الإسمنت التي كانت تطلب حوالي 100 000 طن من الفحم الدقيق سنويا، حيث أصبحت تمثل ما بين ثلث ونصف المبيعات؛ وقد انخفضت حصة هذه المصانع إلى ما يقارب 20% أما مصانع السكر الثلاثة بالغرب، فإنها تستهلك سنويا 55 000 إلى 75 000 طن حسب المحاصيل المطلوب معالجتها. وقام مركز جرادة لوحده بإحراق أكثر من نصف المنتوج خلال سنة 1972 : أي حوالي 550 000 طن، ويمثل المجموع الذي كان يُتوقع أن يصل إلى 700 000 طن سنويا بعد ذلك.

المقر 5، صلب البرنامج خلال السبعينات

أصبح المقر 5 قابلا للاستخدام منذ نهاية السبعينات، وقد تم التخطيط له ليتمكن من تحديث الموقع وتلبية طموحات نهاية القرن العشرين، من خلال :

- خمس منحدرات يتراوح عمقها ما بين 360 و 1 535 مترا، مجهزة بصندوق أو اثنين منحرفين بـ17 إلى 30 درجة ؛ ويتراوح مجال كل منها ما بين 7 و 16 متر مربع ؛
- البئر 2 بجهازيه الضاغطين من أجل تغذية مطرقات الحفر وآلته التي تصل قوتها 1 300 حصان.

إن تنقلات العتاد والمستخدمين وكذا نقل الفحم يتم تحقيقها بواسطة صناديق في المنحدرات وبواسطة مصعد مكون من قفصين في البئر 2. ويتم ضمان التهوية بواسطة مروحيات وضعت فوق فواصل تقع بين الأروقة.

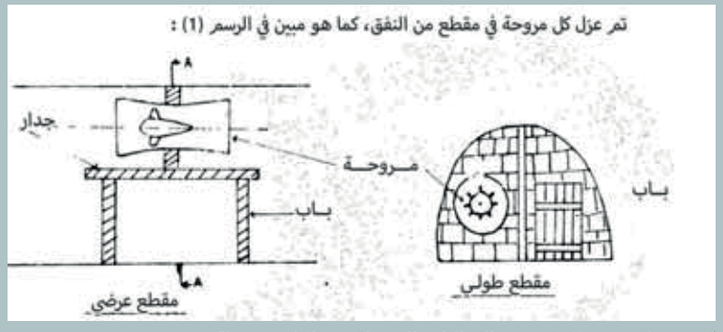

مقتطف من مذكرة تثبيت الهوائيات المسماة " هوائيات معزولة"، تم تصميمها بواسطة مكتب دراسات المنجم

مِعْوَل يستخدم لوضع دعامات الأنفاق بواسطة قطع خشبية قوية (1935)

ولمواجهة خطر انهيار الأنفاق، تم وضع دعامات من خشب، وخلق مجالات غير مستثمرة (فضاءات يؤجل استثمارها في المراحل الأخيرة للاستغلال). ويبدأ ترتيب مراحل الاستغلال من «السقف» باتجاه «الجدران».

إخراج الفحم من الانفاق بواسطة بساط متحرك (أرشيف)

وتجعل الانحرافات الضعيفة والسمك المحدود من المهمة أكثر تعقيدا. وتحد مكننة عملية القطع نقل الفحم بواسطة الناقلات من هذا التعقيد جزئيا. ويتم نقل الفحم بالاعتماد على الثقالة، ما لم يكن المنحدر ضعيفا جدا. وعندما لا يتعلق الأمر بالقطع، تُستخدم ناقلات ذات أحزمة، عربات صغيرة تسير على سكة حديدية، أو آلات تنظيف المعدن. ورغم عمليات التحديث هاته، لا زال الغبار ودرجة الحرارة يشكلان مشكلة. ورغم إجراءات مقاومة الغبار، فإن تمركزه في الهواء يبقى مرتفعا، بدرجة تتجاوز المعايير المقبولة. وتتجاوز درجة الحرارة أحيانا 32 درجة في الأوراش العميقة. وتعتبر كثافة النشاط، والعمق وضعف صبيب الهواء، عوامل مفسرة لذلك.

أدوات المنجمي والتجهيزات

تحد ليونة الفحم وهشاشة الطبقات، وكذا ضعف سمكها نسبيا من إمكانيات مكننة عملية الاستخراج. وهكذا تصبح الحفارات (آلات حفر تقوم بفتح منافذ والكشف عن مساحة منجمية)، دون فعالية عندما لا يصل سمك الطبقة إلى 35 سنتيمتر. أضف إلى ذلك أن المنجميين غير مكونين لاستخدامها. مما يتطلب معه إنجاز العمل بواسطة حفارة الهواء المضغوط.

مطرقة حفارة
إسبانية الصنع

وابتداء من الخمسينات، سيشرع في استخدام آلة القطع والتمليس التي ستضاعف من المردودية، تعمل على تكسير وتنقل الفحم دون الحاجة إلى تدخل بشري، وتشتغل في الأماكن التي لا يستطيع العامل أن يصل إليها، وهو ما يضاعف إنتاج الورشة بمقدار الربع. وسيتم استخدام ستة منها فقط بجرادة، لأن هذه الآلة تكسر الفحم ولا تستخدم إلا في الطبقات التي لا توفر سوى أحجام دقيقة مهما كان شكل الاستخراج. تقوم آلة الاستخراج بدحرجة الفحم فوق صفائح معدنية حتى الرواق إذا كانت مستعملة في مكان مائل ؛ أما في الأماكن المستوية، أي الطبقات الأفقية، فإن الفحم يتم دفعه بواسطة عمال «دافعين»، وهو ما يشكل عملا شاقا. التحديث الوحيد الذي نجح هو استخدام ناقلات، حتى وإن تعلق الأمر بكميات محدودة : بساطات من المطاط موضوعة على الأرض، تجرها رافعة بمقدار متر كل دقيقتين. يسقط الفحم المستخرج على البساط، ويتجه نحو البئر الداخلي، بواسطة مروحية تجنبا لانكسار الأحجام الكبيرة.

إخراج الفحم من خلال ثقب مروحي في الأرض،
على بساط متحرك (1958) (أرشيف)

بدلة المنجمي، أدواته وتجهيزاته

قناع
المنجمي
(1970)

قناع تحمله
فرق الإنقاذ
(1980)

قنينات أوكسيجين من أجل الإغاثة
تستخدم لقياس أوكسيد الكاربون في القاع (1970)

صندوق الإسعافات للإغاثة
(أقنعة، قنينات أوكسيجين)

واقية عظم الساق،
ويغطي الجزء الواقع
بين الركبة والقدم ضد
الصدمات
(1940)

رقاقة ضبط الحضور
تحمل رقم العامل
ورقم كشافته
(1935)

مثقاب
(1980)

مثقاب لولبي
من أجل إحداث ثقوب
حيث توضع المتفجرات
بهدف فتح منفذ
(1970)

أجهزة لقياس قوة الحبال الفولاذية
(قفص، رافعة، خط حديدي أحادي، مقعد محلق، ابتداء من سنة 1980)

بدلة الأطر
الذين يتدخلون
في قاع المنجم
(الخمسينيات)

مفجر المناجم،
وهو في نفس الوقت
مولد كهرباء متصل
ومولد كهرباء متقطع،
ويمكن من تفجير الديناميت
(1970)

جهاز نفخ
الأوكسجين (1990)

جهاز نفخ
الأوكسجين
(1960)

مصباح
الخوذة
وبطاريته
(1950)

مصباح بالأسيتيلين
يعود لسنوات (1930)
(يؤثر الماء على كربيد
الكالسيوم وينتج غازا
قابلا للاحتراق يرسل
الضوء وهو يحترق)

جهاز مسح الأرض للتأكد من المستوى
ومراقبة الاتجاه (1980)

بعد ذلك يتم شحن الفحم بواسطة عربات السكيب - وهي جرافات تنفتح من الأسفل، موضوعة على سكك حديدية مائلة، سعتها من ثلاث إلى أربع أمتار مكعبة - تصعد إلى السطح، يجرها حبل ورافعة. وتساهم أيضا في نقل المستخدمين (حتى 18 فردا في كل مركبة)، وتشتغل بشكل ثنائي (حين تكون واحدة بالعمق، تكون الثانية بالسطح). هناك عاملان «رافعان» يقودانهما، أحدهما بالسطح، والآخر بالعمق، ويتواصلان بإشارات عن طريق جهاز كالهاتف، «جينيفون» :

- إشارة واحدة للتوقف، إشارتان للصعود، وثلاث إشارات للنزول ؛
- أربع إشارات لطلب إعادة الإشارة ؛
- خمس إشارات للإخبار بحركة العمال، الخ.

جينيفون، وهو نظام مشترك بين الأجهزة بدون مصدر خارجي للطاقة (1960)

الجينيفون (1980)

تقوم قطارات كهربائية صغيرة بتجميع هذا الفحم، الذي تم إفراغه في عربات السكة الحديدية (حتى 30 طنا في العربة الواحدة) التي تتجه نحو المغسل. هناك يخضع محتواها للعمليات التالية :

- تفرغ في ناقلة ذات شريط ؛
- تنقى من الحجر يدويا (إزالة الأحجار التي يتجاوز قطرها 8 سنتيمترات) ؛
- تغربل بواسطة حوض متذبذب يفرز الأحجام بمرورها من شبكة معدنية ؛
- تغسل في وعاءين يحركهما مكبس هوائي ؛

يجلب القطار الصغير الفحم المستخرج من مسار الهبوط إلى عربات السكك الحديدية (أرشيف)

- تشطف قبل شحنها بالقطار نحو كُنفودة.

وتعود نفس القطارات محملة بالخشب للدعم، وبكرات (الفحم) من مصنع المدينة لأجل التدفئة، وأدوات أخرى.

الإكراهات، السلامة وأشكال التضامن

كان عمال الأزمنة الأولى يعانون من ظروف قاسية. لا يتم الأخذ بأي حادثة وإن تعلق الأمر بوفاة أو جرح. وقد كان عددهم كبيرا حسب ما جاء على لسان الشهود. وكان من بينهم أطفال يتراوح سنهم بين 12 و15 سنة يشتغلون في الغربلة، وسط الغبار وخلال جميع الفصول، يحملون قففا وحقائب، بل قد يقتضي الأمر منهم أيضا دفع الحاويات. وسجلت عمليات الإحصاء خلال الأربعينات، ما معدله 20 حادث في اليوم. واستمرت في تسجيل ما بين 5 و10 حالات وفاة سنويا خلال الفترة الممتدة بين 1955 و1960.

لقد كانت الرغبة في الرفع من مستوى السلامة والصحة رهينة بالحفاظ على المستخدمين ذوي التجربة، ولكنها حدثت أيضا في تزامن مع تنظيمات المأجورين ومع تمثيلية جماعية أصبحت هذه القضايا تشكل مطلبها الأساسي.

مغسل حاسي بلال وأحواضه المتدبدبة المحمولة على أسطوانات تعمل بالضغط الهوائي (1993) (أرشيف)

مرافق مغسل حاسي بلال (1955) (أرشيف)

تفريغ الشاحنات القادمة من المنجم (أرشيف)

حياة بجرادة ؛ نموذج المرحوم إبراهيم الداودي

من مواليد فجيج، اختار المهندس إبراهيم الداودي أن يبدأ حياته المهنية بمناجم الفحم بجرادة. لم يكن يعرف أنه لن يغادر هذه المقاولة أبدا، ولا المدينة أيضا. تم تعيينه مهندسا مسؤولا عن المقر السادس غربا شهر أكتوبر 1977، وبعد أربع سنوات من ذلك، أصبح مسيرا لمصلحة التكوين والأمن حتى يناير 1986 حيث تم نقله لأسباب صحية إلى مصلحة النهار كمدير تقني.

وفي ماي 1989، تمت ترقيته بدرجة مهندس-رئيس مكلف بالمشتريات والأسواق ؛ وفي غشت 1991، كلف بمصنع الآجور والقرميد لشمال إفريقيا، وهو فرع يوجد قرب وجدة.

كان المرحوم إبراهيم الداودي يكن لجرادة حبا كبيرا. ولكي يواصل متعة مشاركة الحياة الاجتماعية، وحسن الجوار والأجواء الخاصة بالحي العمالي، فقد ألزم نفسه خلال سنوات بتنقل يومي، إلى أن تم إغلاق المنجم. تنقل عنه أرملته السيدة مليكة الداودي، وهي مسؤولة سابقة عن القسم السوسيو ثقافي بالمنجم، قوله : «المنجم مثل العائلة : يتقاسم الناس لحظات الفرح ولحظات الألم ؛ ظروف العمل قاسية ؛ يصرخ الناس ويتشاجرون...، لكن يواسي بعضهم البعض، ويتحدون حين يضطرون لمواجهة مشكل كبير».

وكان يعرض، بصفته قريبا ولكن قائدا أيضا، ممارسته كالتالي : «على المسؤول أن يتسم بالصرامة التي تقتضيها قواعد العمل والسلامة ؛ يجب أن يتوفر في نفس الوقت على حس سليم حين يتعلق الأمر بالتواصل كي يحظى بتعاون وثقة فرق عمله».

إن تدبير العمال داخل منجم والحفاظ على السير الجيد للمصالح هي مهام صعبة، ولكن بالنسبة لإبراهيم الداودي : «لا يبرز الرجال إلا في المواقف الصعبة، وكلما كانت المهمة صعبة، كلما كانت مجزية لأنها تقتضي الكفاءة وسرعة البديهة وحس المسؤولية».

إن تعلقه بالمدينة كان يدفعه إلى الانخراط في كل ما يساهم في تطورها السوسيو- اقتصادي. خلال سنوات، ترأس الهلال الأحمر المغربي المحلي، وقاد عمليات خيرية في الإقليم (حملات صحية، تكوينات في الإنقاذ، مساعدات للأسر المعوزة...). كان هو وأصدقاؤه، شديدي التعلق بالأمل في أن يروا مؤسسات وشركاء الحياة المنجمية يستثمرون في الحفاظ على الموروث المنجمي لجرادة وتطويره.

على اليمين، تسليم طرود للعائلات المعوزة رفقة الهلال الأحمر
على اليسار، عند العودة من تفقد عمق المنجم صحبة زميل مهندس.

أيام دراسية حول التطور الاقتصادي رفقة أطر مناجم الفحم، والإقليم وأساتذة من جامعة محمد الأول بوجدة

- SERVICE DU PERSONNEL A SERVICE DE SANTE -

Nous vous adressons M... engagé au Service ... pour visite médicale d'entrée.

EL-AOUINET, le ...

Le Chef du Service Personnel :

-SERVICE DU PERSONNEL A SERVICE DE SURETE-

Nous vous adressons M... venant de.....

..... pour formalités habituelles.-

EL-AOUINET, le...

Le Chef du Service Personnel :

Visa du Service de Police :

عرض كل مترشح للشغل، من أي جنسية كانت ولأي منصب، على مصلحة الصحة ومصلحة السلامة في آن واحد (وهنا الإسباني فرانسوا فيرناديز سنة 1947) حاملا قسيمتين سلمهما المقر، الموجود آنذاك بالعوينات

في ظل التشغيل الصعب الذي أجري لسنوات بمقر العوينات، وعدم استقرار المستخدمين، فإن عملية الانتقاء ليست قاسية : استشارة طبية وبعض الاختبارات النفسية-الحركية لتقييم المهارات اليدوية والقدرة على التأقلم والقوة العضلية والقوة العصبية، يليها التسجيل لدى «مصلحة الأمن».

بعد ذلك يقوم الأشخاص الذين تم انتقائهم بزيارة المنجم رفقة عمال مناجم ذوي خبرة للتعرف عن قرب على العمل وظروفه. يشتغل عاملان أو ثلاثة عمال بقاع المنجم منقسمين إلى ثلاثة فرق في كل ورشة، وتشتغل كل فرقة من ثمان إلى اثنتي عشرة ساعة مستمرة ؛ و يسري نفس التوقيت بالنسبة للعمل في السطح.

تدل هذه الإجراءات العرضية على قلة الكفاءات، خاصة في ورشات الميكانيك والكهرباء، لأن التكوينات المهنية ستظل نادرة لوقت طويل.

وستمسك المقاولة بزمام الأمور تزامنا مع خلق «المنجم النموذجي»، فيما يتعلق بتكوين العمال وأطر القاع.

إن المشقة كبيرة وسوف تبقى كذلك بالنظر إلى شبه استحالة مكننة مهام عديدة. إن آلة الاستخراج، مثلا، معرضة للغبار (دقيق الاستخراج)، الحرارة المرتفعة، وابتعاد العامل عن ورشته غالبا، بل وعواقب ضغط الأرض، دون أن ننسى عدم استقرار الطبقات وضعفها، الخ. إن هذا العامل المتخصص يشتغل بمفرده، ويضطر إلى وضع الدعامات الخشبية في الفضاءات بعد إفراغها مباشرة. وأن سمك الطبقات يسمح له بالكاد أحيانا أن يتسلل ليشتغل جالسا أو ممددا.

وأخيرا أصبحت السلامة أولوية خلال الخمسينات. فالنشرة الاقتصادية والاجتماعية عدد 64 لسنة 1954 تؤكد «أن المنجم لم يهتم بالبحث عن الرفع من مستوى عيش العمال. وجعلت كل واحد منهم يحترم الشخصية الإنسانية في ذهنه، في اقتصاده وفي جسمه».

ونظرا لتعرض القاع للعديد من المخاطر وبشكل مستمر : كالحرائق وموجات الغبار أو الغاز المتفجر والانهيارات والغازات السامة... ستصبح الوسائل المستخدمة في تزايد مستمر.

وستراهن عملية التسيير والتأطير على العامل البشري - خاصة من خلال مصلحة الصحة والسلامة - وأصبحت تشرك المنجميين في التفكير وفي تنمية السلوكيات الجيدة.

وساهم خلق مركز للرفع من مستوى المراقبين، والحصص النظرية والتطبيقية، وإلقاء المهندسين لمحاضرات شهرية لفائدة كل المساعدين، وانتخاب ممثلين من طرف العمال لتدبير الصحة والسلامة، في انخفاض كبير للحوادث.

بدأ الممثلون، جميعهم من القدماء، برصد الاختلالات وتقصي الحقائق لدى وقوع الحوادث ؛ لقد كان نصف هذه الحوادث ناجما عن سقوط الكتل والانهيارات، و يعود أزيد من ثلثها إلى عملية الشحن، أما الباقي فكان يرجع إلى عدم احترام التعليمات.

رسم أخاديد الفحم على جدران "المتحف المحاكي"، وكذا شبكة الأروقة التي تستوعب محتويات أوراش الاستخراج (صور هشام الودغيري)

التضامن، دليل على التماسك الاجتماعي

تعدد تجليات التضامن بين مأجوري المنجم. فمثلا، يبرز العدد الأول من مجلة المنجم، الحاسي، الصادر سنة 1992، مساهمة المهندسين والإداريين من أجل تزويد دار الحضانة المسيرة بتلفزة وأدوات لأخذ الصور والفيديوهات.
وخلال نفس السنة، كان للشراكة الموقعة بين جمعية أرض البشر والدائرة الدبلوماسية الخيرية دور في فتح مقرات جديدة للأيتام تأوي أبناء المنجميين المتوفين.
ووقع حدث آخر ثلاثون سنة قبل ذلك، ظل حاضرا في الأذهان، خلال انهيار أسعار الفحم. لقد نتج عن البطالة التقنية المعممة، انهيار القدرة الشرائية بين عمال المناجم.
واصل ثلاثة تجار- السيد مزيان جيجيل، بائع خضر، تريسيان وجزاز ؛ الحسين، مسير متجر للتغذية العامة، استمروا في تزويد العمال بالمواد الغذائية دون مقابل ؛ لقد ضمنوا قروضا معممة إلى غاية مواصلة الشغل المحتملة، والتي كانت غير مضمونة حينها. وكان من المحتمل أن يخسروا كل شيء.
وفي النهاية، فقد ساهم هؤلاء بسلوكهم الشريف والكريم في التخفيف من حدة التوتر، والمحافظة على السلم الاجتماعي.
إن الأمثلة متعددة وكثيرة على امتداد سبعين عام من تواجد المنجم وإلى غاية لحظاته الأخيرة.

تعد الأيادي من بين الأعضاء الأكثر عرضة للإصابة بالإضافة إلى الأطراف السفلى ويأتي الرأس في الأخير. ومن أجل السلامة أو لمواجهة تبعات الحوادث، يقدم المنجميون جوابا واحدا : التضامن ! وهناك خطر آخر يشغل بال عمال القاع : ألا وهو المرض المهني أو ما يعرف بالسحار السيليسي... إن درجة احتمال الإصابة بالمرض ترتفع بارتفاع كمية الغبار المستنشق، وبالتالي بطول مدة التعرض للغبار. في هاتين الحالتين، يظهر المرض في المعدل بعد سبع سنوات في الحالة الأخطر، وبعد اثنتي عشرة سنة في الحالة الثانية. ولا تزيل الإجراءات المتخذة الخطر، بل تعمل على التقليل منه فقط من خلال : تهوية أكثر وتدبير أفضل للغبار والعمل على تحسيس المنجميين... وتقترح المقاولة بالنسبة للمرضى، مناصب أقل عرضة لمن هم أقل إصابة، وتصرح بالعجز لدى الحالات الخطيرة، مع التعويض عن ذلك.

بروز الحركة النقابية

منذ بداية القرن التاسع عشر، خاصة بأوروبا، عرفت كل المناطق الصناعية والمنجمية بالخصوص، حركات اجتماعية قوية مهدت لولادة الحركة النقابية العمالية.
في سنة 1884، أدى إضراب منجميي أنزان (شمال فرنسا)، إلى الموافقة على النشاط النقابي بالمناجم. وبعد الحرب العالمية الأولى، حظي المنجميون الفرنسيون بممثلين منتخبين للتحاور مع الإدارة في أمور السلامة والصحة. وفي سنة 1934، ابتكر عمال المناجم بفرنسا صيغة الإضراب مع احتلال مقرات العمل.
وبمدينة جرادة، أصبح بإمكان المأجورين الأوروبيين خلال سنوات 1940، الانخراط في تنظيم نقابي، تابع للكونفدرالية العامة للشغل (CGT) الفرنسية ؛ في الوقت الذي لا يتوفر فيه المأجورون المغاربة على أي تمثيلية.

الصهاريج المائية لمحطة القطار القديمة بكْنفودة

يتعلق الأمر بأحد مظاهر اللامساواة التي ستقود لولادة الحركة النقابية المغربية بجرادة، كما يفسر ذلك السيد الطيب بن بوعزة في كتابه حول النقابات بالمغرب.
«الداخل مفقود والخارج مولود» ؛ هذه المقولة التي كان يرددها المنجميون المغاربة لها أكثر من مغزى. كيف يمكن الانتقال من حضارة زراعية-رعوية، شبه ترحالية إلى ثقافة صناعية في محيط خطير؟ هذا السؤال مطروح بشكل أو بآخر على العمال وعلى الإدارة.
يعيش العمال حالة من الغربة ويفتقرون لأي إطار للتعبير، ويشكو المنجم من التغيبات والمغادرات المفاجئة : هناك إذن حاجة ضمنية للوساطة الجماعية. لقد خلقت المؤسسة باكرا مصلحة للمستخدمين من أجل إرشاد المأجورين في حياتهم المهنية وتحسيسهم بأهمية الانضباط، خاصة احترام قواعد السلامة.
ولضمان استمراريتها وإغناء تأطيرها، قامت المؤسسة بتشغيل شباب مغاربة حاملين للشواهد ابتداء من 1944. وقد لاحظ هؤلاء أن هناك فرقا في المعاملة، في كل المناصب، بين المأجورين المغاربة والأوروبيين في مجالات مختلفة (الأجور، التزويد بالخشب والفحم للتدفئة، بالكهرباء والماء الصالح للشرب، الولوج إلى القطار للذهاب إلى وجدة، الخ).
في البداية، كانوا يعقدون اجتماعات سرية تضم ما بين عشرة إلى ثلاثين عاملا لمناقشة التوتر القوي تجاه اللامساواة التي يعانون منها. ثم قرروا بعد ذلك أن يجتمعوا خارج المدينة، بعيدا عن أنظار السلطات ومسيري المنجم. لقد عقد «تجمع عكّاية» ليلا، بكْفايت، وهو المكان الذي منحه اسمه واجتمع به عدد كبير من المنجميين.
كانت المواضيع الأساسية التي تمت مناقشتها، التظلم وظروف العمل. تلت ذلك اجتماعات أخرى بأعداد متزايدة من المشاركين، إلى أن نظمت الحركة وتم التخطيط لبعض الأنشطة بحضور عدد كبير من المنجميين.
هذه المرة، وصل الخبر للسلطات، وإلى المقيم العام الذي تنبأ بأن العمال سينتقلون عاجلا أم آجلا من النضال النقابي إلى الصراع السياسي من أجل الاستقلال.
هكذا ستتم مراقبة الحركة الاجتماعية ؛ وانتقل المقيم العام شخصيا إلى جرادة لحضور مراسيم الاحتفاء بأجود المأجورين... وهو مجرد ذريعة من أجل هدف أمني بالدرجة الأولى.
تضاعفت الاجتماعات وبدأت السلطات تمارس الضغوطات على المأجورين، ولكن تبين أن الحركة كانت قوية. وهكذا اتخذ قرار فتح الحوار والاستماع للمطالب. وفي النهاية، شجعت الإدارة العمال على العمل في إطار الشرعية وسمحت بخلق نقابة مغربية، «نقابة عمال مفاحم جرادة». كان أول قائد لها هو السيد الطيب بنعلي مليح ؛ عقد اجتماعه الأول سنة 1947، بساحة 3 مارس، في إطار الإعداد لسلسلة من اللقاءات مع الإدارة. وقد تم قبول أغلب مطالبه.
وفي سنة 1948، تم استغلال بعض الأحداث من أجل تكسير الحركة النقابية. وهروبا من القمع، غادر المدينة بعض العمال المناضلين، ولأول مرة عرفت ساكنة جرادة انخفاضا في عددها. عقب ذلك، تم القضاء على النقابة، وأعلن رسميا عن حلها. لم يعد للإدارة مخاطبون عمال، كما لم يعد للعمال ممثلين.
لمواجهة هذا الوضع، أسس العمال جُماعة (مجلسا)، وهو تمثيلية تقليدية مكونة من منتخبين على أساس أصولهم الجهوية (حوالي منتخب واحد لكل 52 عامل)، ويعين هؤلاء المنتخبون اثني عشر ممثلا لولاية يتم تجديدها كل شهر. وقد اعترفت بهم الإدارة بتاريخ 14 غشت 1949. وقد كانوا يعقدون اجتماعاتهم كل يوم ثلاثاء.

كل المشاكل يتم طرحها، بما فيها إشكالية التنمية الحضرية لمدينة جرادة. وقد عادت الحركة النقابية إلى الحياة بعد الاستقلال بفضل الحق في ممارسة النشاط النقابي المعترف به في ظهير 16 يوليوز 1956. كان الاتحاد المغربي للشغل أول نقابة تشكلت، وقد أحدثت عمليا منذ 20 مارس 1955، حيث اشتغلت مدة طويلة في السرية. ثم جاء بعد ذلك، الاتحاد العام للشغالين بالمغرب (UGTM) سنة 1960، والكونفدرالية الديمقراطية للشغل (CDT) سنة 1979 وفي الأخير ظهر الاتحاد الوطني للشغل بالمغرب (UNTM) خلال سنوات 1980.

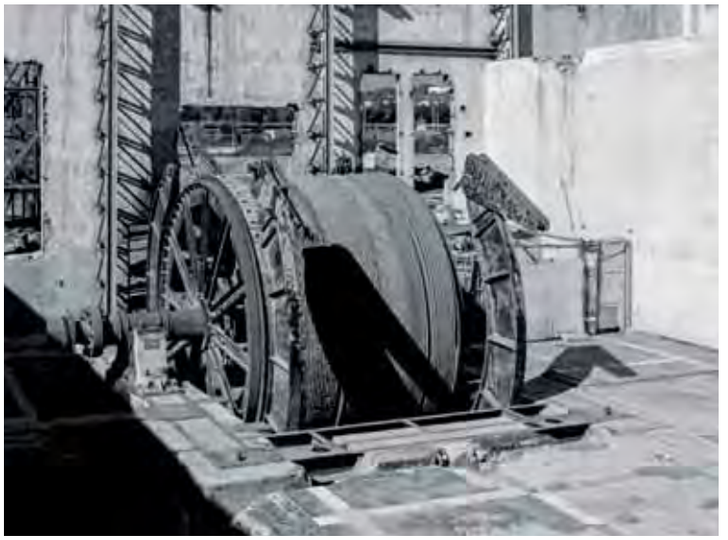

فخلال الإضرابات الكبرى لسنوات 1988 و 1989 للتصدي لتدهور الوضع الاجتماعي، قامت النقابات بمواجهة الإدارة خلال شهور، فكانت لذلك أصداء دولية توجت بقدوم رئيس المنظمة الدولية للمنجميين إلى مدينة جرادة مرفوق بوفد من المحامين. وفي النهاية، قبلت الإدارة التفاوض، ووافقت على عدة مطالب، ولكن هذه الاتفاقات لم تسمح بمعالجة عدة حالات خاصة. وقد قادت هذه الأحداث إلى عملية تدقيق، كانت نتيجتها في النهاية إغلاق المنجم.

دجنبر 2017، من الإستياء إلى الإحتجاج

ظلت ثقافة المطالب منتعشة بجرادة. وقد أدت أحداث متنوعة إلى توحيد الغاضبين الداعين بالخصوص إلى أن تترجم على أرض الواقع، الشهادات والاعتراف بتضحيات المنجميين، التي تحدث عنها جلالة الملك محمد السادس، خلال زياراته الميمونة للإقليم.

وخصصت لدى إغلاق المنجم، 3 مليار درهم : 1.7 مليار لتصفية الديون المستحقة لمؤسسات الدولة، و1.3 مليار للتعويض عن الطرد والتقاعد، وفق الاتفاقات المبرمة مع النقابات.

وفي سنة 2017، بقيت بعض الحالات الفردية عالقة، وظل عدد كبير من الشباب عاطلا عن العمل، وهم الذين كان المنظور السابق يرشحهم للعمل بالمنجم أو لمزاولة الأنشطة المرتبطة به. وانتشرت هناك شائعات تغذي التوتر، مثل تلك المتعلقة بعدم تصفية الرهن الخاص بالمحلات التجارية أو المساكن المسلمة للعمال، الشيء الذي زاد من شدة التوتر. أضف إلى ذلك أن فواتير المتعلقة بالماء والكهرباء اعتبرت غالية. وكان المشكل أكبر بالنسبة لأسر المرضى المصابين بالسحار السيليسي الذين كانت أجهزة التنفس تثقل كاهلهم لاستهلاكها كمية كبيرة من الكهرباء، والذين كانوا يطالبون بتكلفة منخفضة.

مسيرة احتجاجية بجرادة في ديسمبر 2017 (أرشيف)

حركة الإحتجاج بجرادة تضم كل حالات الاستياء هاته.
لسوء الحظ، يومان بعد ذلك، الجمعة 22 ديسمبر، توفي شابان تحت أنقاض إحدى «الساندريات»، وهي أمكنة للاستغلال غير المهيكل لاستخراج الفحم، بأدوات بسيطة ودون وسائل الوقاية. في البداية كان هذا الإنتاج موجها للاستعمال المحلي، غير أنه مع ظهور الوسطاء، ارتفع الطلب بشكل كبير، وتضاعفت «الساندريات»، التي اعتبرت محليا كفرصة شغل حقيقية في غياب البديل، رغم أنها محفوفة بخطر فقدان الحياة.
إن توالي هذه الوقائع خلق احتقانا اجتماعيا لدى السكان. وقد اتخذ هذا الإحساس بالمرارة شكل احتجاجات، إنفردت بها جرادة، بحيث كانت تبدأ بترديد النشيد الوطني وبعد ذلك التعبير عن المطالب : لقد عادت جرادة إلى الانخراط في تقاليدها التاريخية.
كان جواب السلطات هو الإنصات والعمل على تحقيق التنمية، بحثا عن حلول تشاركية مع كل الممثلين النشيطين للساكنة، خاصة الشباب.
كان هذا المسلسل هو الطريق الطبيعي الوحيد لإخماد إحساس جماعي بالحرمان. فطبيعة المطالب عديدة ومتنوعة، إلى درجة أن بعضها لا ييسر الحوار لأنها لم تكن ذات طبيعة اجتماعية.
تتمحور المطالب المعروضة حول ست مجالات :

- الانتظارات ذات الأولوية، والتي تتعلق بمعالجة ما هو استعجالي ؛
- المساكن والبنى التحتية للاستجابة لحاجيات السكان ؛
- التشغيل، خاصة بالنسبة للشباب ؛
- الصحة، وهنا أيضا ينتظر تطوير القطاع ؛
- الأطفال، النساء والثقافة ؛
- والتكوين...

نموذج تجهيز لمهبط عشوائي

عولمة أسواق الطاقة، الحكم على المنجم

بعد ربع قرن من الهدوء النسبي
مرتبط بأسواق محمية، اصطدم فحم جرادة بمنافسة أوروبية في البداية، ثم بتقلبات ما بعد الحرب. وبدأت عملية عولمة المنافسة تدريجيا، ليصطدم الفحم مباشرة بالبترول كاختيار بديل ذي كلفة منخفظة.
وهكذا وجد الفحم الحجري لجرادة نفسه بين مطرقة كلفة استغلاله وسندان التنافسية.

121

ابتداءً من 1962، الأزمة الأولى

عرف المنجم سنة 1962 أزمة قوية، لم يسبق أن عرف مثلها، نتج عن صعوبات في تسويق فحمه. وظلت عملية الاستخراج تنجز بإيقاع كبير، غير أنه لم يعد هنالك من مُشترٍ للمادة، خاصة بسبب المنافسة القوية بالأسواق الأوروبية. كذلك أشارت بعض الشهادات خلال تلك المرحلة إلى أن مشاكل تتعلق بالجودة قد تم طرحها. وقد كانت النتائج مباشرة وواضحة : شرع في مراكمة أطنان من الفحم الذي لم يبع قرب المغسل.

وخلال أسابيع قليلة، ارتفعت أكوام ضخمة من الفحم. وهناك حادثة تبرز هذه الوضعية : اشتعلت النار ذات ليلة، لسبب مجهول في أحد هذه الأكوام وسرعان ما انتشرت إلى بقية المخزونات.

وعلى الفور، انتابت المنجميين حالة من القلق، فتجندوا جميعا لإطفاء النار : أدخلت أنابيب كبيرة في قلب أكوام الفحم.

واستخدمت مضخات ضخمة لدفع الماء، فتم إخماد الحريق دون خسائر كبيرة ودون ضحايا.

لكن الأزمة قامت، وحرم المنجميون من الشغل. لم يعد بإمكان العامل الواحد أن يشتغل أكثر من ثلاثة أيام كل أسبوعين. وحدهم «رجال الوقاية»، ومنهم المرحوم محمد الهاشمي، أحد أقدم العمال، يشتغلون لتفادي انغمار الأجزاء العميقة والمنخفضة من المنجم بالمياه.

ترتب عن هذه الأزمة فقدان مسير المقاولة لمنصبه : بحيث تم تعويضه بمدير منجم تويسيت الذي استكشف عدة بلدان أوروبية فور تعيينه.

فأثمرت مجهوداته، وانتعشت المبيعات. وأدت خطته إلى تجاوز هذه الأزمة وإلى تصريف المخزونات خلال بضعة أسابيع واستعادت عملية الاستغلال إيقاعها المألوف. وبدأت منذ ذلك الحين من ثلاث إلى أربع قطارات محملة بالفحم تغادر المنجم كل يوم. لقد كانت تلك أسوأ أزمة عرفتها جرادة، وأول أزمة ضمن دوامة قاتلة.

المحطة الحرارية في مواجهة الإنتاج المفرط

عند نهاية سنة 1960، ازدادت قوة الطاقات المشتقة من البترول، عززها مجهود الرفع من الإنتاج واستثمارات الشركات المنجمية عبر العالم، ودعم الدولة غالبا، وخلق ذلك وضعية إنتاج إضافي يبدو هيكليا، رغم التطور الاقتصادي العالمي الذي يشجع على الطلب.

يبدو أن جنوب إفريقيا، وكذا بعض البلدان المرتبطة آنذاك بالاتحاد السوفياتي، قامت بتخفيض الأسعار وبإغراق السوق. وهكذا انهار الطلب العالمي على فحم جرادة من جديد، واستغرقت حدة المنافسة هذه المرة مدة أطول.

تراكمت المخزونات بجرادة، وأصبح تسويقها مستحيلا وظهرت بوادر أزمة جديدة حاضرة، وساءت ظروف الشغل وساء الحوار الاجتماعي نتيجة لذلك. وتحمل المنجميون وطأة الإجراءات المتخذة لخفض تكلفة الإنتاج وعمليات التسريح. وقد تم حل الأزمة لمدة تزيد عن العشر سنوات بفضل تدخل جلالة الملك الحسن الثاني رحمه الله، الذي أمر بإلغاء التسريحات وعقد اتفاق مع شركة روسية لإنجاز مركز الطاقة الحرارية الذي تم تدشينه سنة 1970.

بدأ هذا المركز يستهلك كمية كبيرة من فحم جرادة، وجعل من المكتب الوطني للكهرباء (ONE) أول زبون لمناجم الفحم. وتبين أن مناصب الشغل قد تم إنقاذها لمدة طويلة، وأن عملية الإنتاج قد انطلقت من جديد.

يقوم المساح باختبار السناد الأول "لكاج" (البئر 1، الحوض 150) (أرشيف)

حلقات طويلة من الركود

أدت عولمة سوق طاقات الوقود الأحفوري إلى انهيار أسعار البيع، وضعفت الطلبيات كلما تزايد الطلب على المواد البترولية. يعني البيع بكميات أكبر بالنسبة لمناجم الفحم تخفيض الأسعار، وبالتالي التخفيض من كلفة الإنتاج. ولتحقيق ذلك، يجب مضاعفة الإنتاج مرتين تقريبا، من أجل توفير المصاريف القارة، مع رفع الإنتاجية بطبيعة الحال.

هكذا وجد المسيرون وإدارة المنجم أنفسهم في مواجهة ظاهرة مقص السعر.

1970 - 1989 : 20 سنة من الإنتاج والبيع

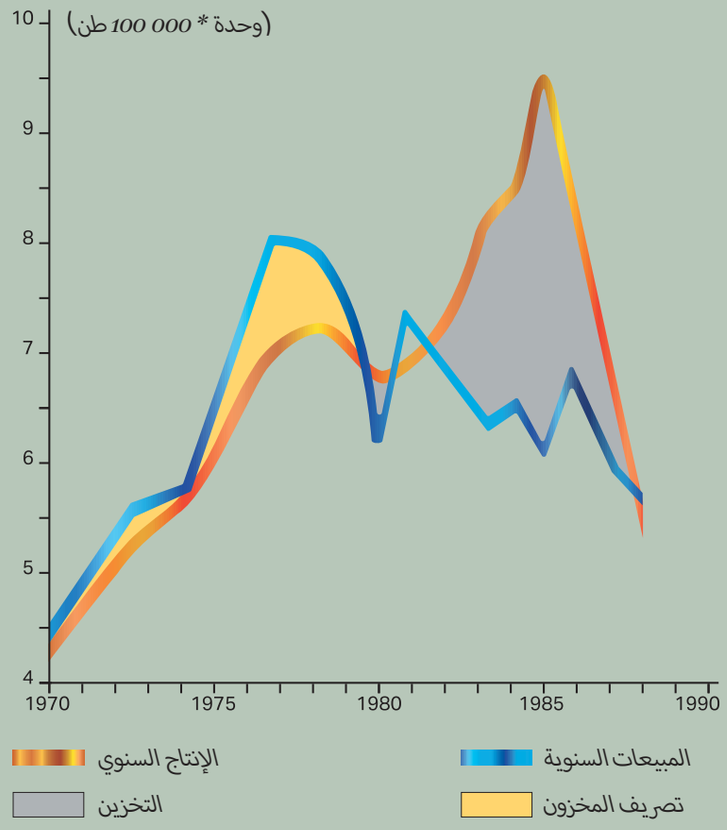

تقنيات حديثة كان يفترض أن تسمح بتطور الإنتاجية والسلامة منذ سنوات 1980 (أرشيف)

لا يمكنهم الخروج من هذه الوضعية إلا بالعمل من الأعلى (بإعادة الاستثمار، مضاعفة الإنتاج، التشغيل، المكننة...)، أو من الأسفل (من خلال ضبط الإنتاج مع التوقعات المستقبلية للسوق)، في ظروف إنتاج لا تعرف تغييرا كبيرا، أي بكلفة لا تسمح بتوسيع المبيعات، بل قد تعود بالخسارة.

يبين الفحص الدقيق والمقارن للمبيعات وللإنتاج السنوي أن المبيعات خلال عشرية 1970، تفوق عمليا الإنتاج المتحقق كل سنتين ولا يبتعد عن ذلك كثيرا. يمكن إذن أن نخزن أو نسوق المخزون دون صعوبة ؛ إن المخزون لا يتجاوز أبدا بضع عشرات الآلاف من الأطنان.

إن عشرية 1980 معبرة ؛ لقد عرف المسؤولون كيف يطورون الإنتاج، ولكن دون أن يتمكنوا من تسويقه بشكل جيد، خاصة بسبب ثمن البيع الذي يعكس كلفة إنتاج جد مرتفعة. هذه المرة، فإن الإنتاج يتجاوز المبيعات مرة كل سنتين، بما يفوق 200 000 طن ؛ وفي سنة 1986، وهي سنة إنتاج قياسي، أي 950 000 طن، لم تسوق سوى 631 773 طن، أي بفارق يقارب 320 000 طن.

يعد تمويل هذه المخزونات الضخمة مكلفا لأن الجزء الأساسي من التكاليف يتم إنفاقه، ويتطلب تعويضه وقتا أطول.

مخزون رقيق الفحم الحجري والناقلة التي تزود مركز توليد الطاقة (أرشيف)

مركز توليد الطاقة لعين بني مظهر، الزبون الرئيسي لمناجم الفحم (أرشيف)

«العربات المتنقلة»، الوسيلة الحديثة والسريعة لهبوط المستخدمين والعتاد، أو لصعود الفحم المستخرج (أرشيف)

سنوات الثمانينيات

في نهاية عقد 1980، بدأت المشاكل التي ستقود إلى إغلاق المنجم. فبعد أن وصل أوجا يفوق 900 000 طن، انخفضت المبيعات بشكل مستمر، لتستقر على 650 000 طن، بينما انتقل عدد المستخدمين من 4 731 إلى 5 283.
ضعفت الإنتاجية إذن وتراكمت الخسائر. أصبحت الديون هائلة مقارنة بالنشاط الإنتاجي. خيمت أجواء من التوتر على المناخ الاجتماعي، وأدت اختلالات إلى اضطراب النشاط، بينما ظهرت صعوبات في عملية الاستخراج، وأصبح طريقة التدبير تشكل موضوع انتقاد... ظلت الأسعار العالمية منخفضة تحت تأثير قوة المنافسة العالمية. منطقيا، يقوم المكتب الوطني للكهرباء بالمقارنة بين الأسعار في السوق العالمي وأسعار مناجم الفحم التي تفوق السعر العالمي بثلاثة أضعاف.
وتم في سنة 1981، تعيين مدير جديد لتحقيق هدف أساسي يتعلق أساسا بتطوير الاستغلال. كما توجب عليه أيضا إصلاح المقاولة. من خلال حلول معروفة : رفع الإنتاجية وخفض التكاليف وإقرار السلم الاجتماعي من أجل تحقيق ذلك، هكذا يمكن خفض سعر البيع دون خسائر مادية. ويمكن أن يتحقق ذلك أيضا عن طريق استثمارات مناسبة، وهي إحدى الطرق التي تم تبنيها هناك.

إخفاقات العصرنة

تم إعطاء الانطلاق لإنجاز دراسة لعصرنة المنجم على غرار المواقع الأوروبية، بفرنسا، ألمانيا، بولونيا أو بلجيكا، عن طريق مكننة الاستغلال باستعمال أحدث الوسائل التكنولوجية. كان قسم الجيولوجيا بشركة المفاحم قد أنجز عملية تقييم المنجم.

وقد ارتكزت على عدد محدود من الاستطلاعات، وتوصلت إلى وجود احتياطي يقدر بـ 160 مليون طن. كما ارتكزت دراسات عملية التطور في وقت لاحق على هذا المعطى المستخلص بصورة مستعجلة. كان هدف الإدارة المعلن منذ ذلك الحين هو أن يصل الإنتاج إلى مليون طن سنة 1986 انطلاقا من المقر رقم 5، ثم إلى مليوني طن سنة 1992. وهكذا انطلقت استراتيجية التنمية سنة 1985.
لتحقيق هذه الاستراتيجية، حصلت المقاولة على قرض مهم ، كانت غاياته هي تحديث الإنتاج، الرفع من الوتيرة، خفض عدد العمال، والتقليل من مشقة العمل ومن حوادث الشغل وكذا الأمراض المهنية. إنه استثمار ضخم بالنسبة لهذا القرض.
تتمثل الاستراتيجية الطموحة في :

- الوجود المحتمل لمخزونات هامة ؛
- إمكانية مكننة الاستغلال ؛
- وجود سوق وطني واعد ؛
- توقع مردودية للاستثمارات ؛
- ضمان تزويد البلاد.

وسوف تعرف هذه المبادرة فشلا ذريعا شكل أصل الأزمة المالية وكان أحد أسباب إغلاق المنجم بعد ذلك ببضع سنوات.

توالي الإخفاقات

لم تؤخذ طبيعة ميادين الاستغلال بعين الاعتبار بما فيه الكفاية خلال إنجاز الدراسة. أضف إلى ذلك أن التصورات كانت ترتكز على إيقاع العمل الأوروبي، حيث تتقدم الأحجام الممكننة دون دعامات خشبية على مسافة ثلاثة إلى ستة أمتار حسب المواقع. أما بالنسبة لجرادة، فإن أقصى مسافة ممكنة هي متر ونصف لأن الميدان هش وغير قار.

الربح وليد الإنتاجية

يمكن تلخيص المشكل الدائم بالنسبة لمناجم الفحم في كلمة واحدة : الإنتاجية. فابتداء من سنة 1970، ارتفعت حتى سنوات 1980، قبل أن تنهار، خاصة أمام فشل عملية تحديث الإنتاج.

ليست إنتاجية المنجميين هي موضوع النقاش، رغم أن شروط الجودة غير متوفرة أحيانا، وإنما مردودية المنجم نفسه، بطبقاته الدقيقة، وفحمه الصلب الغني بالفتات. عمليا، خلال سنوات 1950، يستخرج منجمي واحد بجرادة ما معدله 700 إلى 800 كلغ من الفحم خلال ثمان ساعات من العمل في اليوم، بينما يستطيع نظيره الأوروبي أن يصل إلى 1 300 كلغ. هذا الاختلاف الملحوظ لن يتم تجاوزه أبدا.

لقد أصبح الامتياز المقارن المرتبط بالكلفة المباشرة لليد العاملة بجرادة نسبيا بشكل كبير. ولضمان وفاء المنجميين، اضطرت إدارة المنجم إلى تقديم عدة امتيازات متعلقة خاصة بالسكن. ومثلت هذه النفقات غير المباشرة 45% من كتلة الأجور خلال الخمسينيات. وكان تأثير كلفة الإنتاج كبير مقارنة مع عدد المستخدمين.

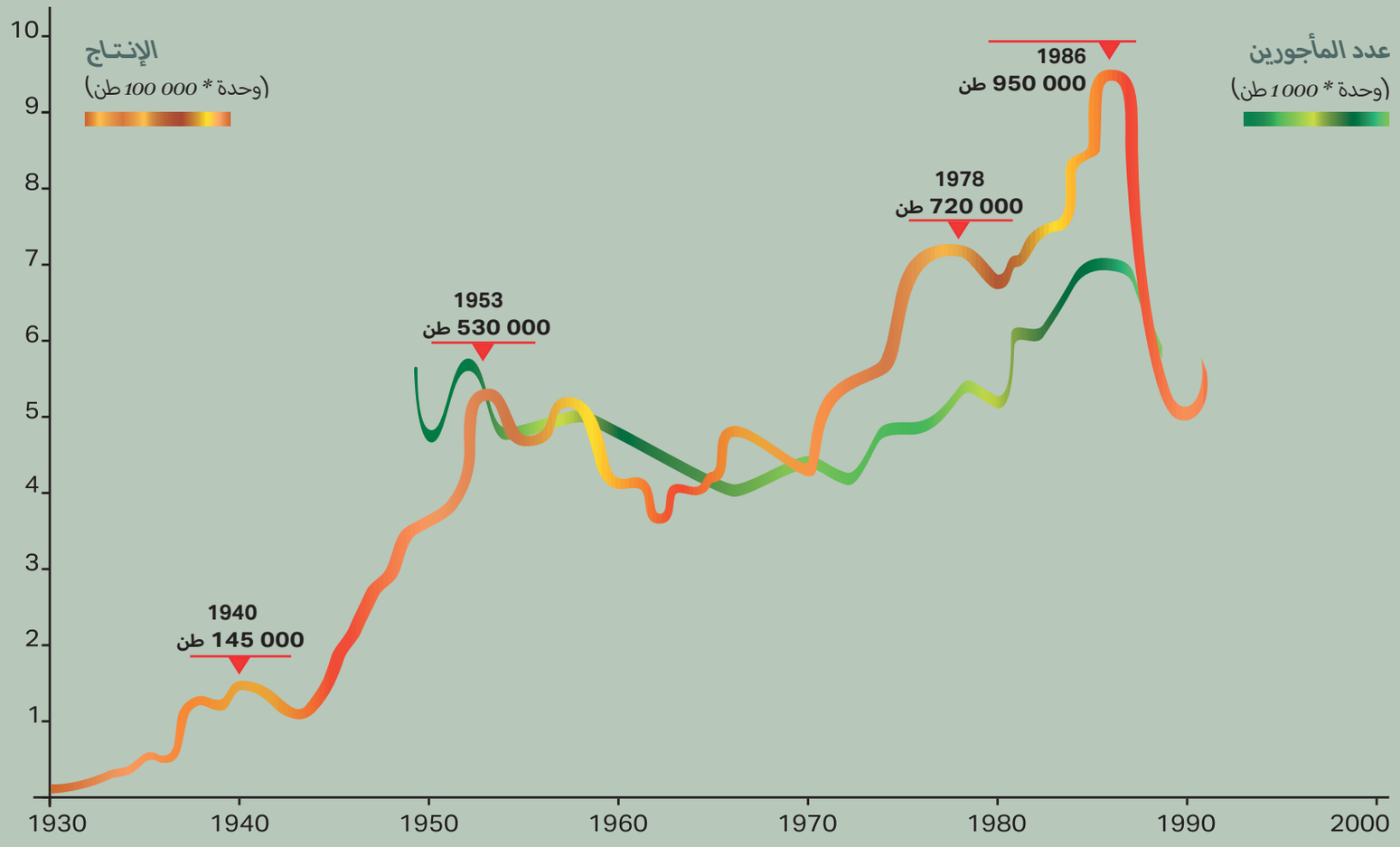

➤ محطة القطار قديماً بكُنفودة

استراتيجية التنمية في بداية الثمانينيات، اعتماد ثلاث مخططات

مخطط البحث المنجمي

هناك برنامج يمتد على خمس سنوات، بغلاف مالي قدره 89 مليون درهم، يهدف إلى ضمان المقرين 5 و6. ويتضمن الأشغال التالية :

- الأشغال المنجمية ؛
- الحفر العميق مع أخذ عينات ؛
- استقصاء في العمق ؛
- أشغال دراسة الدبدبات ؛
- تجارب قياس الجاذبية والقوة المغناطيسية.

مخطط التنمية

للوصول إلى هدف سنة 1986، تم وضع برنامج متدرج لمكننة الاستغلال. تم وضع أول عملية قطع بواسطة آلة القطع والتمليس خلال شهر أكتوبر سنة 1981، وقد تمت المكننة الجزئية لعمليات قطع أخرى كثيرة عن طريق إدخال دعامات هيدروليكية سنة 1982.

مخطط التوسع

يتعلق الأمر بفتح منجم جديد من أجل إنتاج مليوني طن سنة 1992، مجاور للمركز رقم 5، والذي يجب أن يستفيد من الخبرة المكتسبة من مكننة هذا الأخير. وقد قدر الاستثمار بـ 600 مليون درهم، بهدف خلق 3 000 منصب شغل.

وأدت في أماكن أخرى، عملية القطع بالمسحج إلى التقدم بسرعة، ولكن كانت الانهيارات بجرادة متكررة، وكان الأمر أحيانا يتطلب أكثر من أسبوعين من أجل تخليص الآلة، واستعادتها وإعادة تشغيلها. كما كانت عملية الإنتاج تتوقف بشكل بديهي أثناء الإصلاح. لقد كانت هذه الحوادث متعددة، بالإضافة إلى الأعطاب، كما أن مصاريف الاستغلال أخذت في الارتفاع بدل الانخفاض، دون حدوث نمو في الإنتاج. وكان غالبا ما يتضح أن آلات المسحج المملس غير ملائمة ويتم في النهاية تفكيكها. لتظهر العديد من المشاكل الأخرى التي تولد عدم الثقة في النفس. وتتعلق هذه المشاكل أيضا بالحكامة (كيفية استخدام الأموال المخصصة للاستثمار) والاختيارات التقنية (عدم ملاءمة الآلات التي تمت حيازتها)، وكذا النقص في إعداد التقنيين لهذه الإجراءات الجديدة. وأصبحت الأعطاب تتكرر بكثرة. وكمثال على ذلك، تحطم سلسلة رافعة منذ أول استعمال لها نتيجة سوء تركيبها.

محاولة الإصلاح

قامت الشركة بكل ما يجب فعله من أجل الوصول إلى هدف إنتاج مليون طن سنويا، بما في ذلك النقص في الجودة حتى مستوى اعتبر أكثر عقلانية. ولكن الإنتاج ظل دون 720 000 طن، وهو مجموع كان قد تم تجاوزه خلال سنوات 1970. أصبح الفشل قائما، وظهرت احتقانات اجتماعية نتيجة ضغط الإدارة من أجل الوصول إلى هذه الأهداف. أمام هذا الوضع، اندلع أكبر إضراب في تاريخ مناجم الفحم سنة 1988. ولتدارس أسباب الاحتجاج وتقييم وضع المقاولة، انتقلت لجنة من المدققين إلى جرادة. وقد كشف التشخيص عن حالة فوضوية واختلالات كثيرة : قروض غير مسددة، أهداف إنتاجية لم تتحقق أبدا، كلفة الاستغلال مرتفعة جدا، الخ.

البرنامج الطموح خلال الثمانينيات

قدم مخطط تنمية المنجم من طرف مدير شركة مناجم الفحم، في لقاء مع أسبوعية الحياة الاقتصادية عدد 22 مارس 1985 : تقدر المخزونات بـ 160 مليون طن، منها 35 حددتها عمليات الاستقصاء، و15 تم تهييئها للاستغلال. إن المخطط يتطلب استثمارا إجماليا يقدر بـ 73 مليون دولار. وقد تم تأمينه كالتالي من قبل :

- البنك الدولي بما قدره 27 مليون دولار ؛
- بنك مؤسسة قروض إعادة البناء، عن طريق البروتوكول المغربي-الألماني للتعاون لشهر أكتوبر 1984، لتوفير 12 مليون دولار ؛
- فرنسا بما قدره 8 ملايين دولار ؛
- الميزانيات الخاصة بمناجم الفحم من أجل التمويل الذاتي للديون المتبقية، وهو ما يعادل 26 مليون دولار، دون تدخل من الدولة.

وعلى ضوء الأنشطة المبرمجة ودراسة الإمكانيات، فإن مشروع المركز رقم 5 صودق عليه من طرف البنك الدولي. وكان يتوقع أن تدر عملية التحديث نسبة مردودية مالية تقدر بـ 26%، ونسبة مردودية اقتصادية تقدر بـ 41%، بفضل تعويض الفيول بالفحم (وفر مليون طن من الفحم المستخرج حينها مليون درهم من العملة الصعبة لاستيراد الفيول). أضف إلى ذلك أن الفحم ساهم حينها بما يناهز 25% من إنتاج الكهرباء، ووفر بذلك استيراد 350 000 طن من البترول، أي ما يعادل 7% من الاستهلاك الوطني. مع مطلع سنوات 1980، وصل رقم المعاملات إلى ما يقارب 330 000 مليون، منها 80% عن طريق المبيعات المحلية (ما يفوق قليلا 90% من الإنتاج) وحوالي 20% عن طريق التصدير (بفضل 8 إلى 10% من الإنتاج) وذلك بسبب ارتفاع الأسعار المستخلصة بالخارج.

وبالنظر إلى الدور الاقتصادي والاجتماعي المهم الذي يلعبه منجم جرادة ضمن الاقتصاد المغربي - في القطاع الطاقي الوطني خاصة - فقد تم وضع مخطط للتطهير والتنمية بمساهمة وزارة الطاقة والمعادن ووزارة المالية ووزارة الشؤون الاقتصادية. ويتوقع إعادة تحيين أثمنة البيع، تطوير الإنتاج وتحسين الوضعية المالية للشركة.

سناد "لكاج" البئر 3 بالحوض الجنوبي، أملا في إقلاع للإنقاذ

من الواضح أيضا أن الدراسات الاستباقية كانت خاطئة وأنه يجب في النهاية إيقاف الاستغلال.
ومن بين التوجيهات هناك ضرورة الإغلاق التدريجي للمنجم ؛ وقد قررت الإدارة الشروع في ذلك، بداية بتخفيض النفقات. كذلك يبدو أن المقر الاجتماعي بالدار البيضاء يتضمن عددا كبيرا من الموظفين «الأشباح». وأول إجراء تم اتخاذه، قل الإدارة العامة إلى جرادة، وإعفاء 2 000 مستخدم. فعمت بذلك فوضى كبيرة وتضاعفت حالات التوقيف المؤقت والإعفاءات، ولم يعد يسمح بأي تأخير أو أدنى خطأ، حتى بين الأطر.
وقد أحس العمال بالخطر وفهموا أن حالات الإعفاء ستشملهم عاجلا أم آجلا. نتيجة لذلك بدأت حركة الإضراب سنة 1992. وبفضل تدخل جلالة الملك الحسن الثاني رحمه الله، توقفت عملية الإعفاءات، وشُرع في إنجاز دراسة للموضوع.
انتبه المسيرون إلى الطريق المسدود، فعينوا مديرا عاما جديدا في أبريل 1992، من أجل وضع بدائل أخرى وتصحيح الوضعية.
سيقوم المدير الجديد بعقد شراكة جديدة مع المستخدمين والنقابات. تقلص عدد التغيبات وعم السلم الاجتماعي رغم بعض المواجهات الظرفية مع النقابات.
فهم المنجميون أن حياة المنجم في خطر، وأن هذا التحدي تتحمله الإدارة وأنه يجب التغلب عليه بشكل جماعي. أصبحت المشاورات تجري بصفة مستمرة مع هؤلاء، ويتم إخبارهم بالتطورات الجارية. وكانت النتيجة فورية : إنتاج 576 000 طن سنة 1992، بدل 552 250 في السنة السابقة، وهو مستوى سبق الوصول إليه سنة 1953 !

مستودع المصابيح حيث يضع ويعبئ المنجميون مصابيحهم (أرشيف)

إن المردودية التي عانت من ركود طويل - ومن انخفاض سنة 1991 (647 كلغ لكل عامل بدل 661 سنة 1990) - انتقلت إلى 730 كلغ لكل عامل سنة 1992. وانتقل عدد المستخدمين، الذي بلغ أعلى مستوى سنة 1991 بما يقدر بـ 6 357 عامل، إلى 6 015 نهاية سنة 1992.

أصبحت الحملات متواصلة من أجل خفض الاختلالات والحرائق والحوادث، وكذا استهلاك مستلزمات الإنتاج، خاصة الكهرباء. تقاطرت العقوبات على المخالفين، بما في ذلك التسريحات.

نتيجة ذلك، ارتفع رقم المعاملات وانخفضت كلفة الإنتاج إلى 1 012 درهم للطن سنة 1992 ؛ وفي سنة 1993، وصلت إلى 980 درهم... ولكن ثمن الشراء المتقرح من لدن المكتب الوطني للكهرباء لا يتجاوز 760 درهم للطن.

لم تعد المقاولة تفي بالتزاماتها تجاه الدولة، فارتفع الدين العمومي. وظلت الوضعية مستعصية.

بدأت هذه التطورات تثقل كاهل اقتصاد المدينة، التي أصبحت أقل ازدهارا : استمر عدد السكان في الارتفاع، ووصل شباب لسن الشغل، غير أن المنجم توقف عن التشغيل، ولم يعد يعوض العمال المغادرين. وهكذا أصبح عدد المتقاعدين والعاطلين في تزايد.

رؤية ترابية جديدة : إحداث إقليم جرادة

بتاريخ 30 يناير 1994، عين جلالة الملك الحسن الثاني رحمه الله، أول عامل على إقليم جرادة الذي تم إحداثه ضمن التقسيم الإداري الجديد. في العدد الثامن من مجلة الحاسي، قال عنه المتصرف المنتدب للمفاحم «محاورا جادا وذا مصداقية شرع على الفور في العمل على إعادة الوضعية بجرادة إلى حالتها الطبيعية، وعلى تنويع الأنشطة الاقتصادية والمساهمة في خفض تبعيتها المفرطة تجاه المنجم ». واستخلص ما يلي : «إن الإقليم الجديد يوفر الإطار المؤسساتي الجديد حيث سيجد كل المتدخلين في التنمية المحلية، بما في ذلك المنجم، مكانهم، وسيتمكنون من المساهمة في التنمية المندمجة والمتوازنة للمنطقة».

يبدو واضحا أن السلطات العمومية تنبأت منذ ذلك الحين «بتدهور المنجم ». وقد ظهرت هذه الصيغة منذ ذلك الحين في صحف المرحلة : يتعلق الأمر بتصور تنمية دون الارتكاز على المنجم.

ومع ذلك فإن جزءا من المسؤولين استخلصوا أن السلطة الإقليمية الجديدة قد خلقت لدعم استمرار المنجم. وأن مجلس إدارة المفاحم، الذي سبق هذا الإعلان، كان قد تصور إمكانية «الاستمرار» حتى سنة 2005، بالنظر إلى النتائج التي قدمت له والتي اعتبرها مشجعة.

على اليمين، مقر المجلس الإقليمي لجرادة
على اليسار، مقر عمالة إقليم جرادة (صورة هشام الودغيري)

على العكس من ذلك، فهم مسيرون آخرون أن الدولة تتدخل بقوة، بخلق الإطار المناسب، لأن ساكنة جرادة مهددة على المدى القصير بالانهيار المرجح للاقتصاد المحلي في حالة توقف الاستغلال المنجمي. النشاط ذو الأولوية بالنسبة للسلطة الإقليمية سيكون إذن هو تصور ووضع أسس مستقبل يجب بناؤه، وحياة جديدة بعد المنجم.

في نفس مجلة الحاسي، بين السيد أحمد أقضاض، مهندس بالقاع، ضمن العمود «صفحة مفتوحة»، كيف يجب أن نتصور المستقبل على أسس جديدة : «إن جميع المؤهلات وجميع الصلاحيات الممنوحة لهذه الإدارة ذات المستوى العالي، وضعت حيز التنفيذ مخططات أساسية للتهيئة، إصلاح الطرق، بناء وترميم المقرات الإدارية، تمديد الشبكة الكهربائية، الربط بالماء الشروب ... وسوف يكون إعداد مخطط للاستثمار من أجل التنمية الجهوية وتهييئ مشروع إعادة التأهيل مع خلق مقاولات مطروحا على جدول الأعمال».

على أي حال، خلال الأشهر الأولى من سنة 1994، أطلق المنجم استثماراته. كما أن البئر رقم 3، الذي كان موضوع خلاف - ورشة متوقفة منذ 1991 - تلقى تجهيزات بفضل شراكة مع مقاولة صينية، ليتم إنهاء الأشغال به في منتصف أبريل 1994 ؛ وقد انتهت عملية تجديد التجهيزات الكهربائية لآلة الاستخراج بالبئر رقم 2 شهر غشت (ويعود تاريخ هذه التجهيزات إلى سنة 1952 وبها عيوب كثيرة) كما تم إطلاق إنجاز أربع كيلومترات من الطرق.

تم اقتناء عدد من الشاحنات، وبعض آلات الأوراش، كما لجأت المقاولة لاستعمال الحواسب في مجال التدبير. تم أيضا تعيين مدير عام جديد، الذي واصل سياسة الإصلاح، ومنها الحملات الداخلية من أجل حماية الاقتصاد، التحديث والاستثمار ؛ وكمثال على ذلك، إحداث مركز للتحويل الكهربائي في ماي 1995 لتعويض المركز المتهالك منذ مدة طويلة.

هذه الحقائق تثبت أن بعض المسيرين كانوا يؤمنون بالحفاظ على نشاط المنجم لبضع سنوات أخرى على الأقل.

الرجات الأخيرة

في قلب هذه الأزمة، طفى على السطح خلاف بين إدارة شركة المفاحم والمكتب الوطني للكهرباء، الذي قلص طلباته، التي انخفضت من 2 000 إلى 600 طن في اليوم. وقد قدمت عدة تفسيرات لذلك : رداءة جودة الفحم، التي تؤدي إلى انكسارات في الآلات، وهو قليل السعرات الحراري، ويحتوي على نسبة عالية من الكبريت وكثيرا من الرواسب.

إن مركز جرادة يتوفر على ثلاث مجموعات، ولكن لا يشغل منها سوى واحد، بينما الآخران متوقفان. أما الأسباب المقدمة فهي عكس ما سبق : «الفحم غني بالطاقة، ويسبب انكسارات في التوربينات»، وهو ما يحتم توقيفها من أجل الإصلاح.

ما بين سنتي 1996 و1997، أدى انخفاض مشتريات المكتب الوطني للكهرباء إلى انهيار المداخيل، مما أدى إلى تسريع الأزمة المالية إلى درجة أن المقاولة لم تعد قادرة على شراء المواد الأساسية وأدوات العمل الضرورية.

في سنة 1997، لم تعد الشركة قادرة على تلبية حاجيات مصلحة المحو التي تنجز القنوات لاستخراج الفحم. فلم يعد فريق القطع قادرا على العمل لأن الفحم المستخرج لا يتم إجلاؤه. وأصبح العمال يشعرون بالخطر. وبالفعل، أصبحت الشركة سنة 1997 عاجزة عن صرف الأجور : كان العمال يتلقون أجورهم يومي 10 و25 من كل شهر، ولم يعد ذلك يحدث إلا مرة كل شهر. ثم ساء الوضع إلى حد أنه لم يعد أي أجر يصرف. وهنا قرر المأجورون خوض إضراب عام.

يوم 11 نونبر 1997، ضمت حركة احتجاجية ضخمة أبناء المنجميين انطلاقا من ثانوية المسيرة.

سيندلع العنف في خضم الانتخابات التشريعية المقرر إجراؤها في 14 نوفمبر. ستتعامل السلطة المحلية بذكاء مع هذه الأزمة لحسن الحظ، فسيهدأ التوتر وتسير عملية التصويت بهدوء كما أنها سجلت إقبالا كبيرا للغاية.

منظومة جديدة

لقد عقد اجتماع وزاري حول أزمة جرادة برئاسة رئيس الوزراء السيد عبد اللطيف الفيلالي. تقرر على إثره أن تحضر لجنة إلى جرادة لمحاولة حل الأزمة مماً أسفر عن تعليق الحركة.

لقد حضرت اللجنة إلى جرادة في 12 ديسمبر 1997 وعقدت أول اجتماع لها. ثمَّ أصدرت إعلانًا صريحا وصادقا يفيد بأنَّ الوضع المالي حساس للغاية ومعروف للجميع، وأن اللجنة حضَّرت سيناريوهات معينة وبعض المقترحات، وأنَّه لا مخرج إلاَّ من خلال التشاور مع السكان والمسؤولين المنتخبين وممثلي العمال.

وستُعيّن لجنتان :

- واحدة، اجتماعية، من أجل وضع خطة اجتماعية ؛
- أخرى، اقتصادية، للبحث عن بدائل مهنية للعمال.

وسيتم تقديم المقترحات لتعزيز البنية التحتية، دعم الأعمال التجارية، إطلاق دراسات لإعادة تدوير نفايات المناجم... ومع الأسف ظل حل الأزمة مستعصيا، انعقد اجتماع في 17 فبراير 1998 في الرباط وعرضت فيه النتائج، وانتهى بمذكرة تفاهم بين النقابات ووزارة الطاقة والمعادن وشاربوناج : صودق فيه على نهاية استغلال منجم جرادة. وظّلت الاتفاقية الاقتصادية مفتوحة قابلة للتخصيب والتكيف مع الظروف الجديدة.

الأيام الأخيرة للمنجم

بعد ثماني سنوات من ظهور أولى بوادر الإغلاق، تابع عمال المنجم المفاوضات التي شاركت فيها نقاباتهم. تم تبادل المعلومات على نطاق واسع وتم التفاوض بصبر على خطة إنهاء الأزمة. فالإغلاق النهائي لنشاط المنجم سيكلف الدولة 3 مليارات درهم منها 1.7 مليار لسداد الديون المتراكمة عليها، الاجتماعية والمالية. وسيخصص الباقي لتعويض الموظفين المفصولين.

في الواقع، إن التعويضات لعبت دورا بالغ الأهمّية بحيث لم تُنظَّم احتجاجات جماعية من قبل المنجميين. بين إعادة التأهيل للبعض واستثمار مدخراتهم في نشاط جديد غالبا في منطقتهم الأصلية، سيغادر الكثيرون (ثلث سكان المدينة). ملأ الحنين والحزن القلوب لما تم التوصل إلى الاتفاق... والعديد من اللقطات تجمع ما بين زملاء العمل الأسبقين في زي عمال المناجم، وهو ما أضحى عديم الجدوى...

(أرشيف)

(أرشيف)

(أرشيف)

جلالة الملك محمد السادس يؤكد العطف المولوي السامي ويرسّخ قيم التضامن الوطني

تندرج الزيارات الملكية السامية لمدينة جرادة ضمن سياقات تاريخية مختلفة، تؤكد العناية التي ما فتئ يوليها الملوك العلويون لعمال المناجم وللمدينة وساكنتها. كما تشهد على مدى الاعتراف الوطني بالتضحيات المبذولة، وعلى أن المناجم والمدينة تشكل مصدر فخر للوطن.

زار جلالة الملك الحسن الثاني رحمه الله، أحد أهم المناطق الصناعية بالمغرب في عز ازدهارها بعد افتتاح المقر الجديد لحاسي بلال.
وقد برهنت زيارته على القيمة النموذجية للمناجم التي تمثّل معلمة تاريخية لمغرب جديد، صناعي وعصري، حيث استفسر عن ظروف العمل وحياة العمال وعن الآفاق.

قام جلالة الملك محمد السادس منذ توليه عرش أسلافه الميامين، بزيارات متعددة إلى مدينة جرادة، لترسيخ قيم التضامن الوطني مع المدينة وسكانها.
وكانت كل زيارة تظهر اهتمام جلالته الكبير بسكان هذه المدينة المنجمية التي تأثرت كثيرا بإغلاق المنجم الذي كان سببا في نشأتها.
وبذلك شهدت المدينة إنجازات عديدة، بفضل التوجيهات المولوية السديدة.

اطلع صاحب الجلالة الملك محمد الخامس طيب الله ثراه، على أداة صناعية عصرية في المراحل الأولى من استغلالها.
وقد عاد بعد عقدين من الزمن ليلامس منبعا للنضال الوطني ورمزا نموذجيا للمستقبل الصناعي لبلد يحتفي بحصوله على الاستقلال.

زيارات المغفور له
جلالة الملك محمد الخامس

قام المغفور له جلالة الملك محمد الخامس بزيارة مدينة جرادة سنة 1936 مع بداية استغلال المنجم بوسائل تقنية جديدة ضرورية لحفر واستغلال البئر1. وقد أولى اهتمامه الكبير بقانون استغلال المناجم الذي منح حرية كبيرة لمستغلي المناجم واكتفى بإجراءات قليلة تهم السلامة وقانون الشغل.

وقد تدخل طيب الله ثراه شخصيا بين 1948 و 1951 لإغناء النصوص الجاري بها العمل، كي تخدم ظروف العيش واشتغال عمال المناجم المغاربة، والحرص على المصلحة الوطنية من خلال تعزيز الجبايات ومشاركة الدولة المغربية في تسليم رخص استغلال المناجم.
وبعد حصول المغرب على الاستقلال، عاد جلالته لمدينة جرادة التي شكلت أحد أهم معاقل المقاومة، واطلع على التجهيزات الحضرية والصناعية. ولا يزال السكان يتذكرون هذه الزيارة إلى درجة أنهم أطلقوا على المكان الذي نظم فيه حفل الاستقبال الملكي بمنطقة حاسي بلال باسم «جبل محمد الخامس».

زيارة جلالة الملك الحسن الثاني رحمه الله

بعد فترة وجيزة من توليه عرش أسلافه المنعمين، زار جلالة الملك الحسن الثاني رحمه الله سنة 1962، مدينة جرادة للقاء الساكنة وعمال المناجم. وقد كان يود التعرف أكثر على ظروف العمل والوقوف بعين المكان على أهمية النشاط المنجمي في الجهة وفي البلاد.

لترتيب هذه الزيارة وإنجاحها، بذل مسؤولو المنجم جهودا كبيرة لتوفير أفضل شروط الترحاب لعاهل البلاد آنذاك.

قام جلالته في البداية بزيارة قصيرة للحوض الشمالي الذي شكل بداية الاستغلال. توجه بعد ذلك للحوض الجنوبي الذي يقع بحاسي بلال. وقد استعدّ الجميع للزيارة الملكية ولتقديم الشروحات حول المعدات ومستودع المصابيح وغرف تغيير الملابس...

غير أن جلالته سيفاجئ الحضور، بما في ذلك أعضاء الوفد المرافق له والمسؤولين عن المنجم عندما طلب زيارة قعر المنجم. وبما أن ذلك لم يكن مدرجا في البرنامج، تم إحضار بذلة وأحذية ومصابيح ومعدات الاشتغال الخاصة بالحوض 150 لتوفير ظروف الراحة والسلامة. بعد ذلك، توجه جلالته للقعر واحتشد حوله عدد كبير من العمال لتقديم التحية، فتكلف العريف عدي هيدا، قيدوم عمال المنجم بحماية وسلامة جلالته داخل المنجم.

وهناك قدمت له العديد من الشروحات، بعد ذلك، غادر جلالته المنجم وسط هتافات العمال الذين اعتزوا بهذه الزيارة، لأنها تترجم بالنسبة لهم، دعم واعتراف الأمة بالمجهودات الكبيرة التي يبدلونها.

وفي 1969، سهر جلالة الملك الحسن الثاني شخصيا على الاتفاق مع الاتحاد السوفياتي، الذي خلص إلى بناء المحطة الحرارية لجرادة، مقابل التزام المملكة بتصدير كليمونتين بركان خلال فترة محددة.

ستستعمل هذه المحطة الفحم الحجري لجرادة وستساهم في توفير ثلث حاجيات المملكة من الكهرباء. سنة 1992 تدخل جلالته لحل أزمة طرد ألفين عامل من طرف شركة مفاحم جرادة، مما أدى إلى وقف الإضراب وإعادة العمال المطرودين لعملهم، وتعيين مدير جديد لتهيئ مستقبل المنجم.

تجهيزات مغسل حاسي بلال (عام 1955) كما عاينها جلالة الملك الحسن الثاني رحمه الله

الزيارات الميمونة لجلالة الملك محمد السادس

تبع جلالة الملك محمد السادس عن قرب، الوضعية الصعبة التي كانت تؤثر على تـنمية المجال الترابي لجرادة وعلى الساكنة.

قام جلالته بزيارات متعددة لجرادة أثناء هذه الظرفية الصعبة للتعبير عن العطف السامي الذي يشمل به جلالته ساكنة المدينة والإقليم.

قام جلالته الملك محمد السادس بزيارته الأولى لجرادة يوم 12 فبراير 2001.
جميع المسؤولين وأطر المنجم كانوا ضمن لجنة الترحيب التي قدمت للسلام على جلالة الملك

خلال كل زيارة، يعطي جلالة الملك محمد السادس توجيهاته النيرة ودعمه الكبير لتحسين أوضاع الساكنة وخلق أنشطة بديلة تعوض إغلاق المنجم.

سنة 2008، تميزت الزيارة الملكية لجرادة بتقديم مشاريع تنموية عديدة، خاصة المتعلقة بتقوية البنيات الأساسية الطرقية والتزويد بالماء الصالح للشرب والربط بالشبكة الكهربائية ومحاربة السكن غير اللائق. من بين التدشينات المهمة التي تركت انطباعا كبيرا لدى الساكنة : تدشين المستشفى الإقليمي لجرادة الذي يعد أحد أبرز الإنجازات في مجال الصحة العمومية. وحرصا منه على التنمية الاجتماعية، خاصة منها الرياضية والحقل الديني، دشن حفظه الله، القاعة المغطاة للرياضة ومسجد النور.

وقد كان لهذه الزيارة الميمونة طابع استراتيجي تمحور حول بعدين أساسيين للتنمية المحلية :

- الأول، قروي ويهم حصيلة المشروع المندمج الذي يستهدف تنمية المجال الغابوي لجرادة، دعم التنمية المحلية، تعزيز السياحة البيئية وحماية التنوع البيولوجي ؛
- الثاني، حضري حيت تم التوقيع على اتفاقية شراكة بين يدي جلالته، لإعادة تأهيل جرادة وبني مطهر وتويست، تتعلّق بتعزيز البنيات التحتية والخدمات العمومية والاقتصاد وحماية البيئة.

خلال سنة 2010، عاد جلالته للوقوف على التقدم الناجم عن البرامج التي أعطى انطلاقتها، ودشّن بهذه المناسبة مشاريع مهمة لتعزيز التنمية المحلية.

يتعلق الأمر بالمحطة الطرقية الجديدة وقرية الصناع التقليديين ومركز لإيواء تلاميذ السلك الإعدادي. كما قُدّم لجلالته في إطار المبادرة الوطنية للتنمية البشرية برنامجا مهما يضم 260 مشروع، وذلك أثناء ترأسه ملتقى وطني كبير، لإبراز الأهمية التي تم إعطاؤها لتنمية جرادة.

سنة 2011 عاد صاحب الجلالة لجرادة وأعطى انطلاقة خمسة برامج تهم المرحلة الثانية للمبادرة الوطنية للتنمية البشرية، في أفق 2015. وترأس مراسيم توقيع اتفاقية شراكة تهم التأهيل والتنمية الاقتصادية والاجتماعية للإقليم.

خلال سنة 2012، دشن جلالة الملك الشطر الأول من منطقة الأنشطة الاقتصادية لجرادة، وسلّم للمستفيدين الأوائل وثائق البقع الممنوحة لهم، مما ساهم في جذب مستثمرين آخرين اقتنوا معظم بقع هذه المنطقة الاقتصادية.

تم أيضا إعطاء الانطلاقة لأشغال الصرف الصحي لمركز كُنفودة وتدشين مركز اجتماعي متعدد الاختصاصات بعين بني مطهر، تم إنجازه في إطار المبادرة الوطنية للتنمية البشرية.

خلال عام 2013، قام جلالته بإعطاء الانطلاقة لبرنامج مهم كانت تنتظره الساكنة، ويتعلق الأمر ببرنامج الصرف الصحي السائل للإقليم برمته، سيستفيد منه أزيد من 134 ألف شخص. كما قام جلالته أيضا بوضع الحجر الأساس لمركز صحي خاص بمرضى السحار السيليسي ومركز لتصفية الكلي بالقرب من المستشفى الإقليمي.

هكذا يكون جلالته قد أشرف على إنجاز مشاريع كبرى، وأخرى تهم فئات معينة. فقد أعطى انطلاقتها وتتبّع تقدّم أشغالها وحرص على تدشينها.

إن هذه الزيارات الملكية الميمونة لجرادة تشهد على العطف الخاص الذي يوليه جلالة الملك محمد السادس، حفظه الله، لهذه المدينة الغالية، والتي تكن لها الساكنة والمنتخبين وفعاليات المجتمع المدني... كل التقدير والإجلال، لما حققته من رغبات طالما انتظرتها ساكنة المدينة.

موسم 1946/1945 - فرقة أ. ص. د. (أرشيف)

أحد أقسام المدرسة الإسلامية للفتيات (1955–1956) (أرشيف)

معسكرات الاصطياف بالسعيدية (أرشيف)

سيارة الاسعاف بقيادة السيد لوبيز في بداية الخمسينيات (أرشيف)

معسكرات الاصطياف بالسعيدية (أرشيف)

لعبة الكرة الحديدية وحمامات-الدوش أمام دار المنجم (أرشيف)

حوالي قرن من الحياة الاجتماعية بأنماط متعددة

صحة، ترفيه، ثقافة، رياضة، تربية، تكوين مهني، عطل منظّمة، مساعدات اجتماعية، أمومة وحضانة، حفلات وأسواق ومراكز تجارية، إلخ، جاءت المفاحم بحلول تهم جميع جوانب الحياة التي يحتاجها العمال. سواء كانوا مغاربة أو أوروبيين من جميع الأعمار وبغض النظر عن وضعهم الاجتماعي، حيث كان الجميع يتلقى حلولا تتناسب وتطلعاته.

تضامن وود يميزان العلاقات الاجتماعية حيث ستبقى هذه القيم راسخة بالأذهان خلال الأوقات الصعبة حتى بعد إغلاق المنجم، امتدت إلى اليوم.

أطفال في عطلة بمخيم السعيدية (أرشيف)

المدرسة المهنية "الفرنسية الإسلامية" بجرادة، ماي 1955 (أرشيف)

درس في الطرز بمركز الصناعة التقليدية (أرشيف)

التجهيزات الجماعية والخدمة الاجتماعية للمنجم

دار المنجمي، بيت المنجمي، دائرة المهندسين، الحمام... كل المرافق توفر الخدمات للعمال وعائلاتهم مقابل أثمنة رمزية : وجبات غذائية، ألعاب متعددة، استقبالات، أنشطة ذات طابع تضامني، إيواء الزوار، احتفالات متعددة الأشكال...

مع بداية استغلال المنجم، تم بناء كنيسة للمسيحيين ومساجد للمسلمين بحيث سيصبح أحد المساجد بجرادة المسجد الأكبر بمركز المدينة.

الكنيسة الثانية بجرادة التي بنيت في الخمسينيات تحولت إلى مركز ثقافي بالمدينة (أرشيف)

بالنسبة لتنقل العمال، فقد كان يستغرق وقتا طويلا سيرا على الأقدام أو على متن عربات، وقد كانت حافلة واحدة وشاحنات توفر الربط بمدينة وجدة.

وخلال الستينيات، تم تجهيز العديد من الحافلات والشاحنات لنقل العمال من الأحياء السكنية إلى أوراش العمل، انضافت إليها فيما بعد سيارات خفيفة. كانت هذه المركبات تُجدد بانتظام وارتفع عددها من 34 سيارة سنة 1993 إلى 55 سيارة أواخر سنة 1990.

بدأت الخدمة الاجتماعية خلال الأربعينيات، كانت في بادئ الأمر مخصصة لأطفال العمال وهمّت الأوراش، التتبع المدرسي، معسكرات الاصطياف، الصحة الغذائية، التلقيح، إلخ. وبدأت الخدمات في التوسع مع مرور الوقت وارتفعت الميزانية وفقا لذلك إلى أن بلغت نسبة 15.4% من سعر التكلفة للطن من الإنتاج، ما يقرب نصف الأجور التي يتم تأديتها. و خلال عام 1979 أعيدت هيكلة الخدمة لتتحول من دعم فردي إلى عمل اجتماعي حقيقي يتجاوز أحيانا الأنظمة لغرض التوفيق بين مصلحة الشركة ومصالح العمال : ويتعلق الأمر بالانضباط، العمل، العلاقات المهنية، السكن، الصحة، ، تقديم المساعدة، الرعاية للمرضى والجرحى الذين يتم نقلهم أحيانا لتلقي العلاج بمستشفيات جرادة أو مدن أخرى. ويهم الأمر أيضا الإطار العائلي (التربية على النظافة، التخطيط العائلي، التنشيط السوسيو-ثقافي، روض الأطفال، الاصطياف، إلخ.) بما في ذلك تقديم المساعدة لأسر قدماء عمال المناجم من خلال :

- دعم أرامل عمال المنجم المتوفين جراء أمراض مهنية أو حوادث الشغل منذ 1980 ؛
- فتح مركز لاستقبال أيتام الأسر المعوزة في مارس 1985 (بحيث خصّص 70 مكان سنة 1985 و130 سنة 1992 و180 في سنة 2000).

لقد كانت المفاحم على دراية بمسؤوليتها الاجتماعية وكانت ملزمة بتحملها.

الصحة العمومية، أولوية منذ الأربعينيات

أضحت الصحة مصدر قلق كبير منذ بداية الأربعينيات، بسبب ظهور مرض السحار السيليسي، وصول عدد كبير من الأوروبيين الذين شاركوا في الحرب العالمية الثانية وظهور الأوبئة الناجمة عن قلة الوقاية، خاصة داء السل الذي داع اتشاره. فبالنسبة لضحايا السحار السيليسي الأولين، كان يقال عن كل منهم : «ذهب به الريح...». كما كانت نسبة وفيات الأطفال جد مرتفعة وأيضا لدى الأمهات جراء العدوى التي عادة ما تصبن بها بعد الولادة. وخلال الخمسينيات، انتشرت حالة من الارتياب لدى الأطباء والأدوية والمستشفيات... وساهمت الصعوبة في التفاهم اللغوي والعادات في محدودية أداء الأطباء والممرضين الذين كانوا كلهم أوروبيين. وسرعان ما ستنتشر تدريجيا الاستشارات الطبية والتلقيح مما أدى إلى الحد من انتشار الأمراض المعدية. ويأتي إلى جانب طب الشغل الذي يضم (فحص القدرات والفحص بالأشعة بصفة منتظمة) طب الرعاية (استشارات، تحاليل طبية، علاجات مختلفة).

المستشفى الأول لجرادة (القريب من المقر الإقليمي الحالي للدرك الملكي) يوجد بجوار صيدلية المنجم، حيث يمكن اقتناء الأدوية من خلال نافذة صغيرة.

المستشفى القديم بالقرب من البئر 1 (أرشيف)

إنطلاقاً من 1940
شرع في تسجيل حوادث الشغل

FICHE DE BLESSÉ

M^le 4730

NOM Jahia ben Mohamed B'Jaber
Qualificatif Manœuvre Tour 9 ft CF
Age 16 ans 20 1928
Situation de famille Célibataire
Situation des Parents père vivant mère décédée
Bureau Arabe Oujda

Accidenté le 3.7.1946
Arrêt du 4.7.1946
Reprend le 13.7.1946 I.P.P.
Plaies des V. phalanges de l'index et du médius droit. I.T. 6 jours.

Accidenté le 10.7.1947
Arrêt du 11.7.1947
Repris le 16.7.1947
Contusion superficielle de la fesse gauche et du pied gauche. I.T. 2 jours.

Acc. le 3.6.49
Arr. le 4.6.49
Rep. 26-6-49
Plaies contuses annulaire et auriculaire gauche. IT. 8 Jours.

Acc. le 24.9.49
Arr. le 26.9.49
Rep. 29-9-49
Contusion main droite. IT 5 Jrs.

Déclaration d'Accident du Travail

Modèle N° 1
Format 21 x 42

(Article 11 du dahir du 25 Juin 1927, modifié par le dahir du 26 Novembre 1935)

Nous soussignés, CHARBONNAGES NORD-AFRICAINS, déclarons à M. le Contrôleur Civil, Région d'Oujda, conformément à l'article 11 du dahir du 25 Juin 1927, qu'un accident, ayant occasionné une incapacité de travail, est survenu le 4 SEPTEMBRE 1951 A 10 heures, à heures

dans le Magasin général

à M. (Nom et prénoms) EMBAREK BEN DALI N°le 2865 n°

né le 1929 à Bouarfa entré en service le

nationalité Marocaine du sexe masculin profession Manœuvre salaire

domicilié à EL-AOUINET.

L'accident a été occasionné dans les circonstances suivantes : S'est blessé au pied gauche en déchargeant un camion de ferraille.

L'accident a produit les blessures suivantes : Plaie contuse du dos du pied gauche.

La durée probable de l'incapacité de travail sera de I.T. 8 Jours

La victime a interrompu son travail 5 SEPTEMBRE 1951

Les témoins de l'accident sont M.

nationalité profession

domicilié à rue n°

Et M.

nationalité profession

domicilié à rue n°

Nous déclarons être assurés contre les accidents du travail de la société "LA PATERNELLE" représenté par M. ROSTI, demeurant à OUJDA. Rue Pierre Loti, n° , numéro du contrat

Fait à EL-AOUINET, le 5 SEPTEMBRE 1951 194

Signature du déclarant,

◄ كل مشكلة صحية، عرضية أو غير عرضية، هي موضوع استمارة وتصريحات، جميعها محفوظة في ملف كل موظف

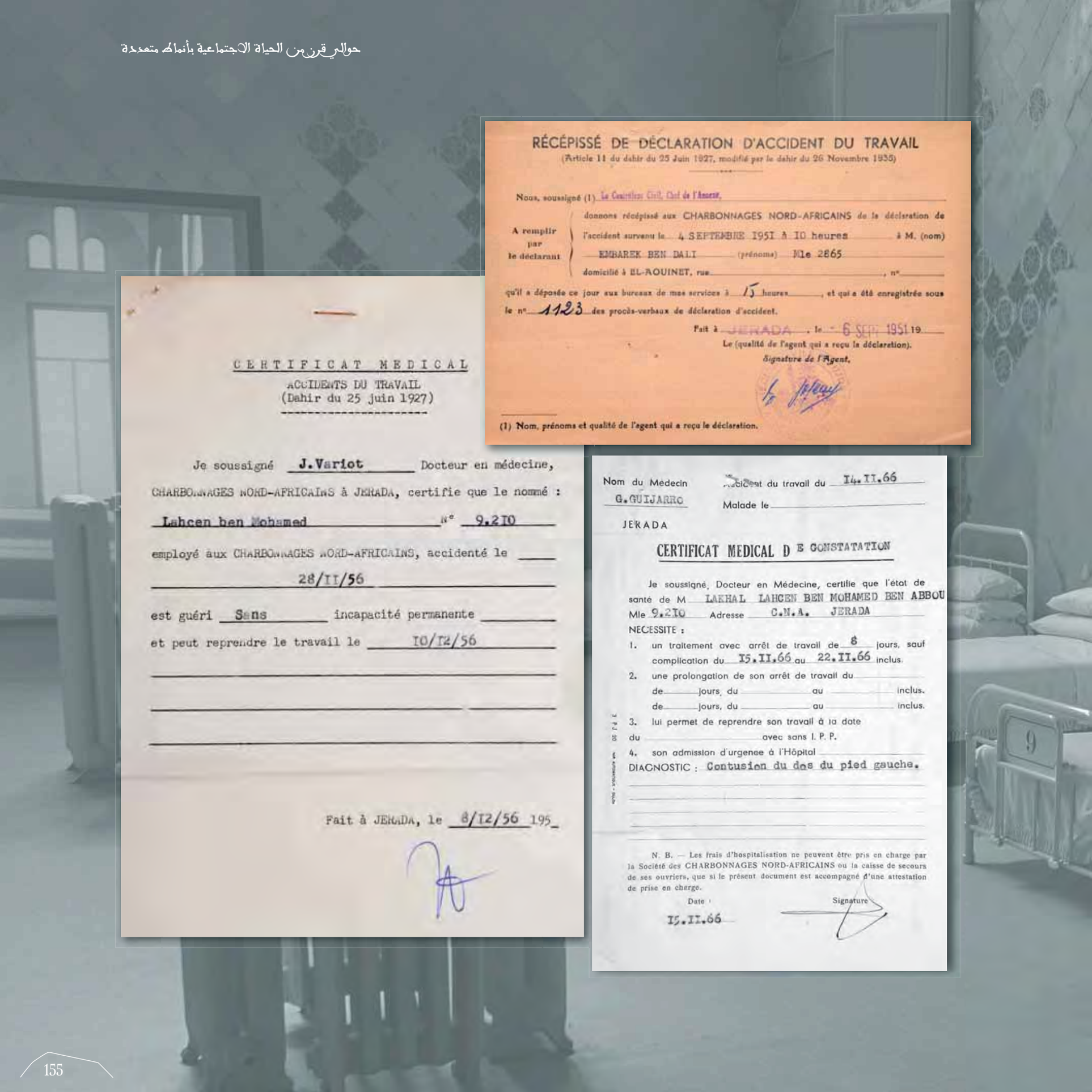

RÉCÉPISSÉ DE DÉCLARATION D'ACCIDENT DU TRAVAIL

(Article 11 du dahir du 25 Juin 1927, modifié par le dahir du 26 Novembre 1935)

Nous, soussigné (1) Le Contrôleur Civil, Chef de l'Annexe,

A remplir par le déclarant

donnons récépissé aux CHARBONNAGES NORD-AFRICAINS de la déclaration de l'accident survenu le 4 SEPTEMBRE 1951 à 10 heures à M. (nom) EMBAREK BEN DALI (prénoms) Mle 2865 domicilié à EL-AOUINET, rue , n°

qu'il a déposée ce jour aux bureaux de mes services à 15 heures, et qui a été enregistrée sous le n° 1123 des procès-verbaux de déclaration d'accident.

Fait à JERADA, le 6 SEP. 1951 19

Le (qualité de l'agent qui a reçu la déclaration).

Signature de l'Agent,

(1) Nom, prénoms et qualité de l'agent qui a reçu la déclaration.

CERTIFICAT MEDICAL

ACCIDENTS DU TRAVAIL
(Dahir du 25 juin 1927)

Je soussigné J.Variot Docteur en médecine, CHARBONNAGES NORD-AFRICAINS à JERADA, certifie que le nommé : Lahcen ben Mohamed n° 9.210 employé aux CHARBONNAGES NORD-AFRICAINS, accidenté le 28/II/56 est guéri Sans incapacité permanente et peut reprendre le travail le 10/12/56

Fait à JERADA, le 8/12/56 195_

Nom du Médecin G.GUIJARRO

JERADA

Accident du travail du 14.II.66

Malade le

CERTIFICAT MEDICAL D E CONSTATATION

Je soussigné, Docteur en Médecine, certifie que l'état de santé de M LAKHAL LAHCEN BEN MOHAMED BEN ABBOU Mle 9.210 Adresse C.N.A. JERADA

NECESSITE :

1. un traitement avec arrêt de travail de 8 jours, sauf complication du 15.II.66 au 22.II.66 inclus.
2. une prolongation de son arrêt de travail du de jours, du au inclus. de jours, du au inclus.
3. lui permet de reprendre son travail à la date du avec sans I. P. P.
4. son admission d'urgence à l'Hôpital

DIAGNOSTIC : Contusion du dos du pied gauche.

N. B. — Les frais d'hospitalisation ne peuvent être pris en charge par la Société des CHARBONNAGES NORD-AFRICAINS ou la caisse de secours de ses ouvriers, que si le présent document est accompagné d'une attestation de prise en charge.

Date : 15.II.66

Signature

تتجلى الأهمية التي تشغلها الخدمات الطبية من خلال تقرير يعود لعام 1954 إذ جرى ما يقرب 400 148 استشارة وفحص طبي و613 16 يوم استشفاء وأزيد من 000 10 فحص بالأشعة والأشعة التنظيرية وأكثر من 000 100 علاج خفيف وحقن...

وتم خلال عام 1971 توسيع نشاط الخدمات الطبية للأجراء لتشمل أيضا عائلاتهم ، حيث ارتفع عدد المعالجين من 500 4 عامل إلى 000 30 شخص خلال سنة 1972 وبالتالي أصبحت الساكنة تتوفر على أربع مراكز مستقلة، خصّص واحد منها للطب المهني في حين تم تخصيص المراكز الثلاث الأخرى للرعاية.

وقامت الشركة في حاسي بلال ببناء مستوصف بالقرب من مركز الشرطة الحالي وآخر بموقع حانة سابقة كان يديرها مقيم اسباني، ومستوصف صغير يشغل محلاّ مشتركا مع ورشة بالموقع الحالي للقيادة. كانت السيدة مولينا وهي ممرضة وابنة عامل بالمنجم تسهر على تقديم الرعاية اليومية للسكان. كانت سمعتها منتشرة بين الناس ليس فقط بسبب خبرتها في المجال الطبي بل أيضا لرقّتها وحسن استماعها إذ كانت تجمع بين العمل الخيري وإتقان العلاج.

وكان ضحايا الحوادث يتلقون العلاج بالمستشفى الطبي، الذي كان يستقبل فحوصات ما قبل التوظيف والفحوصات الوظائفية والأمراض المهنية... ويتواجد أطباء اختصاصيين ملحقين بالمنجم بموجب اتفاقية. كما أن 95% من ضحايا الحوادث تتلقى العلاج بجرادة بفضل المستوى العالي للمعدات وكفاءة الطاقم الطبي المحلي. أما بالنسبة للأخرين، تم توفير سيارة إسعاف مجهزة باتجاه مراكز في مدن أخرى وبالخصوص وجدة والرباط. وتدبر مصلحة الخدمة الاجتماعية مصاريف العلاج (الدعم الإجمالي بالنسبة للأجير وأربعة أخماسه لأفراد عائلته).

ويستقبل طب العلاجات ما بين 100 و150 أجير كل يوم ومن 300 إلى 340 من أفراد العائلات، وقد تم إجراء 145 000 استشارة سنة 1972 و200 000 عام 1989 وما معدله 150 000 خلال السنوات الموالية.

وأمكنت مجانية مصاريف الولادة منذ الأربعينيات من تشجيع الولادات، خيار أصبح سائدا لتجاوز صعوبات ما بعد الولادة : ففي سنة 1954، من بين 583 ولادة مغربية تم تسجيل 282 بالوحدة. وكانت تمنح للأمهات ملابس للرضيع ومكافأة وهي تمثل تحفيزات فعالة.

ويشمل قسم الولادة غرفة علاج وقاعة الولادة وقاعة شاي و19 سرير في غرف مريحة يسهر عليها طبيب ومولدتان. ويمتد نشاط القسم ليشمل أيضا المساعدة فيما قبل الولادة وما بعد الولادة لتتبع نمو الرضيع والمساعدة الأسرية من خلال نصائح تعمل ممرضة على تقديمها.

وفي ظل الحرارة الشديدة، تستقبل الغرفة المكيفة والخاضعة للإشراف 30 سريرا للرضع المعرضين لخطر الإصابة بالتجفاف. كما تعمل الممرضات المساعدات على تعليم الأمهات كيفية الطهي في مركز مخصص لمرحلة الطفولة المبكرة. وتستمر المساعدة إلى سن ما قبل التمدرس وقد كانت هذه التجربة فريدة من نوعها في المغرب.

فقد وضعت المعدات العالية التقنية بين يدي أطر جد مؤهلة : 121 شخص في عام 1992 من بينهم 8 أطباء و71 ممرض و42 حارس بما في ذلك سائقي سيارات الإسعاف الثمانية. وقد كان قسم الطوارئ ووحدة الأمومة تشتغل بشكل دائم.

خدمات صحية من مستوى رفيع

قامت السلطات العمومية بتغيير النظام الأصلي للخدمات الصحية من خلال إنجاز بنيات تحتية وخدمات مطابقة للمعايير الجاري بها العمل في جميع أنحاء المملكة، مع إيلاء اهتمام بالغ للخصوصيات المحلية، بما في ذلك ارتفاع معدل الإصابة بالأمراض الرئوية المرتبطة بالعمل في المنجم. وستكثف الدولة من جهودها في هذا المجال لتوفر للساكنة معظم الإختصاصات الطبية التي كانت في ما مضى تجدها فقط في مستشفيات وجدة.

القسم الحالي الخاص بالولادة بالمستشفى الإقليمي بجرادة (صورة هشام الودغيري)

بما أنها تحدث أحيانا بعد فترة طويلة من التعرض للغبار، استمرت بعض الحالات المرضية في التطور، على رأسها السحار السيليسي.

وقد تم التصريح بظهور حالات جديدة بالإضافة إلى الحالات القديمة التي استمرت في العمل خارج الإطار الصناعي للمفاحم. وقُدّر عدد الأشخاص المصابين بالإقليم بحوالي 3 000. ولمواجهة هذه الأزمة الصحية، قامت وزارة الصحة بإنشاء مركز مختص في الأمراض الرئوية بجرادة ومرضى السحار السيليسي وهو مركز فريد من نوعه بالمغرب.

وقد قام جلالة الملك محمد السادس بإعطاء انطلاقة أشغال هذا المستشفى سنة 2013 وتم افتتاحه سنة 2017، ويوفر 55 سريرا. يسهر عليه 5 أطباء وأخصائيان اثنان في التدليك الطبي وتقنيون في الأشعة و22 ممرضا. يعالجون المرضى الذين لا يخضعون للعلاجات الخارجية. يتوفر المركز على جهازين للأشعة وجهاز سكانير وغيرها.

كما أن مركز تصفية الكلي الذي دشنه جلالته في نفس اليوم، مكن مرضى القصور الكلوي من العلاج بجرادة بعدما كانوا من قبل يتنقلون من أجل ذلك لمدينة وجدة.

Accueil
الإستقبال
Service d'Hospitalisation
مصلحة الإستشفاء
Administration
الإدارة
Clinique du Jour
العيادة اليومية
Scanner et Radiologie
السكانير و الأشعة

CENTRE DE PNEUMOLOGIE
ET DE LA SILICOS

Hôpital provincial de Jerada
المستشفى الإقليمي لجرادة

مركز تصفية الدم بجرادة (صورة هشام الودغيري)

ثمرة شراكة بين المبادرة الوطنية للتنمية البشرية ووزارة الصحة والمجلس الإقليمي لجرادة ووكالة جهة الشرق، يستقبل قرابة 60 مريضا في اليوم.

قام جلالة الملك محمد السادس بتدشين المركز الاستشفائي الإقليمي سنة 2008 ويكمل ببنياته التحتية تغطية صحية جيدة للإقليم، بحيث يضمُّ أزيد من أربعين طبيبا وحوالي مائة ممرض. وتم تعزيز هذه البنيات الصحية بتقنيات من مستوى عالي بفضل الاستثمار العام وإرادة السلطات.

وقد لُوحظت هذه الأولية من قبل الفاعلين المحليين. وتسعى مبادرات عديدة على التعزيز المستمر للمنظومة الصحية من خلال التبرع مثلا بسيارات إسعاف من قبل مسؤولي المحطة الحرارية والمعدات الطبية التي تقدمها المبادرة الوطنية للتنمية البشرية لمراكز الصحة بجرادة أو جمعية الأمل المخصصة لرعاية المرضى المصابين بالسحار السيليسي. ويرتكز النشاط الطبي على الحملات المحلية الموضوعاتية (سرطان الثدي، كوفيد 19، القوافل الطبية المتعددة الاختصاص، الزيارات الطبية للمدارس والحد من وفيات الرضع والأمهات، إلخ.).

مغامرة المركز الثقافي

كانت توجد بالقرب من الكنيسة قاعة مخصصة للتعبد والثقافة، خاصة دروس مرتبطة بالمسرح والموسيقى للأطفال. إلا أنه بعد رحيل العديد من الأوروبيين، سيتم هجر المكان بالرغم من المحاولات الإبداعية والثقافية التي كانت تشهدها المدينة أنداك والتي كان المنجم وتجربة عمال المنجم والنضال النقابي يُعدّ مصدر إلهامها.

مع بداية السبعينيات، ابتكر النادي الثقافي لحاسي بلال رسومات تخطيطية تمثل حياة الطبقة العاملة عُرضت في جميع أنحاء المنطقة الشرقية بما في ذلك الجزائر.

وقام المدير العام الجديد لشركة المفاحم بعد سنوات من هذا العرض ببلورة مشروع ثقافي يهم الموظفين وأبنائهم، انتُقد في البداية من قبل أولئك الذين كانوا يجهلون قيمته المضافة وفضلوا أن تصرف المبالغ الخاصة بالمشروع لصالح عمال المناجم. هكذا تم تخصيص ميزانية كبيرة لتحويل الكنيسة ومرافقها الملحقة إلى مكان يسمى «المركز الثقافي لمناجم جرادة» والذي افتُتح سنة 1978 بالموازاة مع مجموعة من الأنشطة التعليمية والثقافية المتنوعة تمثّلت في :

- مكتبة (تضم حوالي 5 000 كتاب بما في ذلك الإرث الشخصي للعالم الجيولوجي القديم بوريس أوودينكُو وألعاب تربوية...) ؛

المجلدات السوداء التي توارثها المركز عن العالم الجيولوجي بوريس أودينكُو (أرشيف)

- التربية الموسيقية كانت تدرّس بقاعة مجهزة ومعدّة بالعوازل الصوتية الضرورية، و كان الأساتذة الثلاثة (السادة الوزاني والعاني وأبي البهلول) يسهرون على إعطاء دروس في الموسيقى والعود والبيانو والكمان والكلارينيت والكْيثارة، والرقص ؛

عرض مسرحي بالمركز الثقافي بجرادة (سنة 1970) (أرشيف)

النسخة الثالثة للمهرجان الوطني لمسرح الطفل بجرادة

التمرينات المسرحية بالمركز الثقافي (صورة هشام الودغيري)

أحد القاعات الموسيقية بالمركز الثقافي (صورة هشام الودغيري)

• الفن الدرامي (تقام عروض مسرحية بقاعة أعدت حسب المعايير الدولية من حيث الصوت والصورة) ؛
• الفنون التشكيلية (ورشات ودروس في الرسم) ؛
• صالة العرض (عروض متنوعة).

فرقة موسيقية لإحياء الأمسيات الثقافية. فرقة الجوق وفرقة غنائية تجمع أطفال الموظفين وتبرز مواهبهم. يقوم مدير المعهد الموسيقي بالرباط بمراقبة الأنشطة ويتم تشجيع الشباب الأكثر تفوقا لمتابعة مسارهم الموسيقي (حيث قام طالب من المركز بالالتحاق بالفرقة الموسيقية المغربية). ويتم منح مِنح للطلبة المتميزين وجوائز سنوية قيمة للمتفوقين في كل شعبة.

لعب المركز دورا مهما في إحداث وتنمية الأنشطة الثقافية بجرادة من خلال الجهود الاستثمارية الأولية والتي مكّنت من :

• تأسيس فرقة موسيقية شبه مهنية تتكون من 27 كوميدي سنة 1978 (قامت بتمثيل جرادة بالعديد من مدن المملكة ولعبت في العديد من المهرجانات العالية المستوى بالمغرب وخارجه) ؛
• المساهمة في إنشاء وتطوير مهرجان الطرب الغرناطي ومهرجان الفنون الشعبية التي تقام سنويا بمدينتي وجدة والسعيدية ؛
• التأسيس الدائم لفرقة وجوق موسيقيين بتمثيليات متعددة.

وعندما كلّف جلالة الملك الراحل الحسن الثاني رحمه الله، من الراقص الكوريغرافي لحسن زينون بتكوين فرقة للرقص لإتقان وتمثيل الرقص التقليدي المغربي وقد كان من بين 21 راقصا 12 ينحدرون من مدينة جرادة. لقد كان المركز يستقبل جميع أنشطة التنمية السوسيو-ثقافية بجرادة، بما في ذلك أيام تحسيسية لعمال المناجم الذين يتابعون بشكل أفضل ومختلف تماما عن تواجدهم بالمنجم.

كما كان أيضا يتم الاحتفال باليوم العالمي للمرأة.

تتم برمجة أسابيع ثقافية مع عروض ومسرحيات وعروض فلكلورية وحفلات موسيقية تراثية تمثل الجهات التي ينحدر منها عمال المناجم.

بالإضافة إلى حفلات نهاية السنة الدراسية واستقبال الحجاج ومعارض الكتب، إلخ...

استطاعت جرادة بفضل المسرح تطوير شخصية ثقافية كبيرة تجاوزت وبشكل كبير الحدود الاقليمية. مسرح منجمي حقيقي سيجمع جمهورا مخلصا ومتحمسا لأصوله المتعددة ودون تاريخ سابق : تماسك قوي للهوية المشتركة للمدينة.

بحيث ستكمل دار الشباب هذه الدينامية.

المركز الثقافي بعد المنجم

كان للمركز الثقافي دور في فك العزلة عن ساكنة جرادة، ويعود الفضل للتراث الثقافي الغني الذي تم تثبيته والذي ساهم في تعزيز صورة وشهرة المدينة. غير أن بريقها سرعان ما سيتراجع، خاصة بداية سنة 1992 إذ أن الساكنة كانت في ارتباط وثيق بالاستغلال المنجمي والمركز الثقافي الذي صقل الهوية الجماعية للمدينة.

جرى تعليق أنشطة المركز لشهور بعد إغلاق المنجم وتم في بادئ الأمر نقل إدارته إلى جماعة جرادة ليتم تفويضه إلى القسم الثقافي. ولم يكن إعادة نشاطه بالأمر الهيّن. لم تنشط الجمعيات الثقافية بالقدر الكافي نظرا لمغادرة العديد من أفرادها وانشغال الآخرين بمستقبلهم. كما أن التمويل الذي كان يؤمنه المنجم أضحى متعذرا.

ولإعادة الحياة للمركز، تم خلق العديد من المبادرات، تجلت في إنشاء أوراش دائمة (للموسيقى والمسرح والفن التشكيلي) وتخصيص دورات تكوينية تعمل أطر تابعة لوزارة الثقافة على إحيائها. كما أن جمعيات نشيطة في الحقل الثقافي تعمل جادة على تنظيم مهرجانات ثقافية خاصة في فصل الصيف كما هو الشأن بالنسبة للمنكوشي أو مهرجان مسرح الطفل خلال العطل الربيعية...

المركز الثقافي لجرادة سنة 2020 (صورة هشام الودغيري)

السيدة ثريا جبران، وزيرة الثقافة بمدينة جرادة

كان لفقدان الممثلة القديرة والجليلة ثريا جبران بالغ الوقع على نفوس المغاربة، الذين بكوها بتاريخ 24 غشت 2020، وقد شغلت الراحلة منصب وزيرة الثقافة في الفترة بين أكتوبر 2007 ويوليوز 2009 كما أنها لعبت دورا رياديا في إعادة إحياء المسرح، الذي يعد اختصاصها الذي نشأت فيه وذلك من خلال إصلاح نظام الدعم المخصص لهذا القطاع. وقد كان كذلك دعم الكتاب من بين أولوياتها غير أن المرض دفعها لمغادرة منصبها مبكرا. وقفت السيدة ثريا جبران على خشبة المسرح إلى جانب الفنان القدير الطيب الصديقي وعمرها لا يتجاوز العشرين سنة.لتخوض غمار السينما بدءا من عام 1978، مع الحرص على عدم تخليها عن المسرح الذي شكل هوايتها الرئيسة.كما أن شهرة الفرق والكتاب بجهة الشرق وبالخصوص جرادة، ساروا بها نحو القلعة المولعة بالمسرح الجامع للفرق. وشكل المركز الثقافي، الروح الفنية لجرادة وجهتها المفضلة خلال زيارتها للمدينة يوم السبت 23 فبراير 2008، رفقة والي الجهة والمدير العام لوكالة جهة الشرق، حيث زارت الممثلة-الوزيرة العديد من الورشات والمنشآت.

وقد وعدت من خلال اتفاق تم توقيعه مع وكالة جهة الشرق بتجهيز المركز الثقافي وببناء متحف بتعاون مع وزارة الطاقة والمعادن والمجلس الإقليمي والمجلس الجهوي للحفاظ على ذاكرة المدينة. وبتاريخ 18 أبريل 2008 وبدعوة من المدير العام لوكالة جهة الشرق، عادت وزيرة الثقافة إلى المدينة، رفقة السيدة أمينة بنخضرة، وزيرة الطاقة والمعادن ووفد رفيع المستوى.
استقبلهما السيد عامل إقليم جرادة ورئيس المجلس الإقليمي والمدير العام للوكالة والمدير الجهوي للثقافة وقامتا بمعية مدير المركز الثقافي بزيارة للمكتبة التي تتوفر على كتب نادرة وقديمة.
وشهد الجميع بقاعة العرض عرضا مسرحيا اشتغلت عليه السيدة الوزيرة بعد حوار مطول مع الفنانين، غير آبهة ببرنامجها، حيث ظلت في عين المكان، تفقدت المعدات التي قامت وزارتها بإعدادها وتجهيزات الإضاءة... فرقة مسرح اليوم الذي أسسته الفقيدة.
وقبل اختتام جولتهما، قررت الوزيرتان القيام بزيارة لمنشآت المنجم، خاصة البئرين 1 و2.
ظلت هذه الزيارة راسخة بأدهان الجميع، فقد أصبحت تنتمي للإرث الثقافي التذكاري لجرادة.

ستنخرط الجمعيات الثقافية تدريجيا، ولإحياء المركز، سيقوم ورش الفنون التشكيلية والرسم بدعوة الفنانين الشباب لجهة الشرق كالسيد ادريس رحاوي، أما بالنسبة للشعر فسيقوم السيد خالد بنظريف وهو شاعر غني عن التعريف بتنشيط الورش الثقافي. وقام السيد مريمي، مدير المركز بإحياء ورشة لعمل مسرحي رفقة شركاء محليين، مثل جمعية أصدقاء المناجم والجوهرة السوداء.

استفاد الورش بالمعهد الموسيقي من شراكة مع جمعية المتوسط، ويتوفر هذا الأخير على جميع المعدات اللازمة.

ينظم المركز من جديد تظاهرات ثقافية وأنشطة شعرية لقراءة الزجل ولقاءات للفنون التشكيلية، إلخ.

وتأتي فرق دولية لتنظيم ورشات وتنظم دورات تكوينة تقنية (تهم الإضاءة والصوت والسينوغرافيا والديكور...) ويسهر الفنانون والمحترفون بانتظام على أوراش العمل والدورات التكوينية، والتي يخصص بعضها للجمعيات المنظمة للمهرجانات.

بالإضافة إلى ذلك، ينظم المركز مهرجانا دوليا كل سنة لمسرح الطفل ومسابقات في الرسم والموسيقى وغيرها.

خيالة الفروسية بسوق جرادة (1951) (أرشيف)

عرض للفنون التشكيلية (مهرجان أوريانطا 7 سنة 2019 بالمركز الثقافي)

ويعمل المركز على دراسة تطوير المقر الحالي أو إنشاء مركز ثقافي جديد، وهما خياران تعمل عليهما الجماعة والمؤسسات ذات المعنية.

الحفلات، الرياضة والأنشطة الترفيهية

تعد «الوعدة» إحدى الاحتفالات الخاصة بجرادة، وهي بمثابة موسم فريد من نوعه يتشكل من وليمة اجتماعية تنظم بالبادية من قبل عمال المناجم. ويتم الاحتفال بضريحي سيدي أحمد بن الشيخ وسيدي محمد أوصالح، حيث تقام الصلوات وتعم الفرحة والدعوات بالخير للعام المقبل.

وبمناسبة عيد العرش، تحضر كل الساكنة حفلات واستعراضات القبائل التي ينتمي إليها عمال المنجم، وأيضا الرقصات والأغاني الفلكلورية والفروسية والألعاب تحت التصفيقات والزغاريد.

أول قاعة سينما بجرادة (أرشيف)

سينما جرادة في الهواء الطلق والتي تم بناؤها في السبعينيات (أرشيف)

غذاء احتفالي بقاع المنجم (أرشيف)

مدخل مخيم الاصطياف للمفاحم بالسعيدية (أرشيف)

"الفاماسطير"، بناء بالألواح، شكل المكان الأول لمطعم الأطر الأوروبية والذي كان يستخدم أيضا كقاعة للحفلات إلى حين بناء دار المنجمي

مسابقة الكرة الحديدية بجرادة (1956) (أرشيف)

ألعاب الكرات، خاصة الكرات الحديدة التي رافقت نشأة وتنمية جرادة وتظل ممارسة شعبية (صورة هشام الودغيري)

موسم 1947/1946

موسم 1949/1948

موسم 1955/1954

فريق الجمعية الرياضية لجرادة (أرشيف)

أحد ملاعب كرة القدم بجرادة

دار المنجمي (1950) الذي كان يشمل مطعما وحانة (أرشيف)

تمثل القديسة «بارب» حفلة بالنسبة لعمال المناجم بالغرب، يُحتفل بها يوم 4 دجنبر من كل سنة وتهم الجالية الأوروبية بالخصوص، غير أن المسلمين اهتموا أيضا بذلك، خاصة وأن الحفلة تحولت إلى يوم عطلة مؤدى عنه ابتداء من سنة 1965. وقد شارك خلال هذه السنة أكثر من 200 منخرط في الاحتفال بدار المنجمي بعد ترميمها. تلت ذلك، مسابقة في كرة اليد وبطولة لعبة الورق وحفلة رقص استمرت إلى غاية الفجر. وفي اليوم الموالي الذي كان يوم أحد، نظمت مسابقة الكرات الحديدية بموقع حاسي بلال، تبعها عرض كبير للفروسية، في حين تميزت فترة الظهيرة بسباق الدراجات بمشاركة أفضل الدراجين بجهة الشرق. لقد استمر هذا البرنامج لسنوات عديدة. بعد مغادرة الأوروبيين للمدينة، اختفت العديد من الاحتفالات، إلا هذه التي ظلت مستمرة.

ولقضاء وقت الفراغ، جرت العادة أن يتردد عمال المنجم الأوائل على المقاهي التي تم تشييدها وتجهيزها من قبل الشركة للنقاش والاستمتاع بالموسيقى الشعبية. إلا أنه سرعان ما تم بناء مركب للترفيه والتعايش :

- قاعة للسينما (تشتغل صباحا ومساء أيام العطل) مع برنامجين في الاسبوع ؛
- منشآت رياضية ؛
- دار المنجمي (حيث تجتمع الإدارة أحيانا بجميع الأطر العاملة بقعر المنجم من مختلف الجنسيات) ؛
- مركز الاصطياف بالسعيدية (شقق، مخيمات، مستوصف ومتجر) ؛
- معسكرات الاصطياف (شهر ونصف في الجبال أو على البحر) بحضور مراقبي السباحة ملحقين من وزارة الشباب والرياضة ؛
- قاعة رقص وفندق.

كانت ملاعب الرياضة (كرة القدم، كرة السلة، كرة المضرب والكرة الحديدية) تشغل الموقع الحالي لمدرسة مفاهيم 2. وكان حوض السباحة وملاعب الكرة الحديدية بحاسي بلال تستقبل سنويا تظاهرات وطنية عالية المستوى.

وتتوفر الجمعية الرياضية لجرادة على فرقة لكرة السلة غالبا ما تفوز بالبطولات الجهوية، كما فازت خلال بعض سنوات بكأس الاستقلال كما هو الشأن بالنسبة لسنة 1965.

دخلت الجمعية الرياضية لجرادة ابتداء من 1946 بفرقة لكرة القدم، البطولة الجهوية، خاصة بعد إحداث عصبة جهة الشرق لكرة القدم، سنة 1956، حيث دخلت جرادة غمار المنافسة. وسيقود السيد الحسين بنان، أحد عمال المنجم ولفترة طويلة، تدريب الفريق الذي حضي باهتمام المنجميين والجمهور. خلال سنة 1966 سيصبح السيد امراد، المسير الجديد لدار المنجمي، مدربا جديدا للفريق.

المركب السوسيو-رياضي لجرادة (صورة هشام الودغيري)

تظل كرة القدم إلى اليوم وبالرغم من إغلاق المنجم الرياضة الرئيسية للمدينة، فخلال سنة 2019 على سبيل المثال، كانت بالمدينة تسعة أندية تلعب بالملاعب السبع لجرادة. بالنسبة لنادي وجدة للريكْبي (الذي اختفى اليوم)، فقد كان بطلا للمغرب خلال سنة 1953 وشمال إفريقيا سنة 1956، وقد كان يحمل اللون البرتقالي واللون الأسود الذي يرمز للفحم. غير أن رياضة الريكْبي لا تتوفر على ملعب خاص بجرادة مما يدفع اللاعبين الى التدريب بملاعب وجدة.

وفيما يتعلق بالأنشطة الترفيهية التقليدية، وبالرغم من تنوع أصل السكان، يبقى النشاط الأكثر ممارسة بلا شك رقص النهاري، رقصة تجمع بين الموسيقى والكوريغرافيا في آن واحد. ترافق عروضه الأغاني المشبعة بالشعر البدوي على إيقاعات البندير وإيقاعات المزامير.

وتعد الرقصة ذكورية متجذرة في الذاكرة الجماعية لقبيلة بني يعلا التي تشكل مصدر فخرها وتشبه الرقصات الجهوية الأخرى كرقصة المنكْوشي والركْادة والعلاوي... غير أنها تبدو أكثر رصانة، كما تُغنَّى أحيدوس بالأمسيات النسائية.

المغامرة المفرحة للفنون التشكيلية

تزخر جهة الشرق بأرض خصبة لفنانين تشكيليين موهوبين. وتحرس وكالة جهة الشرق على دعمهم من خلال حرصها على فتح مجالات للتعبير بالمغرب ومع مؤسسات أجنبية مرموقة حيث تميز فنانو جرادة. وقد كتب رئيس المجلس الإقليمي لجرادة السيد محمد العبدلاوي سنة 2018 بمجلة Oriental.ma. «تعد زمرة من المبدعين هذه مهمة بالمقارنة مع الوزن النسبي لساكنتنا، وبالتالي تتواجد ظاهرة تمثيلية مهمة لإقليم جرادة في مجال الفن التشكيلي بالمغرب.»

رافق العديد من الفنانين المنحدرين من جرادة الوفد الذي ذهب لمعهد العالم العربي بباريس من أجل عرض الفن التشكيلي الإقليمي، حيث قاموا إلى جانب تظاهرة «المغرب المعاصر» ابتداء من 2014.

دليل معرض الفنانين بجهة الشرق في معهد العالم العربي سنة 2015

ويجمع الفنانون على أنَّ هذا الانفتاح ساهم في ولادة جماهير جديدة وعمل على صقل منهجية الفنانين. ويختم الفنان المشهور السيد جواد امباركي هذا المعتقد السائد بقوله «العرض بالخارج يعد شكلا من التعريف بالذات وللتعرف على الآخرين في نفس الوقت واكتشافهم. يعتبر إيصال العمل إلى الخارج نقل للأفكار.»

وقد عادوا بعدد أكبر سنة 2015، ما يزيد عن ثمانين مبدع من مختلف التخصصات لمعرض (ما بيننا - نكون نحن، الشرق المغربي).

وفي يوليوز 2017 تمت برمجة معرض ثاني بمعهد العالم العربي.

وبمناسبة حدث «الطرق المقدسة» التي تكشف عن روحانيات الفنانين، قال السيد جاك لانغ من خلال هذه الكلمات «فنون تشكيلية، موسيقى، رقصات، قراءة... كل الحواس مرحب بها لتعميق اكتشاف الشرق المغربي.»

إن إقليم جرادة تجمعه توأمة ببلدة سان-جوس-تين-نوود، وهي جماعة ترابية ببروكسيل-العاصمة، وقد كانت ضيف شرف تظاهرة «سان-جوس، مكان يتسع للجميع» ففي نسختها الرابعة خلال أكتوبر 2016، جرى تدشينها رسميا بالبرلمان الفرنكفوني لبروكسيل.

"فنان حلال" لابراهيم بشيري، خط بالنيون تم عرضها بمعهد العالم العربي

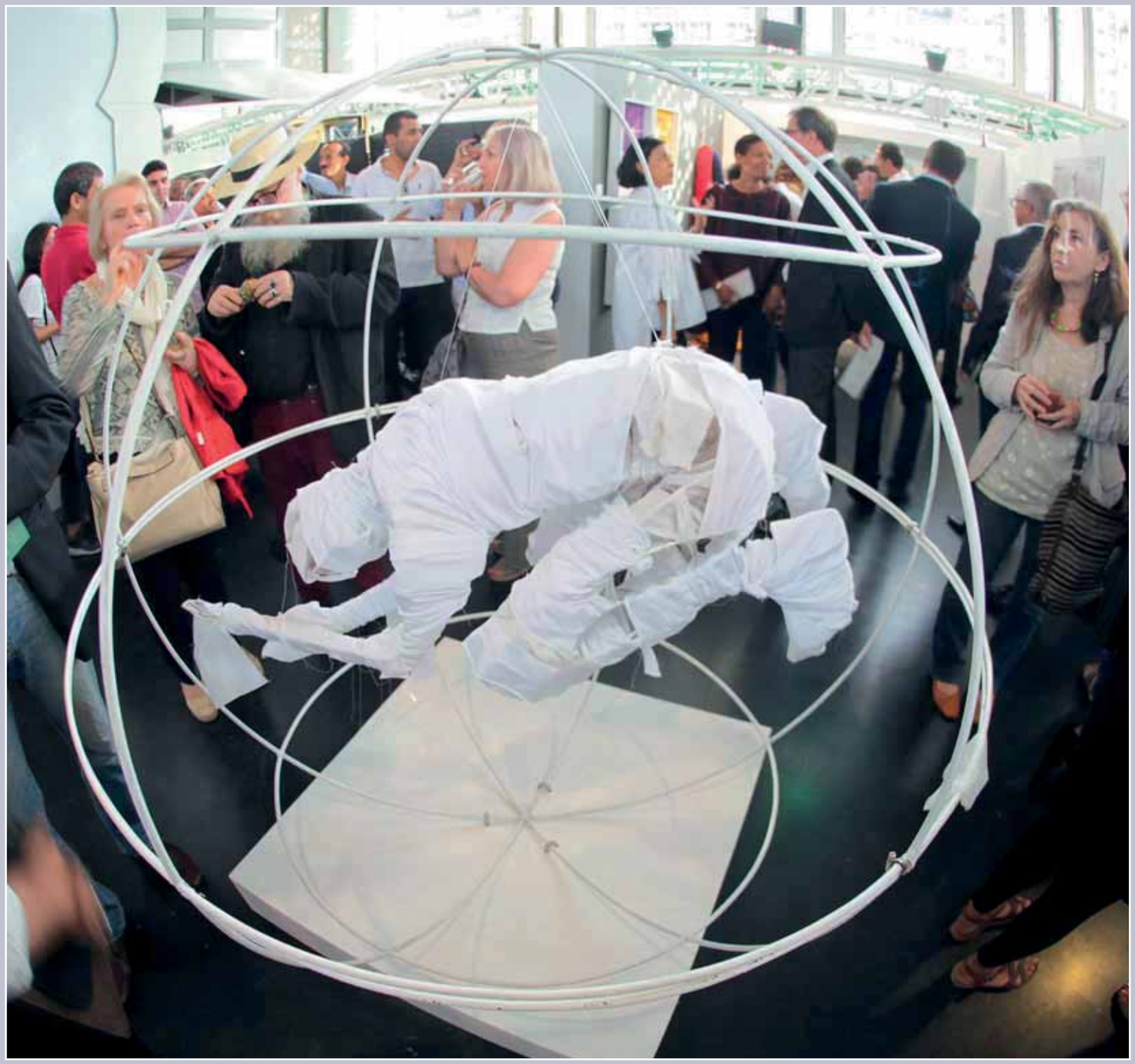

"شخص معلق" تركيب للفنان المنحدر من جرادة جواد امباركي، صلب ونسيج، أبعاد متغيرة. سنة 2017، بمعهد العالم العربي

رقم التسجيل 38555، من تركيب الفنان ادريس رحاوي، منحدر من جرادة، مائدة، كراسي، غطاءات، كؤوس وفحم

تكلفت وكالة جهة الشرق بالعملية التي سنحت لفناني جرادة بالاستثمار في بعض الفضاءات الجد مرموقة والتي أصبحت واجهات إبداعية للعرض. أروقة عديدة ثمنت تراث جرادة.

من بين الفنانين التشكيليين المنحدرين من إقليم جرادة :

- علي عدري، مصور وشاعر ؛
- نور الدين بومعزة، رسام سردي ؛
- جواد امباركي، رسام ونحات ؛
- ادريس رحاوي، رسام ونحات ومصمم للمعدات ؛
- ابراهيم بشيري، فنان متعدد الاختصاصات ؛
- مصطفى روملي، مصور وناشر، مندوب المعرض ؛
- عبد الكريم الصغيري الذي يمزج بين الرسم والفن التصويري للملصقات.

"كاليس"، تركيب
الفنان براهيم حمامي،
تقنية مختلطة، 2016،
حديقة ستور،
سان-جوس

"يوتوبيا أخرى"، تركيب زينب نصري، حجارة الرصف، حديقة ستورس، سان-جوس، 2016

تلاقح ثقافي

ورثت المدينة من تاريخها المنجمي روح المقاولة الثقافية : لقد شهدت المدينة العديد من التظاهرات ولازال الحال كذلك إلى حدود اليوم، ونذكر على سبيل المثال المهرجانات المتنوعة التي تنظم بالإقليم. وعملت وكالة جهة الشرق على دعم هذه الملتقيات السنوية التي تنظمها عدة جمعيات مثل :

- كُفايت للثقافة والتنمية، التي تنظم القافلة الأدبية «الموكب الأدبي» (كُفايت-جرادة-وجدة) ؛
- اتحاد جمعيات إقليم جرادة و (مهرجانها للرسم والصحافة والضحك) الذي ينظم على امتداد ثلاثة أيام بتويسيت ويعنى بشكل خاص بالشباب ؛
- أطفال زليجة، التي تدير «مهرجان عمال مناجم سيدي بوبكر» و «المهرجان الدولي الاحتفالي للشاي».

جرادة
بعد المنجم،
من الركود
إلى النهوض

ترتب عن إغلاق المناجم عواقب سريعة وجسيمة. فإلى جانب الأجراء الذين تم تعويضهم والذين تمت تعبئتهم لبناء مستقبل جديد، كان هناك آخرون وبالخصوص شباب جرادة والقرى المجاورة يبحثون عن أمل في التشغيل فوجدوا أنفسهم بدون مورد دخل وغالبا بدون أمل.

دون إغفال أولئك الذين كانوا يعيشون من المنجم دون أن يكونوا أجراء. فغالبا ما تكون عملية العودة طويلة وشاقة ومرتكزة على استثمارات عمومية ضخمة توفر خدمات حضرية ضرورية وإمكانية تفعيل الآليات اللازمة للتنمية.

البحث عن وجهة أخرى بالنسبة للكثير...

ستؤدي الاستراتيجيات الفردية للعمال إلى فقدان الثقة وإضعاف التماسك مع النقابات. وتؤكد الشهادات على أن الشاغل لعمال المناجم بعد الاتفاق الاقتصادي هو ضمان استلام التعويضات، في حدود المبالغ والوقت المتفق عليهما. وبالتالي بعد ذلك كل واحد يتبع أولوياته ويسلك مسلكه الخاص به.

فالبعض سيزيد من استهلاكه، آخرون سيسهرون على توسيع وإعادة تجهيز منازلهم، في الوقت الذي فكر فيه العديد للهجرة للخارج إما بالنسبة إليهم شخصيا أو لأفراد عائلاتهم، سواء لمتابعة الدراسة بالنسبة لعدد قليل منهم أو من أجل العمل بالبلدان الأوربية التي كانت آنذاك في حاجة لليد العاملة، وقد كان هذا مرمى الغالبية. لقد تحدث الخبراء على أن عدد المعنيين، منجميين كانوا أو من كانوا يعيشون بطرق غير مباشرة بالمنجم يصل 25 000 شخص فقدوا جزء أو كل دخلهم أي أزيد من 40% من السكان.

ويمكن تلخيص أهمية الهجرة في ثلاثة أرقام : إحصاء لأكثر من 59 000 شخص خلال عام 1994 وما يقرب عن 60 000 سنة 1998 (أي ما يعادل نصف الساكنة) إلا أن سنة 2004 شهدت انخفاضا حيث تم إحصاء 44 000 شخص.

وقد كان بعض عمال المناجم القدامى يغادرون إلى مدن أخرى بالمملكة، غالبا إلى المناطق المجاورة للجهة التي ينحدرون منها، أحيانا لاستثمار التعويضات التي حصلوا عليها في مشاريع شخصية. أما بالنسبة للأطر والمهندسين، فغالبا ما كان يتم تشغيلهم بشركات أو إدارات بجهة الشرق أو بمناطق أخرى بالمغرب. وقد غادر 300 عامل منجم جرادة في إطار الاتفاق الاجتماعي للانضمام إلى المكتب الوطني للكهرباء.

أما آخرون فقد انتقلوا إلى مدن لكي يستطيع أبناؤهم من متابعة تعليمهم العالي هناك. هاجر العديد من المهاجرين المحتملين إلى إسبانيا للعمل في مختلف القطاعات وخاصة البناء والفلاحة. وسرعان ما بدأوا في إرسال جزء من مداخيلهم إلى أسرهم بحيث كانت هذه العملية تدر عليهم دخلا قارا. وقد ساهمت هذه الأموال في البداية من التخفيف من وطأة الإغلاق وأيضا في التنمية غير أنها لم تقوى على تعويض الأجور التي دفعها المنجم والتي كانت تضخ 300 مليون درهم في العام في الاقتصاد.

وإذ سددت 1.3 مليار درهم كتعويضات عن الطرد من المنجم فقد استثمر جزء كبير منها خارج المنطقة ولم تنجز غير سبعة مشاريع فقط من الأنشطة الملحقة للمفاحم التي وفَّرت 136 وظيفة.

بوادر الأمل، رغم صعوبة الحاضر

اقترن تراجع التدفقات المالية في الاقتصاد المحلي بانهيار الموارد المالية لجماعة جرادة التي كانت تشكل فيها نسبة المفاحم قبل الإغلاق ما يناهز 71%. أعلن جلالة الملك محمد السادس عن المبادرة الملكية لتنمية جهة الشرق يوم 18 مارس 2003 بوجدة، مما فتح الأبواب لمستقبل واعد للجهة، وكان للأمل موعد مع جرادة.

كما جاء إطلاق مشاريع ضخمة للبنى التحتية للتأكيد على ذلك، بالإضافة إلى الإنجازات المحلية العديدة. غير أنه سرعان ما سيتغير الوضع لأن الصعوبات الاقتصادية في أوروبا ولا سيما إسبانيا أدت إلى انخفاض التحويلات المالية للمهاجرين وأدت الأزمة العالمية لسنة 2008 إلى تفاقم الوضع.

ساهمت الطرق التي أُعيد تأهيلها وتوسيعها وتجهيزها في تقوية ربط النسيج الحضري (صورة هشام الودغيري)

جرادة ليلاً على اليسار، مع حاسي بلال على اليمين والطريق الحضري المضاء الذي يربط بينهما، وكُنفودة التي يمكن رؤيتها في خلفية الصورة

انخفضت التحويلات المالية باتجاه جرادة بشكل كبير ومستمر (فقد بلغت عام 2013 نسبة 40% أي أقل عما كانت عليه سنة 2007 الذي سجل أعلى مستوى). وكانت المجهودات من أجل التنمية التي يقودها ويدعمها الفاعلون العموميون من أجل السيطرة على الوضعية الصعبة تتطلب وقتا من أجل ترجمتها على أرض الوقائع إلى ثروة وفرص للشغل.

وكان الحل المباشر بالنسبة للشباب من أجل الحصول على دخل لإعالة الأسر اللجوء إلى الأنشطة غير المهيكلة والغير القانونية كالتهريب الذي اختفى تقريبا منذ سنة 2015، وبالخصوص الحفر الغير القانوني لما يسمى (الساندريات) التي شهدتها المنطقة خلال الثمانينيات والتي كانت تستخدم التركيبات الأساسية التي أنشأها رواد الثلاثينيات لبدء استغلال الحقل قبل حفر البئر الأول... لكن بدون أدنى شروط السلامة بسبب قلة الوسائل المادية.

وقد كانت المفاحم تقاوم هذه الأساليب المحفوفة بالمخاطر لأنه كان يتم سرقة الفحم وتقع بها حوادث متكررة وأحيانا مميتة والتي أضرت بصورة الشركة، فكانت في بعض الحالات تتابع قضائيا هؤلاء المستغلين السريين للفحم.

وبالنسبة لبعض قدماء عمال المفاحم الذين ظلوا بالمنطقة دون تثمين تعويضاتهم، والذين تم طردهم قبل الاتفاق الاجتماعي، خاصة العمال المؤقتين الذين أصبحوا عاطلين عن العمل أو أولئك الذين كانوا يعيشون بشكل غير مباشر من المنجم دون التمكن من الحصول على تعويضات بعد إغلاقه، كان لزاما الحصول على موارد بديلة. فشباب جرادة والقرى المجاورة الذين ليست لهم آفاق مستقبلية في التشغيل، والذين لم يعيشوا الحياة المنجمية هم المعنيون الرئيسيون... والفئة التي تقل أعمارها عن سن العشرين تمثل نصف الساكنة.

أمام هذا الوضع، تضاعف عدد السندريات لدرجة أنها أصبحت بديلا لقلة فرص الشغل الجديدة.

سلسلة حقيقية للقطاع غير المهيكل انتهى بها المطاف إلى الهيكلة بظهور مستغلين يقومون بجمع الفحم الحجري المستخرج مما شجع حفر ساندريات جديدة... دوامة مميتة.

إن التنمية تتطلب وقتا طويلا... وهو الشيء الذي تفتقر إليه الساكنة المحلية. فإغلاق المنجم تم بسرعة : أي في أقل من ثلاثة سنوات بين 1998 و2000، بيد أن جاذبية الاقتصاد يرتكز على مجموعة من العوامل التي تشكل بيئة مناسبة.

وقد كان ذلك موضوع البرنامج الاقتصادي الأول التي تم تبنيه بعد التفاهم الاجتماعي، والثاني الذي هم الفترة الممتدة بين 2015 و2018. ولأسباب مختلفة، لم يكن بالمقدور إنجاز أي منها، ولم يتم الوصول إلى أهداف خلق فرص عمل جديدة. وقد بدا من الواضح صعوبة جلب المستثمرين المرغوب فيهم، بسبب غياب البنية التحتية التقنية والاجتماعية والثقافية الكافية وغياب مزايا تحفيزية محددة.

ولخلق فرص العمل، اقترحت المجالس المنتخبة في جرادة عدة قرارات حكومية، غير أنها كانت تتميز بطبيعة استثنائية غير مقبولة لخلق أنشطة مرتبطة بالدولة، أو اقتراح مزايا محددة، كسعر الإمداد بالكهرباء على سبيل المثال، وبالتالي لم يكن ممكنا تلبية هذه المطالب.

سيظل الوضع الاقتصادي في جرادة هشا، وكدليل على جمودها، استمرت المدينة في فقدان عدد كبير من ساكنتها التي انخفضت من 44 000 سنة 2004 إلى 43 500 سنة 2014.

من العمل النقابي إلى النضال الجمعوي

أدى الاتفاق الاجتماعي إلى تراجع الحركة النقابية وتسريح المناضلين الذين عملوا على بناء مستقبلهم الشخصي.

مجموعة مدارس بسيدي بوبكر

إضافة إلى رحيل العديد من القيادات النقابية بعيدا عن جرادة وتقاعد البعض الآخر... وبمجرد إغلاق المناجم، ظهرت بعض الجمعيات لحيز الوجود حيث تولت الدفاع عن المصالح الجماعية وأحيت قيم النضال وعاداته لتطبيقها من جديد على أهداف جديدة مرتبطة بالأزمة التي تفاقمت.

وخير سبيل على هذه الروح المجتمعية التي لا زالت مفعمة بالحياة بالرغم من مرور 20 سنة على إغلاق المنجم، نجد أن 19 جمعية تشتغل في مجال دعم مرضى السحار السيليسي وإحدى عشرة جمعية أخرى في مناطق متعددة لفائدة قدماء عمال المناجم المرضى الذين استقروا بها.

لقد كانت حقوق عمال المناجم وخاصة علاج السحار السيليسي من بين الدوافع الأولية لتأسيس الجمعيات. وسرعان ما تبعتها انتظارات التنمية الاقتصادية والاجتماعية ومساعدات الفئات الهشة والمحافظة على البيئة.

بالنسبة للمرضي الذين يقيمون بعيدا عن جهة الشرق، فقد كانت المشكلة الرئيسية تكمن في أن مرض السحار السيليسي غير معروف بشكل كبير خارج المنطقة، وبالتالي كان من الصعب تلقي الرعاية الملائمة. بالإضافة إلى ذلك وكما هو محدد في الاتفاق الاجتماعي، يجب أن تكون المعالجة مجانية بالنسبة لحاملي البطاقة التي منحت لهم. غير أن هذا لم يكن مباحا إلا في جرادة أو وجدة !

وكانت عائلات عمال المناجم القدامى الذين يقطنون بعيدا عن جهة الشرق تتحمل التكاليف الباهظة للرعاية الطبية، مما دفع بهم إلى التكتل في إطار جمعيات للدفاع عن مصالحهم.

الوضع السوسيو-اقتصادي لسنوات *2000*

تميزت السنوات التي تلت 2017 بوضعية اقتصادية واجتماعية صعبة عرفت ارتفاع في نسبة البطالة وانعدام الثقة في المستقبل.

أراضي مسقية بالقرب من واحة كُفايت

إسعاف جرادة للتضامن والتنمية

تأسست الجمعية سنة 2001 بهدف المساهمة في التنمية الترابية. وبفضل مثابرتها وعملها الميداني، تمكنت من عقد شراكات مع مؤسسات وطنية ودولية. وقد انتقتها وكالة جهة الشرق سنة 2006 كجمعية حاضنة على الصعيد الإقليمي لمواكبة الجمعيات والتعاونيات التي ستسهر على برنامج تشجيع التشغيل الذاتي في صفوف الشباب والنساء، ودعم حاملي المشاريع المذرة للدخل بتمويل من الوكالة. همت هذه التجربة النموذجية تقديم دعم مادي للمستفيدين، مسترد للجمعية بدون فائدة في فترات تختلف حسب نوعية المشروع، لكي توظف تلك المبالغ المستردة مجددا للاستجابة لطلبات جديدة. وقد بلغ عدد المشاريع الصغرى المحدثة في هذ الإطار بإقليم جرادة 223 أشرفت عليها 26 جمعية محلية بتنسيق مع جمعية إسعاف جرادة للتضامن والتنمية. وقد بلغ دعم الوكالة في هذا المشروع 3 مليون درهم، كان لنصيب المرأة فيه 42%.

مركز الاستقبال والتكوين والإدماج

أُعطيت الانطلاقة لهذا المركز بجرادة سنة 2011 ويعود المشروع لجمعية إسعاف بشراكة مع مؤسسة فرنسا والتعاون الوطني وبدعم من وكالة جهة الشرق. يستهدف المركز فئة الشباب المتراوحة أعمارهم ما بيت 16 و35 سنة من أجل تشجيع التشغيل الذاتي ومحاربة البطالة من خلال تنظيم دورات تكوينية مهنية والتعليم وإنشاء تعاونيات ومقاولات ذاتية. وتتكون محاور برنامجها مما يلي :

- استقبال الشباب ومساعدتهم للإنصات إليهم وإبراز قدراتهم وتحديد احتياجاتهم ؛
- التوجيه نحو التكوين الملائم للتشغيل الذاتي من خلال إنجاز مشاريع شخصية في إطار البرامج العامة ؛
- التكوين ودروس التقوية في اللغة الفرنسية واكتساب المهارات والمعرفة ؛
- الإرشاد من أجل الإدماج عن طريق إنجاز وتدبير الأنشطة.

جمعية
كْفايت للثقافة والتنمية

تعتبر كْفايت واحة غنية بالثروات التراثية والطبيعية التي تتوفر عليها. تعمل الجمعية على ترسيخ قيم التضامن والانفتاح على الثقافات الأخرى ونشر ممارسات الانخراط. كما تدعو إلى التنمية المستدامة من خلال العديد من الشراكات. وتشتغل على تقوية قدرات الجمعيات المحلية والفلاحين ومربي المواشي وذلك من خلال تثمين النباتات العطرية والطبية وتحسين سلالات العجول وإعداد وتسويق الجبن وتنمية السياحة الإيكولوجية والتضامنية كما هو الشأن بالنسبة لإنجاز مأوى قروي بشراكة مع وكالة جهة الشرق... وتعمل أيضا على إدماج الشباب والنساء ومحاربة الأمية وحماية البيئة وتقوية قطاع الصحة وتعليم الفتيات في القرى وتطوير الصناعة التقليدية.

معدات لإستخراج الزيوت الأساسية للنباتات العطرية والطبية بكْفايت (صورة هشام الودغيري)

البرنامج التشاوري المغرب

يعود الفضل في هذا المشروع للتعاون المغربي-الفرنسي، ويهم بالخصوص الشباب، تمتد الأهداف المتوخاة منه على المدى المتوسط والبعيد. كما يؤسس دينامية للتبادل والشراكة في إطار الحوار شمال-جنوب بين الجمعيات والحضور القوي للسلطات العمومية للدولتين، بحيث تعد تقوية الروابط بين الفاعلين العموميين والجمعويين المغاربة والفرنسيين أحد المكاسب الكبرى. وقد سنح البرنامج للسلطات العمومية والجماعات الترابية والمجتمع المدني بالتنسيق الفعال بينها حول العديد من المواضيع :

- المواطنة والاستفادة من الحقوق ؛
- التعليم والتنشيط ؛
- الاقتصاد الاجتماعي والتضامن.

ويعبئ البرنامج العديد من الجمعيات. كما ساهم على وجه التحديد في تشجيع تأسيس مجالس الشباب المحليين التي تعمل على دمج الشباب في الحكامة الترابية وإدراج اهتماماتهم في برامج التنمية.

جمعية طفولة وتضامن جرادة

من أجل الاعتناء بيتامى وأرامل قدماء عمال المنجم، أنشأت شركة مفاحم المغرب سنة 1987 بشراكة مع المنظمة غير الحكومية السويسرية «أرض الرجال» مركز المسيرة لحماية الطفولة. غير أن إغلاق المنجم كاد أن يعصف بهذا المركز لولا تحمس بعض المنجميين القدامى لإنقاذه، فأسسوا سنة 2002 جمعية «طفولة وتضامن جرادة» التي ترأستها لسنوات عديدة مليكة الداودي، وهي من قدماء المنجميات. من المهام الأساسية للجمعية، الاعتناء بالأطفال اليتامى ومحاربة الهدر المدرسي وتكوين أمهاتهم الأرامل في التربية الصحية ومحاربة الأمية والخياطة والطرز لضمان دخل قار، مما ساهم في انتشالهن من الفقر والتسول ومكنهن من إعالة أسرهن. منذ افتتاح المركز إلى اليوم، استفاد 4 936 طفل، منهم من نجح في حياته التعليمية والمهنية وأصبح اليوم يقدم الدعم المادي للمركز. وقد تعاقدت الجمعية مع وكالة جهة الشرق لتمويل تجهيز ورشات التكوين لفائدة الأمهات الأرامل.

الجماعة الترابية جرادة تحتضن مجلس الشباب

المندوبية الإقليمية للإنعاش الوطني

أُنشئ الإنعاش الوطني سنة 1957 كمؤسسة عمومية تقدم جميع أشكال المساعدة للسكان. من أهم مهامها المساهمة في الدعم الأسري والاجتماعي، ولها صلاحية إنشاء مؤسسات ومعاهد خاصة لتسهيل الولوج إلى ميدان الشغل والإدماج الاجتماعي.

يُمثل هذه المؤسسة على المستوى الترابي، تنسيقيات جهوية ومندوبيات إقليمية تنشط في ثلاث محاور :

- الأشخاص في وضعية صعبة ؛
- الخدمات الاجتماعية من خلال دعامات مختلفة ؛
- اليقظة والذكاء الاجتماعي.

ويستفيد في جرادة آلاف الأشخاص سنويا من خدمات المؤسسة.

تُبين جميع المؤشرات بالمغرب على أن جرادة ليست مدينة بدون تنمية، فالمدينة غنية بالمباني السكنية والبنى التحتية الناجمة عن المرحلة المعدنية وسياسة التجهيز التي انتهجت بعد ذلك. ففي سنة 2014 كان أكثر من منزل من بين عشرة منازل يقل عن عشرين سنة، وهي نسبة أقل أربع مرات من المعدل الوطني.

وعلى العكس من ذلك، كانت أربع أسر من أصل خمس مالكة لمنازلها حيث اقتنتها شركة من المفاحم بأثمان رمزية (حوالي 3 340 وحدة)، وتبلغ هذه النسبة اثنين من ثلاثة بالمدن الأخرى للمملكة. لقد ظل القطاع العقاري أقل دينامية.

ما بين 2004 و2014 حافظت الساكنة النشيطة بجرادة على استقرارها، أي حوالي 13 000 شخص في الوقت الذي ارتفعت فيه بالربع في باقي أنحاء المملكة. كما أن البطالة التي بدأت في الارتفاع ابتداء من 1992 بسبب تراجع النشاط المنجمي، تضاعفت سنة 2014 على ما هو عليه في مناطق أخرى. هذه الوضعية هي ما تسعى الديناميكية الحالية إيقافها لكون النمو الناتج عنها غني بفرص الشغل المحدثة.

إن البرنامج التنموي الذي تم وضعه عام 1998 لم يذهب سدى، بل عمل على فك العزلة عن الإقليم بفضل الطرق التي تم إنجازها، كما عزز الاندماج الجهوي.

وحرصت السلطات على إعادة تأهيل الأحياء الناقصة التجهيز والتهيئة الحضرية. وتمت تقوية البنية التحتية السوسيو-تربوية واستفاد العالم القروي بدوره من عمليات التأهيل وتثمين الثروة الطبيعية المحلية.

كما عرف المجال الحضري لجرادة إعادة تنظيمه وتجهيزه. وسجل الفقر انخفاضا بنسبة الثلث، وتم تعميم الكهرباء والربط بالماء الشروب.

كما أصبحت نسبة 92% من الأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين 6 و11 متمدرسة وانخفضت نسبة الهدر المدرسي إلى أقل من المعدل الجهوي.

60

تكوين المدينة مع من يقطنها

بدأت جرادة في التحول إلى مدينة قائمة بذاتها مع إغلاق المنجم وستتولى السلطات مهمة التخطيط الحضري الذي ينبغي التفكير فيه عموما ثم تنفيذه خاصة. إنها منظومة حضرية جديدة تتبلور تدريجياً، تتظافر فيها الجهود ويلعب فيها المجتمع المدني دورًا أساسيًا، سيما بفضل الجمعيات والتعاونيات التي أصبح لها دور فعال في الحوار. يبتدئ المسلسل بالبنى التحتية والاستراتيجيات القطاعية، ثم تليه عملية استقطاب المستثمرين.

تراث وحضارة : طرق عصرية بجوار الركام الكبير للنفايات المعدنية " الرامبلي"

من الحي المنجمي إلى التحضر العصري

لم يكن للشركة أي اهتمام بتأسيس مدينة، غير أنها أنجزت مجموعة من البنايات تلبية لبعض الحاجيات وحسب الفرص السانحة، من بينها مساكن وتجهيزات تهم مجالات مختلفة، فضلا عن تجمعات سكنية عشوائية، كانت إقامتها تحت المراقبة لكي لا تضر بالنشاط المنجمي ولا بالأمن. نتكلم إدا عن مستوطنات بشرية تضم في آن واحد الأداة الصناعية والسكن للذين يعيشون بها ويساهمون في عيشها، علاوة على الخدمات التي تستجيب لحاجياتهم.

ومن مخازن معدودة للمعدات بها في البداية أكواخ وخيام، سرعان ما ستطور الأمور إلى ظروف عيش أكثر جذبا للعمال وتشجيعهم على الاستقرار خاصة أن المنجميين الذين لم تكن لديهم الإرادة التي ارتبطت بمطالب الأجراء لتشكيل الجميع. وعلى عكس المدن الصناعية الأوروبية فإن المساطر القانونية التي تحكم المستوطنات البشرية وكذا الأدوات المؤسساتية للإدارة الترابية لم يتم استعمالها بشكل كامل في مدينة جرادة خلال فترة اشتغال المناجم. ذلك أنه لم يُعَر لاستشارة المتخصصين في التهيئة والتعمير أي اهتمام للتخطيط لمستقبل المدينة وتنمية مجالها الترابي. ورغم أن السلطات المحلية فرضت تدريجيا منذ 1947 احترام القوانين، فإن المدينة ومنذ إغلاق المنجم لا تزال في حاجة لمجهودات كبيرة.

لقد قدم المنجم العديد من الخدمات الاجتماعية، العالية الجودة مقارنة مع مدن أخرى. غير أنه على المستوى الترابي، لم يتم تنظيم أو بالأحرى، العمل على تنظيم المجال، بحيث نجد في نفس الأماكن، تجهيزات ونفايات الفحم إلى جانب المساكن والمحلات الصناعية.

باختصار، نشأ تراث حضري ثقيل دون الاهتمام بالجودة الحضرية الشاملة مع تواجد للسكن العشوائي الغير اللائق في كثير من الأحيان.

مع إغلاق المنجم، الذي كان يعود له الفضل في خلق العديد من المحرك الرئيسي لجل الخدمات، والتي يطلق عليها في مناطق أخرى بالعمومية، وكذا في خلق فرص الشغل المباشر والغير مباشر، ورحيل أزيد من ثلث الساكنة، تراجع إشعاع جرادة وأضحت مدينة قطبية لوجدة.

ففي هذا السياق الصعب، ستشتغل المؤسسات والمنتخبون ؛ ستنشأ الأجيال الصاعدة المسؤولة اليوم عن أسرها دون إمكانية ضمان مواردها، على عكس ما كانت عليه الأجيال السابقة التي تمكنت بسهولة من الاندماج الاقتصادي والاجتماعي، على مستوى الفرد والجماعة والتي كانت حاسمة في أمرها، سيما بين العشرين والأربعين سنة.

وفي مجال ترابي تميز بالنضالات النقابية الجماعية، تراجع تحقيق وضع اجتماعي لائق، وانتشرت الأنشطة غير المهيكلة. كما أن غياب مناصب الشغل لحاملي الشواهد جعل البعض ينفر من التعليم. شكل كل هذا، أساس لمجموعة من الإجراءات الهادفة للاستمرار الاجتماعي لجرادة، التي ولجت اليوم منطقا مزدوجا لإعادة التهيئة الحضرية والتحول الاقتصادي لم يستثني التعبئة الجماعية المنخرطة في جميع الوساطات مع السلطات حول المشاريع التنموية. وقد مكن الإصغاء والتشاور أيضا من تنظيم جديد للممارسات الغير نظامية.

حلول مبتكرة تمكن من استعمالات جديدة وخدمات تم إدماجها بالحياة الاجتماعية وخدمات القرب، بعضها وليد الاقتصاد الاجتماعي والتضامني. في هذا السياق المعقد والغني إنسانيا، بزغت للوجود مبادرات جديدة في تناسق وانسجام كاملين.

استراتيجية مندمجة

أضحت المحطة الحرارية الجديدة للفحم بحاسي بلال والمحطة الحرارية الشمسية لعين بني مطهر مفخرة للصورة الصناعية بالإقليم.

السوق الأسبوعي الجديد لجرادة (صورة هشام الودغيري)

جرادة، طاقة جديدة بجهة الشرق

شركات جديدة تتمركز بمنطقة الأنشطة الإقتصادية بجرادة

وقد طرحت هذه الإنجازات الضخمة مسألة تنويع الأنشطة والشغل، خاصة وأن هذه المنشآت، تستعمل تكنولوجيات عالية لا تحتاج إلا إلى القليل من اليد العاملة والتي تتميز بكفاءات عالية (حوالي 50 منصب شغل بالمحطة الحرارية الشمسية). ويتطلب إنشاء مناصب شغل عديدة للساكنة المحلية، تنويع المشاريع كالأنشطة المدرة للربح بالنسبة للتعاونيات والمقاولين الذاتيين... ولجلب المستثمرين في مجال الصناعة، تم توفير مناطق مجهزة خاصة بذلك بتسهيلات كثيرة في كل من جرادة وكْنفودة وعين بني مطهر وتويسيت.

دعم خلق الأنشطة

لتعزيز الاستراتيجية الاقتصادية، تم إنشاء صندوق لدعم الأنشطة الجديدة سنة 2019 بتكلفة 150 مليون درهم، بشراكة بين وزارة الداخلية، وزارة الصناعة، مجلس جهة الشرق، المركز الجهوي للاستثمار ووكالة جهة الشرق.

يعمل هذا الصندوق وفقا لأربع آليات (منح هبات، مكافآت مرتبطة بالنتائج، قروض شرفية ومواكبة مادية)، ويهدف إلى :

- دعم حاملي المشاريع ؛
- إنعاش قابلية التشغيل بالإقليم ؛
- تنمية المقاولة الذاتية والأنشطة المدرة للدخل والشركات الصغيرة جدا والتعاونيات...

ويكمل هذا الصندوق المحفز للاقتصاد، الآليات العمومية المتوفرة والمخصصة لدعم حاملي المشاريع. كما يهدف إلى إدماج الأشخاص العاطلين عن العمل أو العاملين بالقطاع الغير مهيكل والذين لا يتوفرون على إمكانيات مادية لتمويل تكوين مستمر يستجيب لمتطلبات السوق أو كراء متاجرهم وتجهيزها. ويرتقب منح دعم لبعض المستفيدين من أجل إنشاء مقاولاتهم. يستهدف أيضا هذا الصندوق، المساهمة في خلق أزيد من 5 500 منصب شغل بثلاثين وحدة صناعية. وتتضمن هذه الخطة :

- برنامج لإعادة التوجيه نحو مهن جديدة ؛
- برنامج لدعم المشاريع الصغيرة ؛
- برنامج لدمج التعاونيات ؛
- ستة وعشرون مشروعا للمقاولات الصغيرة جدا.

وتم إشراك جميع الأطراف المعنية (سلطات محلية، مؤسسات، منتخبون، مجتمع مدني، إدارات غير ممركزة وحاملي المشاريع) لتحديد الانتظارات والمصادقة على منهجية الاشتغال. وتشتغل خلية للتوجيه على تحسين مساهمة الصندوق في كل مشروع : بحيث استقبلت أكثر من 10 000 شخص ودرست أكثر من 4 000 طلب، منها 1800 طلب للتكوين و2 300 إنشاء مقاولات لأول مرة. يتم قبول كل مشروع بناء على مدى توافقه والأهداف والغايات المسطرة (خاصة النساء في وضعية صعبة وخريجي التعليم العالي أو التكوين المهني)، حسب القطاع والأثر الاجتماعي والاستدامة. ويمكن للصندوق دعم ما يصل 90% من تكلفة المشروع، ويساعد الشباب المؤهلين للاستفادة من التمويل البنكي، ويقوم بتجميع المهن وتقاسم التكاليف. ولاستقبال حاملي المشاريع، تم بناء وتجهيز مركز بجرادة وآخر بعين بني مطهر (بيت الثقافة) وثالث بتويسيت (دار الشباب).

وتركز لجنة القيادة للصندوق، الرفيعة المستوى، على مخطط العمل، تقييم النتائج، المصادقة على الإجراءات وتسهر على التحقق من المبالغ المستثمرة ومناصب الشغل المحدثة بالمشروع. وتستفيد اللجنة، كلما دعت الضرورة ذلك، من خبرة بعض البنوك. ومن المتوقع أن تخلق الشركات الصغيرة والمتوسطة وحدها 3 000 منصب شغل.

منطقة الأنشطة الاقتصادية بجرادة

دشَّنها جلالة الملك محمد السادس، وتضم 68 قطعة أرضية على مساحة 7.45 هكتار، ويحتوي الشطر الأول على 42 قطعة مجهزة. فهي نتيجة شراكة بين وزارة الداخلية، وزارة الصناعة والتجارة، وزارة إعداد التراب الوطني والتعمير والإسكان وسياسة المدينة، مجلس جهة الشرق ووكالة جهة الشرق.

جرادة، أنشطة صناعية جديدة وخدمات متنوعة ومبتكرة

وحدات صناعية جديدة اختارت التمركز بالمجال الترابي لجرادة، وأخرى تستعد أيضا لبناء منشآتها مما يترجم الدينامية الجديدة التي تشهدها المدينة، التي جدبت أنشطة رقمية من الجيل الجديد، ولو أنها ستبدل الصورة القديمة للمدينة، إلا أنها محدثة لمناصب شغل متخصصة تحتاج ليد عاملة جد مؤهلة.

تقشير سمك الروبيان

تم خلق 1 400 منصب شغل لفائدة النساء لتقشير سمك الروبيان القادم من ميناءي الناظور وطنجة المتوسط لإعادة تصديرها لهولاندا. و قد ناهزت كلفة المشروع 20 مليون درهم 7.5 م.د منها عبارة عن مساعدات عمومية (المبادرة الوطنية للتنمية البشرية والمجلس الجهوي).
يشتمل المصنع على 5 غرف تبريد تتسع كل منها لتخزين 30 طن، ومختبر ووحدة للتعبئة ومحل تبريد ومرافق للاستراحة (كغرف تغيير الملابس والمطعم...). ويحترم المصنع وإنتاجه المعايير الأوروبية. كما تعتزم شركة أليبا سي فود وبروسيسيين توفير 3 000 منصب شغل.

إعادة تدوير بقايا سمك الروبيان

سيتم استعمال بقايا وحدة التقشير الغنية بالماغنيزيوم والكالسيوم لإنتاج الأسمدة ومواد التجميل وتغذية أحواض السمك.

إنتاج الرقائق

تستعد نفس الشركة لإنشاء وحدة لتصنيع رقائق من السمك موجهة إلى الأسواق الأوروبية والمتوسطية، ويمكن لهذه الوحدة إنتاج 360 000 وحدة في اليوم.

معالجة النفايات الطبية

افتتحت شركة برو-بيست المتعددة الخدمات بجرادة الوحدة الأولى لتعقيم النفايات الطبية المشكل للخطر بجهة الشرق، وهي الرابعة على المستوى الوطني.
وقد بلغت كلفة الاستثمار بالنسبة لهذا المشروع 5 ملايين درهم، ساهم فيها صندوق التنمية الاقتصادية لجرادة بـ 1.3 مليون درهم.
وتأتي الوحدة في إطار التنمية المستدامة وحماية البيئة. كما ساهمت في حل مشكل كان مطروحا ودون حل مرضي. كما يمكنها معالجة أزيد من 1.5 طن من النفايات في اليوم والقادمة من 2 600 سرير بالمنطقة. ويلجأ التقنيون المختصون إلى التكنولوجيا المبتكرة كما أن هناك تفقد صارم للبقايا من عملية التجميع إلى المعالجة النهائية.

مصنع رقمي بجرادة

تفتخر جرادة باستقبال شركة إسكوديف للتكنولوجيا العالية والمختصة في «تطبيقات وبرمجيات معالجة البيانات الحساسة»، حسب مؤسسها السيد نبيل زروال الذي سبق له أن أسس هذا النوع من الأنشطة بأوروبا.
وعلى غرار نموذج «مصنع رقمي»، ستوفر المقاولة مئات مناصب الشغل المؤهلة (مهندسين، تقنيين، محللين، مصممين ومبرمجين) ومناصب في متناول حاملي شهادة الباكالوريا بحيث ستعمل الشركة على تكوينهم في مستوى عالي في الرقميات.

المحطة الحرارية الجديدة بجرادة

المنطقة الصناعية لكُنفودة

تم تعزيز المنطقة الصناعية لكُنفودة عام 2019 مع إطلاق مصنع لإنتاج النسيج المصنوع من المواد البلاستيكية التي تم إعادة تدويرها من النفايات التي تعمل التعاونيات المحلية على جمعها مما أسهم عن تنظيف البيئة. ويعتبر المصنع نتاج استثمار لمجموعة صناعية صينية، إذ تم التخطيط لـ 330 فرصة عمل مع إمكانية التمديد لتلبية الطلب المحلي والتصدير. ذلك أن الماركات الكبرى تستهلك هذا النوع من النسيج حيث يتم إنتاج 25 منها سنويا. ومن المرتقب أيضا إنشاء مصنع متخصص في الكارتون من طرف أحد مغاربة الخارج.

استراتيجية الموارد الطبيعية

يعتبر الإقليم مجالا للفلاحة وتربية المواشي على نحو تقليدي بالرغم من مناخه الذي يطغى عليه الطابع الشبه الجاف والارتفاع، بالإضافة إلى الموارد المحدودة من المياه وتربة غالبا ما تفتقر إلى المواد العضوية والعناصر الضئيلة التي تنتشر بها الحلفاء (276 000 هكتار) والأشجار المثمرة أو المناطق الغابوية (60 500 هكتار).

وقد تم إنجاز برنامج للتشجير لمواجهة عمليات قطع الأشجار العديدة فيما مضى. كما يوجد مكان للزراعة المعاشية ولاستغلال الأعشاب العطرية والطبية المتواجدة بوفرة بالمنطقة (إكليل الجبل، الخزامى، الزنجبيل، الزعتر...). يتشكل الإطار الطبيعي من مواقع تطبعها خصائص متباينة تستفيد من التنوع البيولوجي النادر.

أُعطيت أيضا، انطلاقة برنامج فلاحي ضخم على الأراضي الصالحة للزراعة أي 3 000 هكتار، خضعت لهندسة المياه من خلال إنشاء مناطق مسقية خُصصت منها 2 000 هكتار للشباب، علاوة على تهيئة المناطق الموجودة. وفي هذا الصدد، تم إبرام شراكة مع المبادرة الوطنية للتنمية البشرية تخص تربية المواشي وزراعة الشعير الأخضر.

ويتوفر الإقليم على قطيع يتكون من حوالي 500 000 رأس يتشكل خاصة، من الأغنام التي تشتهر بها منطقة بني كْيل التي تحظى بختم «منطقة جغرافية محمية» : ويجب تسهيل عملية التسويق بما في ذلك عملية التصدير التي تتطلب إنجاز مجازر جديدة مطابقة للمعايير الدولية والتي تمت برمجتها. وفي انتظار تحقيق هذا المشروع، تم تجديد مجازر جرادة وعين بني مطهر، وجهزت بأساليب حديثة للذبح.

لقد استفاد الإقليم من برنامج التنمية للرعي وتربية المواشي بجهة الشرق. حيث سمح هذا البرنامج بتدبير عقلاني، تشاوري للمجال الرعوي مع الحد من المخاطر التي يواجهها مربي المواشي الصغار. وقد تم التركيز أيضا على الصحة الحيوانية وتحسين الإجراءات الجينية. وتعتمد هذه الاستثمارات على غنى الفرشة المائية لعين بني مطهر التي يُقدر احتياطيها بنحو 10 مليار متر مكعب.

إقلاع مكتسبات القرن العشرين

اشتهر إقليم جرادة منذ عقود بالصناعة المنجمية والطاقة. فبعد إغلاق المناجم القديمة تم اكتشاف حقول معدنية بالمنطقة وأعطيت الانطلاقة لدراسة من أجل استغلالها. ويتعلق الأمر بـ (الزنك، الرصاص، النحاس، الباريت، الحديد، البنتونيت والكاولين على وجه الخصوص).

غابة جديدة
ناتجة عن عملية
إعادة التشجير
بالقرب من جرادة

مجازر جرادة بعد ترميمها (صور هشام الودغيري)

يمكن أيضا استغلال الفحم الحجري الثقيل أو الضحل في إطار تقليدي أو تعاوني. فقد تم على سبيل المثال اليوم، وفي ظل الظروف الأمنية اللازمة للاستغلال، إجراء دراسات للتحقق من ذلك. يحتفظ الإقليم فيما يخص الطاقة التي ساهمت بنسبة 40% من الإنتاج الكهربائي الوطني بالعديد من المزايا الحاسمة : أولا وقبل كل شيء، الشبكة الهائلة للخطوط المرتفعة الضغط، طرق سيارة كهربائية بما للكلمة من معنى، تربطها بالشبكة الوطنية وأشعتها الشمسية الطبيعية التي تجعل منها أفضل المواقع لمحطات الطاقة الشمسية. بعد إغلاق المحطة الحرارية القديمة التي كانت تشتغل بالفحم، فإن المحطة الجديدة والمحطة الحرارية الشمسية لعين بني مطهر وقريبا المشروع الضخم الجاري تنفيذه (باستثمار يقدر بـثلاث ملايير درهم و900 منصب مرتقب)، ستبوئ للإقليم الصدارة الطاقية على الصعيد الوطني.

تنمية اجتماعية مندمجة

المقاربة هنا أيضا ترابية، من خلال تدخلات تركز أساسا على المدن التي لها تاريخ يرتبط تاريخها كليا بتاريخ جرادة، كما هو الشأن بالنسبة لكُنفودة أو عين بني مطهر.
فالتهيئة الحضرية تهم جوانب عديدة مثل المرافق الاجتماعية أو التربية والتكوين كعملية توسيع مؤسسة مكتب التكوين المهني وإنعاش الشغل أو معهد المعادن بتويست.
كما تمت بجرادة، برمجة مؤسسات التعليم الأولي وأقسام جديدة، بل وأيضا، مرافق ترفيهية ومكتبة (بثانوية ابن الهيثم بحاسي بلال) وأيضا دار الطالب الجديدة المخصصة للتلاميذ القادمين من النجود العليا.

برنامج تنمية إقليم جرادة *2018-2020*

المحور الأول : الفلاحة والصناعة

- تعبئة 3 000 هكتار
- إنجاز وحدات لإنتاج الشعير
- تربية وتسمين المواشي
- دراسة تثمين الحلفاء
- صندوق دعم حاملي المشاريع
- المواكبة الاجتماعية

المحور الثاني : البنيات التحتية الاجتماعية

- إنجاز معهد للتكوين (عين بني مطهر)
- توسعة معهد المعادن (بتويسيت)
- إنجاز دار الطالب للمعهد المتخصص في التكنولوجيا التطبيقية (جرادة)
- إنجاز مكتبة (جرادة)
- إنجاز أقسام التعليم الابتدائي
- تهيئة المركز الثقافي (جرادة)
- إنجاز قاعة متعددة الرياضات (تويسيت)
- بناء مركزين متعددي الوظائف
- إنجاز خمس ملاعب للرياضة (جرادة)
- إنجاز موضع للأنشطة الرياضية (جرادة)

المحور الثالث : عمليات حضرية وبيئية

- إعادة تهيئة حيين ناقصي التجهيز (جرادة وعين بني مطهر)
- إعادة الإسكان (جرادة وعين بني مطهر)
- إعادة تهيئة المنجم الصغير وإحداث متحف للتراث المنجمي لجرادة
- تثمين مواضع النفايات المنجمية.

المحطة الطرقية الجديدة لجرادة (صورة هشام الودغيري)

Café ~ Restauran

ورش ملكي أكثر حيوية بجرادة

منذ أن أعطى جلالة الملك محمد السادس انطلاقتها سنة 2005، دعمت المبادرة الوطنية للتنمية البشرية بإقليم جرادة العديد من المشاريع. (782 مشروع إلى غاية 2018).

وبالنسبة للفترة الممتدة بين 2019-2021، أعطيت انطلاقة 76 مشروع بكلفة إجمالية بلغت 65 مليون درهم، ساهمت فيها المبادرة الوطنية للتنمية البشرية بما يزيد عن 43 مليون درهم.

«الدفع بالرأسمال البشري للأجيال الصاعدة» و«تحسين الدخل والإدماج الاقتصادي للشباب» ضمن البرامج الأربعة التي أتت بها المبادرة الوطنية للتنمية البشرية. ويشمل هذان البرنامجان بجرادة 26 مشروع ونشاطين، بتكلفة إجمالية وصلت 15 مليون درهم، مولتها بالكامل المبادرة الوطنية للتنمية البشرية.

ويشكل هذين البرنامجين، الجزء الأكبر للدعم الذي تقدمه المبادرة الوطنية للتنمية البشرية للإقليم.

المنصة الخاصة بتوجيه الشباب بجرادة

اقتناء وحدات طبية متنقلة في العالم القروي

معدات لمركز صحي قروي

ويبدو ذلك بوضوح من خلال المنصة التي تم إنشاؤها بجرادة بدعم من المبادرة الوطنية للتنمية البشرية، من أجل توجيه الشباب وتعزيز حس المقاولة الذاتية لمساعدتهم في تحويل أفكارهم إلى مشاريع ملموسة ومستدامة وأيضا لتحسين قدراتهم لولوج سوق الشغل.

مثال آخر حي للمنافع التي تأتي بها المبادرة الوطنية للتنمية البشرية وهو الدعم الذي تقدمه للعديد من التعاونيات، خاصة النسوية من خلال الانفتاح على أنشطة مدرة للدخل ومحدثة للشغل، كتثمين النباتات العطرية والطبية. أما برنامج «مواكبة الأشخاص في وضعية هشاشة»، فيشمل 32 مشروع عملت المبادرة الوطنية للتنمية البشرية على تمويلها من خلال استثمارات قدرت تكلفتها الإجمالية بـ 10 ملايين درهم.

لقد مكنت المبادرة الوطنية للتنمية البشرية من الاستثمار في الرأسمال البشري بجرادة لمواجهة تحديات الغد.

بما أن الرياضة تعد وسيلة فعالة للتنشئة الاجتماعية والإدماج الاجتماعي، تم تعزيز البنية التحتية بخمس ملاعب رياضية للقرب، بالإضافة للمركب السوسيو-اقتصادي. ولازالت العديد من المرافق الرياضية قيد الدراسة (كالمسابح، والقاعات المتعددة الرياضات...).

وتم طرح العديد من الأسئلة من قبل المواطنين خلال الاجتماعات التشاورية التي أجريت للمواطنين كما هو الحال بالنسبة لبعض الملفات الطبية المتعلقة بالأمراض المهنية. ولأخذها بعين الاعتبار، تم إنشاء خلية قانونية بصندوق خاص تم إحداثه. كما هم الأمر أيضا العديد من مساكن المفاحم التي لم يتم الانتهاء بعد من نقلها إلى القاطنين بها.

للمجتمع المدني دور تاريخي أساسي بجرادة منذ إغلاق المنجم، قدمت الجمعيات حوارا اجتماعيا مكثفا وغنيا، بأهداف متجددة. ويظهر أيضا الحضور الوازن للمرأة إذ يشكل هذا الجانب جزءا من إيجابيات الحكامة المحلية الجيدة، كما هو الحال بالنسبة لمشاركة الشباب والاستماع لملاحظاتهم واقتراحاتهم.

تنمية حضرية ملموسة

من أجل القضاء على الأنشطة الغير المهيكلة والاعتناء بالباعة المتجولين، تم بناء سوق نموذجي دائم، بدعم من المبادرة الوطنية للتنمية البشرية ووكالة جهة الشرق لاستقبال 200 تاجر.

قرية الصناع التقليديين بجرادة (صورة هشام الودغيري)

موقع دو أهمية بيولوجية وبيئية «الشخار»

إحداث مناطق محمية

يستفيد المخطط المديري للمناطق المحمية بالمغرب والذي تمت المصادقة عليه سنة 1996 من تعبئة المصالح الإدارية المعنية وجميع الأطراف المعنية بحماية التعدد البيولوجي الوطني.

فكل المواقع ذات الأهمية البيولوجية والبيئية تحظى بعناية خاصة بكل موقع : دعم التهيئة والتدبير ورفع القيود من أجل تدبير مستدام للموارد الطبيعية...

فموقع الشخار يمتد على مساحة 54 000 هكتار من الغابات والنجود العليا، من مصب ملوية وشرق المحور الطرقي الذي يربط وجدة بعين بني مطهر بإقليم جرادة. ويهدف إلى إعادة الثدييات وأن يكون منصة للتربية على الحفاظ على البيئة ومكان للترفيه.

وتستقبل المحمية 18 نوع من الطيور (ثمانية منها بالغة الأهمية دوليا) بالإضافة إلى 25 نوع من الزواحف و12 نوع من الثدييات (بما في ذلك نوعان نادران و نوعان مهددان بالانقراض).

كشك الأخبار

قام جلالة الملك محمد السادس بتدشين كشك الأخبار للمحمية البيولوجية والإيكولوجية الشخار في 10 يوليوز 2008 بعد أن قُدمت لجلالته الأدوات البيداغوجية التي حقّقتها جمعية «طبيعة وتراث».

ويلعب كشك الأخبار دورا مهما في التربية على حماية البيئة والتحسيس لكي يساهم في المحافظة على الإرث الطبيعي للموقع كما أنه يساهم في الحفاظ على المحمية البيولوجية والإيكولوجية وتثمين تراثها.

وتم وضعه تحت إشراف المديرية الجهوية للمياه والغابات، ويعتبر بمثابة موقع لعرض التراث الطبيعي للمحمية البيولوجية والإيكولوجية.

(صور هشام الودغيري)

وقامت جمعية «مجتمع محافظ على الحيوانات والطبيعة» بتأطير هذا المشروع، خاصة الشق المتعلق بالتربية على حماية البيئة وأيضا الحفاظ على الطبيعة، وقد نجحت في توعية الساكنة.

مشروع تسيير
المناطق المحية

يهدف المشروع إلى تعزيز الموارد الطبيعية والقدرة على تدبير البيئة. ويتأتى دوره الاستراتيجي في المساهمة في التنمية المستدامة للمغرب من خلال المحافظة على موارده البشرية وتعدده البيولوجي، وبالتالي النهوض بالتنمية المستدامة والتشاركية في الأنظمة الإيكولوجية للمواقع المعنية.

وتعد النسور والطيور الليلية واللقالق والحبار محمية من قبل القانون المغربي.

ويجب على المحمية البيولوجية والإيكولوجية الشخار أن تعمل على زيادة أعداد الطيور الجارحة الموجودة بالموقع وإعادة إعمار المنحدرات المفضلة لإقامتها.

حماية النظام
الإيكولوجي الحلفاء

أنجز هذا المشروع بين سنتي 2003 و2005 بإقليم جرادة، بهدف المساهمة في حماية الثروة النباتية والحيوانية لجماعة تويلي، الواقعة بالمحمية البيولوجية والإيكولوجية الشخار.

وتأتي إنجازاتها الرئيسية كالآتي :

- تحديد واختبار النماذج الأولية لأفران الخبز وتحسين أماكن تسمح بتقليل تجميع النباتات القابلة للاحتراق بالقرب من التجمعات السكني ؛
- تقديم دعم إلى تعاونية نسويه لإنتاج مواد مستمدة من الحلفاء من خلال التدريب (على تقنيات الإنتاج والتسيير) وإنشاء مجموعة جديدة من المواد التي تعتمد على تصميم حديث ومبتكر مع مراعاة النمط المحلي للإنتاج التقليدي.

من وجدة إلى الصحراء، قطار استثنائي

نشأت الفكرة سنة 1870، ويتعلق الأمر بإنشاء عمود فقري قاري حقيقي بين ميناء غزاوت (بالجزائر) والنيجر، مع ربط المواقع المنجمية الكبرى بسكك حديدية بهذا الجزء القاري. ونظرا للتكلفة الباهظة للمشروع، فقد تم تأجيل الاستثمار بشكل مستمر كما أن الأوضاع بأوروبا حالت دون إنجازه.

وبعد اكتشاف حقول المنغنيز الضخمة بالقرب من بوعرفة والبدء في تثمين الفحم الحجري لجرادة ورصاص تويسيت وزليجة-بوبكر، تم اختيار الطريق عبر المغرب. ففي سنة 1927، منحت الحكومة الشريفة الامتياز لشركة السكك الحديدية للمغرب الشرقي وتم اكتمال شطر وجدة-بوعرفة سنة 1931.

وفي سنة 1939، وإبان الحرب العالمية الثانية، أعيدت عملية انطلاق الأشغال : إذ بدأ جزء بوعرفة-كولومب بشار سنة 1941 ثم توقف عام 1942 مع إنزال قوات الحلفاء بالمغرب، لتعود الأشغال سنة 1946 وتتوقف بشكل نهائي سنة 1948.

وتم تأهيل جزء وجدة-بوعرفة من قبل الدولة منذ خمسة عشر سنة.

ويمر عبرها قطار عدة مرات خلال السنة، بهدف إنعاش سياحة اكتشاف الجهة. ويتكون القطار من قاطرة وأربع عربات «على الشكل القديم».

بعد الانطلاق من وجدة، توجد المرحلة الأولى، بني وكيل التي تشكل الموقع المعروف بالمعركة الشهيرة إيسلي. تليها محطة واد الحيمر، حيث يقع المصهر الأول بالقارة الذي كان يقوم بمعالجة معدن الرصاص المستخرج الى غاية 1974.

وكانت سيدي بوبكر آنذاك، نموذجا مصغرا لمدينة عصرية تم بناؤها نهاية الأربعينيات. وتأتي محطة جرادة قبل محطة عين بني مطهر وقبل نهاية الرحلة ببوعرفة.

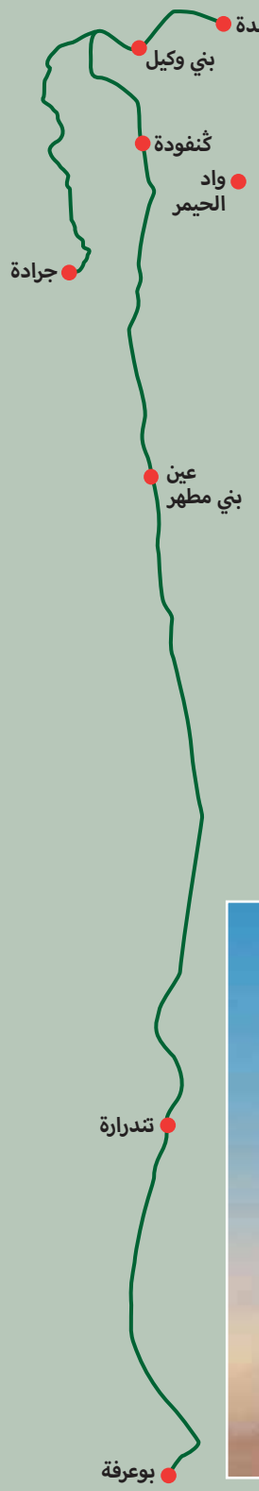

كما تم أيضا إنجاز سوق بحاسي بلال، وفضاء مندمج للتجارة والمرافق الترفيهية. وتتيح جميع هذه الإنجازات فضاءات للتبادل والتعايش بجرادة : سمات حضرية ضرورية.

لا يتعلق الأمر فقط بإعادة التهيئة (وضع الآفاق، هيكلة، زخرفة...)، صيانة وتوسيع الطرق، التي تدل على الاهتمام بالمشاكل التي يعاني منها التنقل ؛ فالمحطة الطرقية بجرادة تعد إنجازا حديثا لقيت استحسانا من قبل السكان الذين انتظروها مند سنين... بالإضافة إلى إيصال شبكة الكهرباء بجميع المنازل وربطها بالماء الصالح للشرب وشبكة الصرف الصحي وجمع النفايات المنزلية.

سياحة قائمة على التراث

كانت ولازالت البنية التحتية موضع العديد من الإعدادات التي تمت برمجتها بهدف تعزيز تنقل الأشخاص ونقل

عملية النسج على مرأى زوار قرية الصناع التقليديين بجرادة (صورة هشام الودغيري)

البضائع بل وأيضا الرفع من جودة ري المناطق النائية التي تتمتع بمناظرها الطبيعية الجبلية أو الغابوية خاصة مواقعها الأثرية. وجاءت فكرة رسملة التراث المحلي والتاريخ لتطوير سياحة استكشافية مثيرة ومستدامة.

كُفايت وغابة التسوريين بالعوينات وواد الحي وواد تيولي وموقع أثري رفيع ومواقع عين الكرمة أو راس العصفور... العديد من الفضاءات الساحرة من بين أخرى عديدة.

ومن أجل تثمين هذه الأخيرة سيتم الرفع من جودة الشبكة الطرقية والقيام بهيكليات لائقة. حقول غالبا ما تديرها جمعيات تعمل بكثافة من أجل تجلي التنمية على أرض الواقع.

وتعتبر السياحة القروية بهذا المكان محورا للتنمية.

وتتعدد إمكانات الموارد الغذائية المحلية وفن الطهي التي تثمنها كتحضير وتذوق جبن الماعز والحليب الآتية من النجود العليا، بالإضافة إلى تحضير أطباق الفطر وبطبيعة الحال جميع الأطباق المعدة من لحوم أغنام بني كُيل...

ولتعزيز هذه المنتجات وتحسين جودتها وإيجاد طرق أكثر فعالية لتسويقها، أقيم معرض إقليمي بمبادرة من الغرفة الجهوية ودار الحرف سنة 2019، والذي استضاف حوالي مائة عارض.

غير أنه جدير بالذكر أن عرض الحرف اليدوية لا زال بقرية الصناع التقليديين التي أنجزتها وكالة جهة الشرق بدعم فرقاء آخرين وتم افتتاحها في ماي 2010 (بحيث تضم 34 متجرا حرفيا) يشتغل بها 275 شخص لا زالوا في طور التكوين وإنتاج وتسويق المنتجات المستمدة من الحلفاء والطين والصوف (كالأقمشة والسجاد) ومن الجلد (السروج) بالإضافة إلى الخشب...

وبالنسبة للأنشطة الاحتفالية، تتشكل اللوحات الفنية من الأغاني ورقص النهاري للرجال وأحيدوس بالنسبة للنساء على صوت البندير وأهازيج المزامير.

منتزه المتحف المنجمي، نحو اقتصاد الثقافة وترسيخ ذاكرة جرادة

تم تحديد واقع الحال للتراث المنجمي لمدينة جرادة في دراسة أنجزتها وكالة جهة الشرق مع خبراء محليين ودوليين، نشرت سنة 2012.
كان الهدف منها، إعداد مشروع لتثمين التراث الصناعي الذي يعود للقرن الماضي، الذي يعد فريدا من نوعه بالمغرب، والمحافظة عليه.
كما يسعى لإحياء ذاكرة المنجم وخلق الثروة وإحداث مناصب شغل في المجالات المرتبطة بالأنشطة الثقافية والترفيهية. ويعلق أمل كبير على هذا المشروع في ترويج أفضل لصورة المدينة وسمعتها وتقوية جاذبيتها.

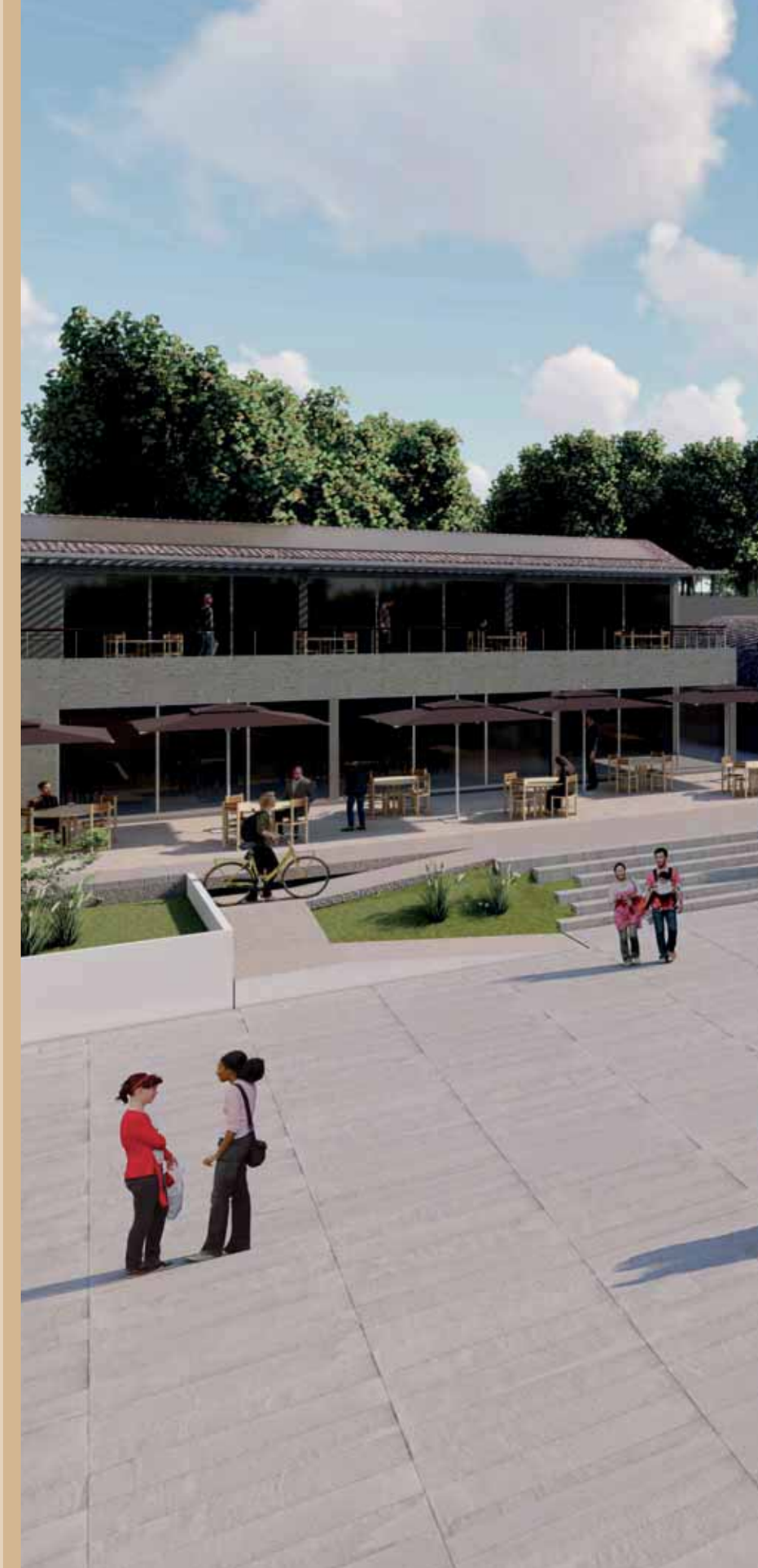

من أجل تنشيط حضري لجرادة، جولة متحفية تربط بين الأماكن الرئيسية القديمة لاستغلال المنجم

لازالت آثار الأنشطة المنجمية واضحة على النسيج الحضري لجرادة، ويمكن ملامستها في كل أنحاء المدينة عن طريق المنشآت الصناعية وأكوام مخلفات المنجم المتواجدة حول نقط الاستغلال القديمة بالأراضي الممتدة آنذاك، والغير قادرة على جذب الأنشطة الراقية.

لقد كان متوقعا منذ البداية، أن مخلفات الأنشطة المنجمية وآثارها المحتملة على المدى البعيد وعلى التنظيم الحضري للمدينة وأحيائها ومناطقها السكنية، سترهن مستقبل جرادة. وسيقترح الخبراء إخلاء وتطهير الأراضي القابلة للتوسع الحضري الذي تتطلبه تنمية المدينة. وسيحتفظ بالجبل الكبير للنفايات المعدنية أو ما يعرف ب «الرامبلي» والتي تعتبر رمزا شاهدا على التاريخ المنجمي للمدينة. ففي إطار مشروع المتحف المنجمي، ستتم تهيئتها لكي تصبح فضاءا للرياضية والاستراحة على شاكلة الفضاءات التي تم تجهيزها في مناطق معدنية قديمة بالخارج، سيما بأوروبا.

لقد تم استخراج الفحم الحجري بجرادة على مستوى بئرين منجميين متباعدين ببضع كلومترات، مما تسبب في تفكك النسيج الحضري الذي عملت السلطات على إعادة تنظيمه. فشمال المدينة، يوجد الموقع الأول، أو ما يعرف بالبئر 1 أو المربع 150، وقد ظل مستغلا إلى حدود سنوات 1950، بحيث تم استخدامه منذ ذلك الحين من طرف :

- المستودعات العامة : المنشآت اللوجيستية التي رافقت مجموع النشاط المنجمي ؛
- المنجم المحاكي : وهو مركز لتكوين الوافدين الجدد، للتعريف بالظروف التي كان يشتغل بها المنجميون ؛
- المقر الرئيسي والإداري لمفاحم المغرب.

وبحاسي بلال في الضاحية الجنوب-غربية، يوجد المقر 5 المسمى البئر 2، الذي بدأ في الاشتغال منذ سنوات 1950 إلى غاية إغلاق المنجم، كانت تتركز فيه التجهيزات الثقيلة للنشاط الصناعي المنجمي.

يتعلق الأمر هنا بجميع البنى التحتية المرتبطة بالاستخراج المنجمي بحد ذاته، وجميع المعدات التي تسمح بذلك أو تساهم في التشغيل السليم للمنجم. بالإضافة إلى غسل المعادن وتعبئتها وتغليفها بالطريقة الملائمة، سواء كان الفحم موجها للسوق الوطني أو للتصدير أو فقط للمحطة الحرارية المجاورة للمكتب الوطني للكهرباء.

ومن أجل الانغمار في الثقافة الصناعية لجرادة، سيقترح المتحف المنجمي على الزوار مسارا يعبر المدينة بكافة أرجائها ويمر بشكل متوالي بالمواقع الأربعة الرئيسية التالية :

- موقع البئر 1 بما في ذلك معهد التعريف بالتراث، مكان السناد والمنجم المحاكي، بالإضافة إلى مرافق الراحة والاستجمام التي تشمل الفندق، المقصف والفضاء المخصص للنزهة ؛
- المركز الثقافي لجرادة الذي يشمل المكتبة والمسرح ورواق المعارض ؛
- الجبل الكبير للنفايات المعدنية بشرفة ومسار للراجلين ؛
- موقع البئر 2 بالمكتبة الوسائطية ومكان السناد.

موقع السناد "لكاج" (البئر1)

معهد تفسير التراث

المركز الثقافي

موقع السناد (البئر2)

الفندق-المدرسة دار جرادة

المتحف المحاكي

الركام الكبير للنفايات المعدنية

مبنى الرافعة (البئر2)

متحف منطقة الرور الواقع ضمن المنشآت المنجمية القديمة

يشمل المنتزه، الناقلات وشبكات نقل المياه لأفرنة الفحم

مسار الراجلين بالمفحمة، تضفي عليه الإنارة الليلية جمالاً ورونقاً

الإحتفاء العالمي بالتراث الصناعي على شاكلة زولفراين، بمتحفها لمنجم الفحم والمتحف الجهوي لمنطقة الرور بالقرب من إيسن الألمانية

أصبح العالَم المنجمي القديم يُعدّ تراثا تخصص له متاحف بجميع أرجاء المعمور، خاصة بأوروبا. وتطورت المناهج والنماذج على مر الزمن.

لقد بدأت استعادة الذاكرة الجماعية للصناعات التي ولّت مع بداية سنة 1940 بإنجلترا، حيث يعد الموقع المنجمي إيونبريدج مثالا حيا للتثمين وإعادة التمثيل، تحول الموقع إلى فضاء واسع للاسترخاء وممارسة الأنشطة الترفيهية، كما أصبح موقعا كثير الارتياد من قبل الزوار.

يقع زولفراين في ألمانيا على مقربة من المدينة المعدنية إيسن بجهة الرور والحوض الذي يحمل نفس الإسم، وتعد أوجه التشابه مع جرادة مثيرة للانتباه (من حيث فترة النشاط ومساحة الموقع وشكل المغسل والتكنولوجيا المستخدمة، ألخ...).

يُعدّ زولفراين أيضا منتزه متحف منجمي حديث النشأة. دُشّن عام 2010 وصُمّم طبقا لتصاميم المتاحف العصرية التي تنهج أفضل الممارسات الإيكولوجية والتنمية الترابية. فامتداد الموضع وأهمية المباني ساهمت في تجاوز المحتوى المتحفي المرتبط بالمنجم بإحداث متحفين : الأول خاص بجهة الرور، فيما يعود الثاني لتاريخ الصناعة. وخُصّصت المباني العديدة لاستعمالات مختلفة : تمثلت في إقامة الفنانين، مدرسة، قاعة الندوات، والعديد من فضاءات الترفيه والأنشطة الثقافية. تم تصميم الموقع على شكل منتزه وهو مفتوح في وجه الزوار طيلة اليوم، وفي الليل تنير الأضواء منشآته الكبيرة، مما يضفي عليه جمالية خاصة ومنظرا في غاية الروعة. وقد صنفته اليونيسكو ضمن قائمة التراث العالمي للإنسانية، ويمكن لموقع جرادة الظفر بنفس المكانة بعد إن إنجازه.وبفرنسا، يشكل البئر رقم 9-9 مكرر نموذجا حيا لجرادة. فهو يوجد بالحوض المنجمي القديم لشمال بادوكالي. يُظهر الموقع كيف يمكن إنجاح مشروع ثقافي وسياحي طموح، يُركّز على مواضع جاذبة وأحيانا بعيدة عن الأنشطة المنجمية كالموسيقى والمسرح واستوديوهات السينما والتكنولوجيا الخضراء...

أضحت هذه التحولات الواقعة بالحوض المنجمي الكبير تمثّل محركا قويا للتنمية بالمجالات التي أنجزت بها. وقد ساهم بشكل كبير في جاذبيتها وتلميع صورتها.

ويحول الاختفاء الشبه كلي للآلات بجرادة وتدهور المنشآت، دون اعتماد النموذج القائم على استعادتها أو صنع مثيلات لها كما هو الأمر بالنسبة للموقع المنجمي صابيرو بإسبانيا. وهذا ما يفسر خيار المتحف المنجمي بجرادة، علاوة على ترميم المنشآت التي لا زالت قائمة بالمناطق المنجمية للمواقع الثلاث (للبئر 1 والبئر 2 ولأكوام الكبيرة لبقايا الفحم)، باعتماد تكنولوجيا حديثة للواقع الافتراضي وأفلام الفيديو لإعادة تمثيل حياة المنجم وعمال المناجم على امتداد سبعين سنة من الاستغلال.

ومن أجل الاستفادة من شهاداتهم الغنية ومساهماتهم الفتوغرافية والإبداعية، تمت استشارة بعض قدماء عمال المناجم وفعاليات المجتمع المدني ومنتخبين وفنانين محليين من أجل وضع تصور شامل لهذه البادرة الاستباقية.

9-9مكرر، المتحف المنجمي ويني، بالقرب من ليل بفرنسا، بئرين إثنين ومنشآتهما التي صنفت ضمن التراث العالمي

مجموعة متجانسة في الثلاثينات ؛ ترميم ناجح

شهادة السيد محمد أوراغ، مسؤول سابق بالمنجم

بعد 33 سنة أمضاها بمنجم جرادة، ساهم بشكل كبير في الحفاظ على المعدات. يحكي لنا وهو يعاني اليوم من مرض السحار السيليسي، عن انخراطه إلى جانب وكالة جهة الشرق حينما أعلنت عن طلب دولي للعروض لدراسة إمكانية إنشاء متحف منجمي ووضع أساسه.

«كانت فكرة المتحف تشغل بال العديد من عمال المناجم حتى لا يدخل تاريخهم طي النسيان. لقد ذهب البعض بذكريات سنوات من قاع المنجم، بعض الأدوات الصغيرة، أحجار أو قطع فحم، معدات صغيرة كالمصابيح وبدلات العمل... وقد احتفظ أطفال العمال المتوفين بها كآثار.

وبحكم سنواتي الطوال التي قضيتها بقاع المنجم، تم اختياري من طرف السيد عبد الغني الصبار، عامل إقليم جرادة سابقا، للتكليف بمهمة جمع كل أدوات المنجم التي تعتبر مهمة لحفظها.

إلا أن أغلب المعدات كانت قد اختفت. و تمكنا بالرغم من ذلك، وفي الوقت المناسب من حفظ جزء منها والتي كانت مخزونة من أجل البيع ؛ كادت تضيع لو تأخرنا أسابيع إضافية. لقد قمنا بنقل جميع الأدوات الصغيرة إلى دار الشباب.

و قمنا أيضا باستعادة عينات من الفحم في مباني الجيولوجين، وعملنا على تخزينها بالمكاتب القديمة للإدارة. كما قمنا بتفكيك المعدات بالبئر *1* وتم جمعها ونقلها إلى أماكن آمنة من أجل ترميمها.

وتمكّنا أيضا من استعادة خمس رافعات وناقلة للمعدات وحزام ناقل ومركبة. حيث تمكننا هذه الأدوات من إعطاء لمحة عن منجم جرادة آنذاك.»

يدعم مربع الحفرة الميتالون، قاعة للحفلات ؛ الفحم والموسيقى مواضيع الموقع

على مساحة تزيد عن 30 هكتار، يشتمل الموقع على الركام الكبير المهيئ كمسار

التجهيزات الأولى لإعادة تأهيل البنايات الصناعية المهجورة

يُعدّ المقر فضاء استغلال البئر 1. وقد أدى انحداره الخفيف إلى تكييف تنظيم المجال بمستويات تتوافق مع وظائف خاصة :

• بالشمال، الحي الإداري حيث تم بناء المقر الرئيسي للمفاحم سنة 1980 ويتوفر على مدخل مستقل وساحة، في شكل متماسك ؛

• بالجنوب، الحي الصناعي للمخازن العامة الذي تصله طريقين، بالقرب من المدخل الرئيسي، بنايات المكاتب وورشات حول موقع السناد.

تم إغلاق البئر 1 بعد وقت قصير من بدئ اشتغال البئر 2 : لم تبق سوى المنحدرات الأكثر إنتاجية. وتم ربط الموقعين بالسكة الحديدة من أجل ضمان الاحتياجات اللوجيستية التي تتطلبها الأوراش والمخازن العامة.

ويعد صهريج المياه والسناد أبرز منشآت الموقع.

يشكل المنجم المحاكي تراثا نموذجيا : فهو مركز تكوين حقيقي مفتوح، و يضم نسخة طبق الأصل للمنحدر، رواق للعرض تحت أرضي وأقواسه، وترسبات بارزة على الحائط من الأنتراسيت مخصصة لتدريب العمال الجدد.

ومن بين المعدات التي لازالت موجودة بالمكان، نجد محطة انطلاق التيليفيرك التي كانت تربط جرادة بكْنفودة ومنشآتها وأعمدتها الأولى ومركبات التجميع وأسلاكها وآلياتها.

(صورة رضى البادي)

(صورة رضى البادي)

باحة مدخل معهد تفسير التراث المنجمي لجرادة

قاعة العرض

رواق العرض الدائم

معهد التعريف بتراث المنجم

تم تصور منتزه المتحف المنجمي لعرض التراث التاريخي-الصناعي لجرادة على الجمهور الواسع الذي سيحج إليه ؛ ستساهم هذه البنية التحتية الثقافية في الرفع من دينامية ونشاط المدينة وتنميتها السوسيو-اقتصادية والثقافية.
لقد ساهم المنجم في إحداث المدينة التي تعد عنصرا لا يتجزأ من الموقع المنجمي وإطار عيش للمنجميين. وقد أظهرت التجارب الناجحة للمنتزهات والمتاحف المنجمية بالعالم أن النجاح رهين بالذكاء الجماعي ؛ فغنى وقوة ونجاح هذه المنتزهات يعود الى عبقرية التصميم المتحفي.

إنَّ تطور استغلال التراث المنجمي يفيد بأنَّ نجاح أي مشروع يعود الى الجمع بين المحافظة على متطلبات النجاعة الاقتصادية وتقنيات الاستدامة.
ويتطلب هذا الأمر اليوم، التكيف مع تطلعات الجمهور الذي تغيرت نظرته للأنشطة الصناعية القديمة والذي أصبح لديه الفضول تجاه :

- الهندسة الصناعية والبنايات ومنشآت الإنتاج وتقنياته وكيفية اشتغال الآلات ؛
- ظروف العمل والحياة الاجتماعية للعمال ؛
- احترام البيئة وتدبير الموارد الطبيعية وتغيير المناظر الطبيعية ونسبة التلوث الصناعي بالمدينة.

بهو الاستقبال

فناء العروض المؤقتة

المتحف المحاكي، فضاء مفتوح لجولة تثقيفية

يتوخى فن الحفاظ على الآثار وعلم المتاحف توظيف جميع الإمكانيات بما في ذلك العناصر الملموسة والحاسمة، التي يمكنها إضفاء قيمة خاصة وهوية قوية للمشروع. ويعتمدان على الساكنة، خاصة قدماء عمال المناجم.

يهدف تصور المتحف المنجمي لجرادة إلى إعادة إحياء الفضاءات والمنشآت المهجورة لما يزيد عن عشرين سنة، وتثمين التراث المتبقي من المفاحم والتعريف بهوية المدينة. تحتم هذه المكتسبات خلق نظام مستمر، يعمل على تطوير رؤية منسجمة بثلاث مواقع، من بينها البئر 1 الذي سيقترح مدارا متصلا بثلاث فضاءات مرتبطة :

- يشمل الفضاء الأول معهد تفسير التراث المنجمي بقاعة للعرض مسماة «التمهيد» وقاعاته الثلاثة المخصصة للعروض الدائمة، والفناء المخصص للعروض المؤقتة والمقصف. ويضم المتحف أيضا المباني الصناعية التي أعيد ترميمها والتي تسمح للزوار من الإطلاع على تاريخ المدينة والمنجم بشكل بيداغوجي ؛
- يضم الفضاء الثاني السناد ومدار يسمحان للزوار بأن يعيشوا لحظة مؤثرة في الهواء الطلق ؛
- ويتم استغلال الفضاء الثالث لجولة ديداكتيكية داخل موقع المنجم (المنحدر، الرواق تحت أرضي، وموقع انطلاق التيلفيريك...)، وتكتمل الرحلة بزيارة المعرض الفتوغرافي الذي يروي تاريخ العمال الجدد بالمنجم.

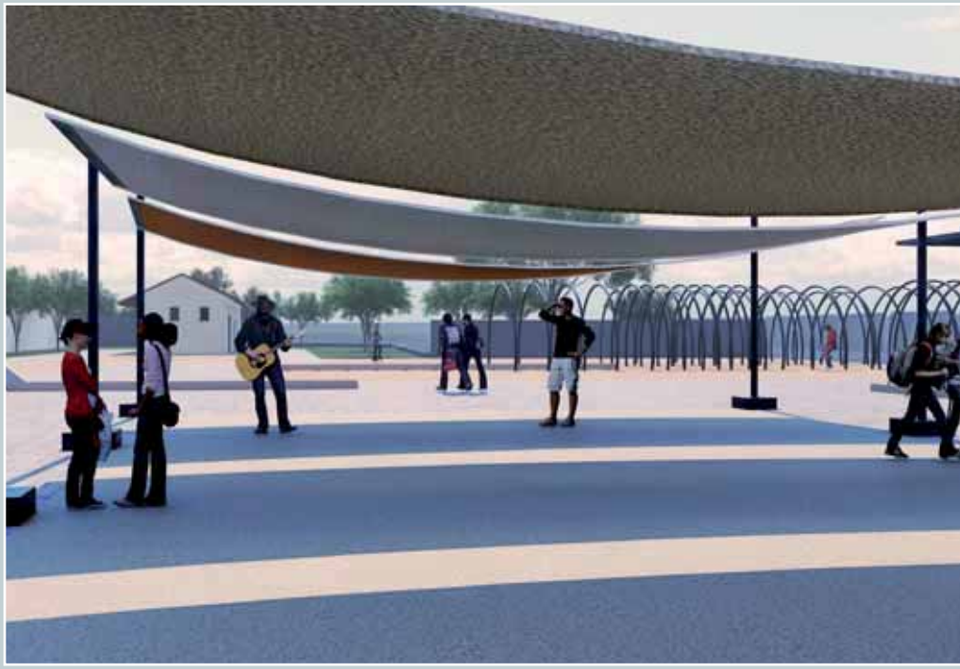

مشهد تحت سقف من قماش مشدود

مسرح الهواء الطلق

ولوج المنحدر

فضاء مخصص للاستجمام

الفندق-المدرسة دار جرادة، إبتكار رائد

جرادة تُبدع بإعطاء الانطلاقة لمفهوم الإيواء على نمط جديد، «الفندق-المدرسة»، الذي يربط بين الفندقة التقليدية والتكوين المهني لشعب الفندقة. يتعلق الأمر هنا باقتراح إنجاز مأوى بمواصفات مؤسسة فندقية ذات ثلاث نجوم، بخدمات يقدمها متدربون في طور التكوين بمؤسسات التكوين المهني وإنعاش الشغل بالجهة، تحت إشراف أطر وطباخين ماهرين.

هذا المشروع، الذي اقترحته وكالة جهة الشرق على المؤسسات المعنية (خاصة المكتب الوطني للهيدروكاربورات والمعادن ومكتب التكوين المهني وإنعاش الشغل)، يهدف إلى توفير بنية عصرية للإيواء ضرورية لاستقبال زوار المتحف المنجمي وزوار المعالم السياحية والمهنية الأخرى بالمنطقة.

وقد تم اقتراح المقر الرئيسي لشركة المفاحم لاستقبال هذا المشروع، لكونه عبارة عن بناية تاريخية توجد في موقع متميز بالمدخل الشمالي لمدينة جرادة، في فضاء غابوي مخضر وهادئ، بالقرب من الموقع الأول للمتحف المنجمي.

بعد تهيئته وتجهيزه، سيوفر المشروع لزبنائه أربعين غرفة وبهو للاستقبال ومطعم وفضاء خارجي للاستجمام يتوفر على مسبح ومرافق أخرى. ستمكن هذه البناية من استقبال المتدربين خلال فترة تداريبهم.

هذا المشروع، الذي نال استحسان السلطات المحلية والمنتخبون، يبقى رهينا بالمساطر الإدارية التي توجد إلى حدود اليوم قيد الدرس. سيدعم المجهودات الرامية لتوفير بديل اقتصادي بالمدينة، بحيث يعتبر نموذجا فريدا في التدبير لضمان مداخيل قارة.

المقر الرئيسي القديم لمفاحم المغرب الذي سيأوي الفندق المدرسة دار جرادة

منتزه الفندق وموقعه

ساحة مدخل الفندق

مجسم المشروع

آفاق المشروع

نظرة عامة على المركز الثقافي

المكتبة الوسائطية

المركز الثقافي، لاستعادة حيوية إبداع جرادة

يقع المركز الثقافي في بناية الكنيسة القديمة للمدينة والتي حُولت منذ سنة 1978.
تم ترميم البناية وتطويرها من خلال إضافات ضرورية للاشتغال، وتمت إعادة هيكلتها وفقا لمعايير تتطلبها وضعية المؤسسات المستقبلة للزوار، ويمثّل المركز اليوم، مكانا يمكن التعبير فيه عن الإبداع الحيوي المعترف به لأطفال جرادة منذ القدم. ولتعزيز دوره في الكشف عن المواهب الفنية والتنشيط الثقافي، يتيح لزواره ومن جميع الأعمار فضاءات متعددة للتكوين والتمثيل والعرض التي تجعل منه موقعا جاذبا للقاء، خاصة أنه يقع وسط المدينة، والوصول إليه جد يسير.
نجد فيه :

- فضاءات يطغي عليها الطابع الاجتماعي، وتشمل فضاء للاستقبال وفضاء مفتوحا وقاعة للاجتماعات ورواقا للعرض ومقهى ؛
- فضاءات للإبداع والتكوين.

ومن بين هذه الأخيرة نجد :

- قاعة العرض بمنصتين، بارتفاع مزدوج مع غرفة التحكم وخلفية المسرح وغرفة الكواليس ؛
- معهد الموسيقى الذي يتوفر على استوديو للتسجيل ؛
- أوراش فنية ؛
- مكتبة مع فضاءات للأرشيف وورشة لقراءة القصص والكتابة ؛
- قاعة الإعلاميات ومكتبة وسائطية.

قاعة العرض

رواق العرض

مسالك الدراجات

الركام الكبير للنفايات المعدنية «الرامبلي»

يتواجد بين البئرين 1 و2 بين جرادة وحاسي بلال، ويرتفع على علو يصل 72 مترا ، كما يتيح إطلالة جميلة على كافة المدينة وعلى محيطها.

يتكون من 18 مليون طن من النفايات الصخرية للمغسل والمنجم على مساحة 18.5 هكتار. فبحافته المستطيلة وجدران المنحدر، يعدّ هذا الجبل الكبير للنفايات المعدنية رمزا ذا أهمية بالغة تنفرد به الهوية الطبيعية لجرادة يجب تثمينه.

وبسبب قربه من الأحياء السكنية يتحتم إعادة تأهيله لكي يصبح منتزها حضريا واسعا، يتوفر على منظر رائع من قمته ومرافق لأنشطة تربوية، ترفيهية ورياضية كمسالك للمشي وللدراجات.

مقر البئر 2

تم بناء البئر 2 بمرافق صناعية كبيرة بحاسي بلال، ضواحي جرادة، على بعد حوالي خمس كيلومترات من الجهة الغربية للبئر 1.

تم إنشاء المقر وفقا لشبكة متعامدة، بحيث يشمل منشآت صناعية معدنية كانت في ذلك الوقت تعتبر من أحدث طراز. (يشمل قاعة لأجهزة الضغط، مبنى الرافعة، آلات الحفر، محولات كهربائية...) وفناء عالي الجودة كما هو الشأن بالنسبة لأوربا.

فقاعات المعدات ومستودعات تغيير الملابس والدوش كانت تستقبل 5 000 عامل تقريبا. كما كان هناك ممرا بمسارين، لتنظيم الدخول والخروج، يربط مسلك الهبوط بمستودعات تغيير الملابس.

مسار المشي للمسافات الطويلة

موقع المقر 5 - بئر 2 قيد التطهير من التلوث (صورة رضى البادي)

مكّنت إمدادات المياه القادمة من عين بني مطهر من بناء مغسل بعين المكان لغسل وفرز الفحم الحجري الذي يتم إنتاجه هناك. وكان الحزام الناقل، الذي هُدم، يشرف على الموقع بأكمله. كما كان محاطا بحقلين للفحم (حقل المنجم من جهة وحقل محطة الطاقة الحرارية من جهة أخرى).

بالإضافة إلى العديد من أحواض الترسيب. ومازال يوجد بالقرب من السكة الحديدة المبنى القديم لمختبر التحليلات الكيمائية. وتعتبر السناد البئر 2 ورافعته، المعدات الوحيدة التي تم إنقاذها من عملية الاتلاف التي عانى منها المنجم بعد الاغلاق.

البوابة المؤدية للموقع

مجسم الموقع

مركب التنشيط الثقافي والمكتبة الوسائطية

إن الخيار الذي تم اعتماده لتطهير هذا المجال الترابي وجعله مرنا يتجلى في المشروع الحضري المرتقب لحاسي بلال. فموقع البئر 2 يشكل بنية تحتية ثقافية مهيئة بمسارات خضراء سهلة الولوج للجميع، تتبع المحاور لتطل على مناظر طبيعية خلابة، وتربط بين مختلف المرافق الحضرية والمسبح البلدي والقاعة المغطاة وغيرها.

يحتل موقع السناد مكانا مركزيا داخل هذه المنظومة الحضرية التي هي قيد النشأة. بحيث تتم تهيئتها لتكون مكانا للاسترخاء والتنزه والثقافة بارتباط بتاريخها الصناعي، بغرض خلق مجال جديد للتعايش تندمج فيه الثقافة بالطبيعة.

ويذكر فضاء أسفل السناد بالجانب الأساسي لاستخراج المعدن، ويمهد للولوج لمبنى الرافعة ورواق فضاءات العرض.

ويشهد مبنى الرافعة أيضا على تاريخ المقر الخامس للبئر 2، الهدف من إعادة تأهيليه هو أن يلعب دورا جديدا في احترام تام لتاريخ الموقع. ويعتبر الانفتاح العنصر الأساسي في هذا التصور.

تم تطوير البرنامج على ثلاث مستويات (الطابق التحت أرضي والطابق السفلي والشرفة)، سيوفر فضاءات للقاء وتبادل الآراء وفضاءات للعرض ونشر الثقافة.

وتتم تهيئة الداخل ليكون فضاء مفتوحا، حيث تختلط الأنشطة الثقافية المتعددة، ويشكل رواق العرض الاستمرار بين الفضاءات الداخلية وساحة السناد.

موقع السناد "لكاج"

بهو الاستقبال

كل عناصر التسويق الترابي الطموح

يقع المتحف المنجمي بقلب غطاء غابوي مرتفع، بالقرب من موقع الاهتمام البيولوجي والبيئي الشخار، بملتقى ميزتين حقيقيتين ستساهمان في التسويق له : الطبيعة والثقافة. فاستراتيجية التنمية الجهوية ارتكزت على دور السياحة البيئية والسياحة الثقافية كمحرك للسياحة بجرادة وإقليمها، ويستجيب المتحف المنجمي لتحقيق هذا المبتغى، كما تبين ذلك، خريطة المدارات السياحية لجهة الشرق. تقع جرادة على الطريق المؤدية من وجدة إلى دبدو وكفايت، وهي مساحات طبيعية خلابة ومواقع تراثية غاية في الأهمية. فتهيئتها وتثمينها تعتبران مفاتيح التنمية السياحية بالجهة. وفي إطار مقاربة تطوير المدارات ضمن استراتيجية التسويق الترابي، سيحظى المتحف المنجمي بكل حظوظ النجاح الاقتصادي، خاصة إذا ما تم الترويج له من خلال برنامج تواصلي طموح وملائم.

تدبيير مبتكر

يتحتم اعتماد مبادرات محفزة بالنسبة لجميع الفئات المستهدفة من الزوار، سيما المتمدرسين، الذين سيغريهم الطابع الإبداعي والمؤهلات الجاذبة لمنتزه المتحف المنجمي. فالتدبير المبتكر هو الأداة الفعالة التي ستمكن من تنمية العديد من موارد الربح القدرة على مواكبة تدبيره، والمتمثلة في (الفنادق والمطاعم والتنشيط الثقافي والرياضي...)، إلا أن الإمكانات الاقتصادية تظل رهينة بالزوار الذين يقدرون بنحو 34 500 زائر في أفق 2025. وخريطة المدارات السياحية التي نشرتها وكالة جهة الشرق، خاصة في الدلائل الموضوعاتية، تبين بأن مدار منجمي يتقاطع مع مدارات سياحة الثقافة ولاكتشاف، كما هو الشأن بالنسبة لفن الطبخ ومواقع ما قبل التاريخ أو المشي. وتتقاسم مدارات أخرى أيضا مع جزء من المدارات المخصصة لمواضيع مختلفة كما تبين ذلك الخريطة.

ثلاث دلائل سياحية موضوعاتية نشرتها وكالة جهة الشرق للترويج للسياحة الثقافية والسياحة الاكتشافية

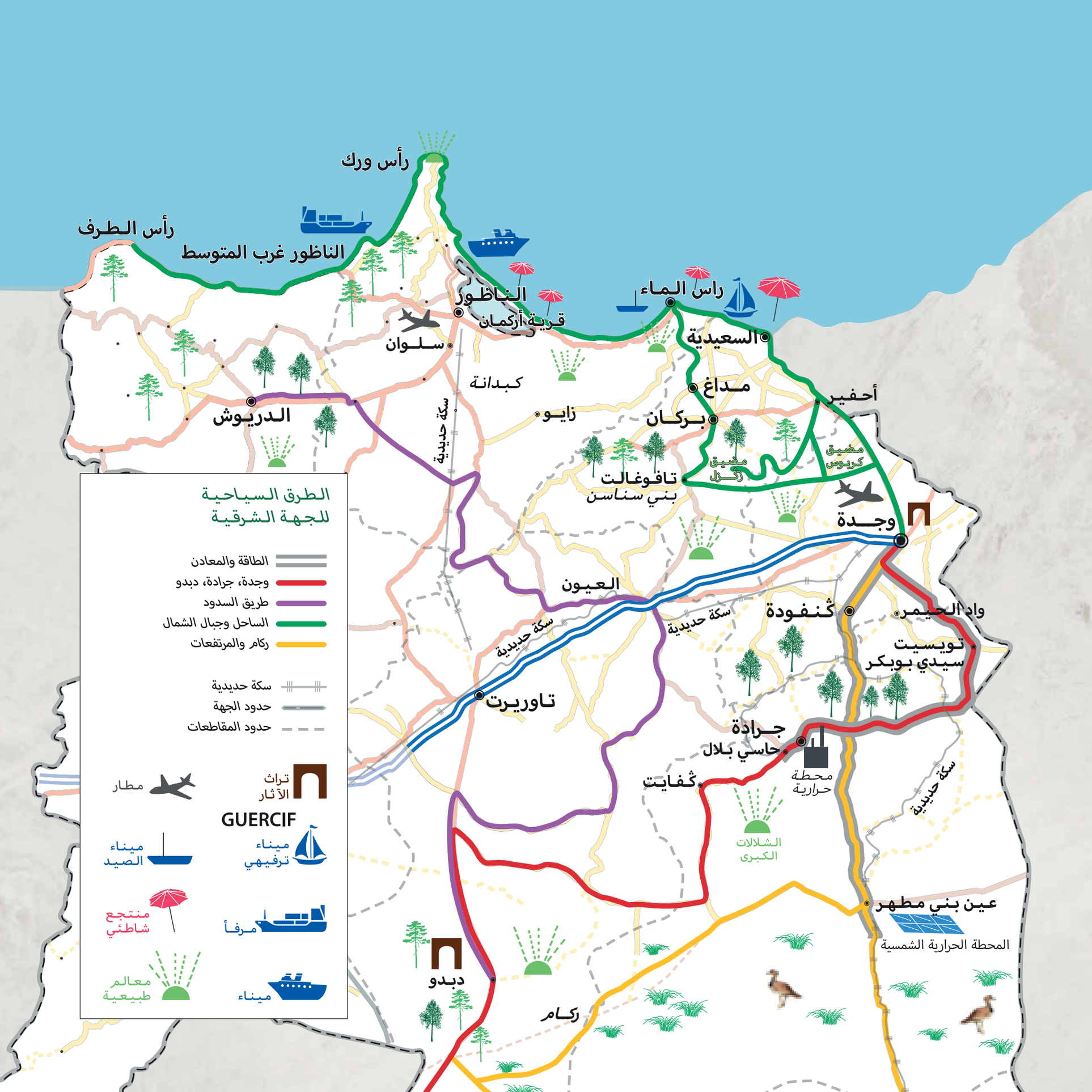
رأس ورك
رأس الطرف
الناظور غرب المتوسط
الناظور
قرية أركمان
سلوان
الدريوش
كبدانة
زايو
سكة حديدية
راس الماء
السعيدية
مداغ
أحفير
بركان
مضيق كريوس
مضيق زكزل
تافوغالت
بني سناسن
وجدة
العيون
سكة حديدية
كنفودة
واد الحيمر
تويسيت
سيدي بوبكر
تاوريرت
جرادة
حاسي بلال
ثفايت
محطة حرارية
الشلالات الكبرى
عين بني مطهر
المحطة الحرارية الشمسية
دبدو
ركام
الطرق السياحية للجهة الشرقية
الطاقة والمعادن
وجدة، جرادة، دبدو
طريق السدود
الساحل وجبال الشمال
ركام والمرتفعات
سكة حديدية
حدود الجهة
حدود المقاطعات
مطار
تراث الآثار
GUERCIF
ميناء الصيد
ميناء ترفيهي
منتجع شاطئي
مرفأ
معالم طبيعية
ميناء

كلمة شكر

السيد مهدي قطبي، رئيس المؤسسة الوطنية للمتاحف
السيد معاذ الجامعي، والي جهة الشرق، عامل عمالة وجدة-أنكاد
السيد مبروك ثابت، عامل إقليم جرادة
السيدة أمينة بنخضرة، وزيرة سابقة في الطاقة والمعادن،
المديرة العامة للمكتب الوطني للهيدروكاربورات والمعادن
السيد عبد النبي بعيوي، رئيس مجلس جهة الشرق
السيد خالد سبيع، النائب الأول السابق لرئيس مجلس جهة الشرق
السيد محمد عبدلاوي، رئيس سابق للمجلس الإقليمي لجرادة،
السيدة مباركة توتو، رئيسة سابقة لمجلس الجماعة الترابية جرادة
السيدة كليلية شوفريي كولاكو، مديرة سابقة للمعهد الفرنسي بالمغرب
السيد جون بيير ماهووي، مسؤول سابق عن قطب الثقافة والكتاب والسمعي البصري،
بسفارة فرنسا بالمغرب
المدراء الجهويين بجهة الشرق في الثقافة، الطاقة والمعادن، البيئة والتكوين المهني
السيد بيير ماتيو، مدير المعهد الفرنسي بوجدة

نتوجه بالشكر أيضا لجميع
فعاليات المجتمع المدني والمتدخلين، كخبراء أو شهود

السيدات مليكة الداودي، رئيسة قسم الخدمات الاجتماعية سابقا بالمفاحم؛ ميراي تيسي، رئيسة رابطة قدماء جرادة وحاسي بلال ؛ عيادة موساوي، مسؤولة عن الأرشيف بالمفاحم؛ حنان إديحي، طالبة بسلك الدكتوراه ووسيطة الثقافة ؛ فاطمة الموتشو، طالبة بسلك الدكتوراه ؛ زوليخة عمامو، فاعلة جمعوية ؛ جمعة عمامو، ابنة عامل بالمناجم.

السادة محمد إيدز، باحث جامعي ؛ خالد المريني، مدير المركز الثقافي لجرادة ؛ لحسن الغالي، عامل سابق بالمنجم وبرلماني سابق ؛ عبد العزيز الطيبي، كاتب ومخرج مسرحي ؛ بلعيد بنهار، عامل سابق بالمنجم ومحافظ أرشيف المفاحم ؛ محمد عبد الجليل، أحد ساكنة حاسي بلال ؛ محمد أوراغ، إطار سابق بالمفاحم ؛ الناير زوكّاغ، عامل سابق بالمنجم ؛ عبد الغني عمري، ابن عامل بالمنجم ؛ عبد الإله عونانة، طالب بسلك الدكتوراه ؛ ادريس رحاوي، فنان تشكيلي.

السيدات والسادة قدماء العمال بالمنجم وأفراد عائلاتهم والفاعلين الجمعويين الذين قدموا لنا المعطيات والمعلومات أو الشهادات.

كما نتقدم بالشكر الجزيل لشخصيات حرصت على المضي قدماً بقضية منتزه المتحف المنجمي

المرحومة ثريا جبران، وزيرة الثقافة سابقا

السيد محمد مهيدية، والي جهة الشرق، عامل عمالة وجدة-أنكّاد سابقا

السيد عبد الغني الصبار، عامل إقليم جرادة سابقا

السيد مصطفى عايدة، عامل إقليم جرادة سابقا

نشكر أيضا أطر ومستخدمي وكالة جهة الشرق ومختلف المصالح المعنية بعمالة إقليم جرادة.